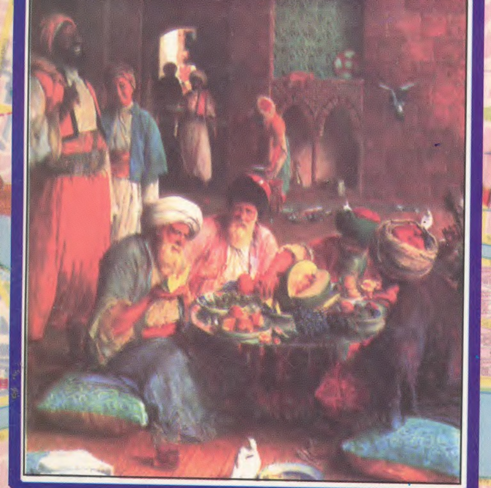
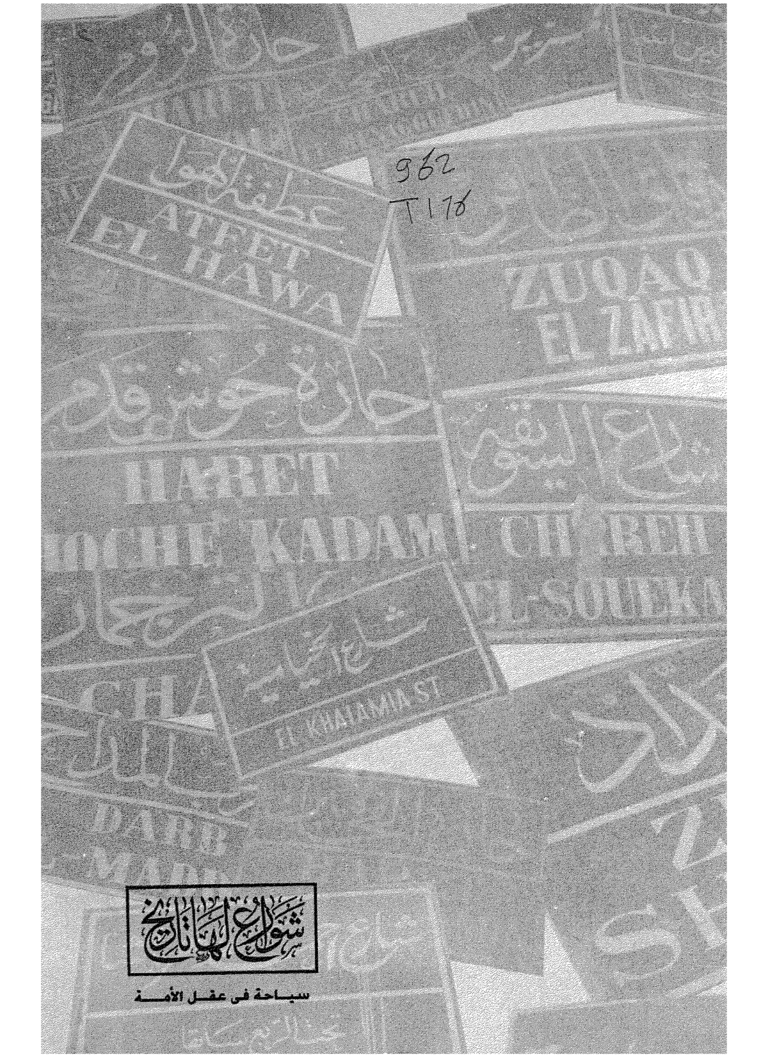
شوارع لها تاريخ

سياحة فى عقل الأمة



عباس الطرابلسى

الدار المصرية اللبنانية



شوارع لها تاريخ

سياحة فى عقل الأمة

الناشـر : الـدار المصريـة اللبنانيـة

١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٨٩٦٢/ ٩٦

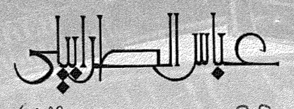
الترقيم الدولي : 8 - 290 - 270 - 977

جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : رمضان ١٤١٧ هـ ـ يناير ١٩٩٧ م .





سياحة فى عقل الأمة

الدار المصرية اللبنانية

إهــــداء

إلى شعب مصر . .

الذى حاولوا مسح تاريخه وادعوا أن لا تاريخ قبلهم فكاد ينسى أنه سليل شعب صنع الحضارة والتاريخ .

وتلك محاولة لإعادة الذاكرة إلى عقل الأمة المصرية .



مقدمة

شوارع أى مدينة كتاب مفتوح يروى تاريخ هذه المدينة ، وربما تاريخ الوطن كله . واللافتات التى تحمل أسماء الشوارع هى صفحات هذا الكتاب . وربما لهذا السبب أحرص على قراءة لوحات أسماء الشوارع فى كل مدينة أزورها ، حتى ولو كانت على شواطىء المحيط . . أى محيط فى المشرق أو غرب الدنيا . .

وفى مصر لم تكن هناك أسماء للشوارع حتى عهد محمد على باشا ، بل كانت هناك أحياء أو مناطق تحمل أحيانا اسم القبيلة التى عاشت فيها فى البداية . أو « منطقة » يتجمع فيها أرباب حرفة معينة ، أو صنعة . . وأحيانا تحمل اسم صاحب قصر كبير أقيم فى منطقة ما مثل « عابدين » الذى حمل اسم عابدين بك حتى عندما اشتراه الخديو إسماعيل ليبنى على موقعه وأرض أخرى مجاورة قصر الحكم الذى مازلنا نعرفه فى قلب القاهرة . وانتهى قصر عابدين بك القديم ولكن بعد أن حفر اسمه على حى وميدان بالكامل .

وكذلك الأمير المملوكى « أوزبك » الذى تحمل منطقة الأزبكية ـ ومن قبلها البركة أو البحيرة ـ اسمه . فقد انتهى عصر المماليك والبكوات ولكن ظل الاسم على أهم مناطق وسط العاصمة المصرية ومن أهم أحيائها .

* ونفس الشىء فى أسماء المدن : ففى مصر : الإسماعيلية « الخديو إسماعيل » وبورسعيد « ميناء سعيد باشا رابع ولاة مصر من أسرة محمد على » وبور توفيق « الخديو الذى خان الأمانة وسلم مصر للانجليز عام ١٨٨٢ » وكذلك حى العباسية الذى بدأ تعميرها أيام عباس الأول ثالث الولاة من نسل محمد على باشا . وتوسعت فى عهد آخر خديوى لمصر : عباس حلمى الثانى الذى عزله الانجليز عام ١٩١٤ . .

كما نجد بورفؤاد ـ ميناء الملك فؤاد ـ على الضفة ـ الشرقية لقناة السويس أمام بورسعيد .

** وإذا كان محمد على باشا هو أول حاكم لمصر يصدر مرسومًا بتحديد أسماء الشوارع . . وأيضًا بتركيب لافتات تدل عليها وأرقام لكل مبنى . فإن أحياء القاهرة مثلاً كانت تحمل أسماء مشهورة خصوصًا القاهرة المعزية حول القصر الكبير ـ حيث مقر الخليفة الفاطمى مثلاً . .

** إذا كانت كل دول أوربا تطلق أسماء زعمائها وكبار شخصياتها لتخليدهم كل يوم، وتذكير الناس مقيمين وزائرين بتاريخهم فإننا نجدهم فى الولايات المتحدة ينحون طريقًا آخر هو الأرقام . نعم هناك أسماء لأبطال وقادة أمريكان أطلقت على الشوارع الهامة فى العاصمة الاتحادية واشنطون بالذات ، كما أطلقوا أسماء الولايات الأولى التى تكونت منها الدولة الاتحادية عقب الاستقلال ، إلا أن الأرقام هى الغالب فى أسماء الشوارع . . وهذا أوضح ما يكون فى نيويورك وفى معظم المدن الكبرى . . وإن كان الوضع يختلف فى ولايات الجنوب التى نرى فيها أسماءً فرنسية وأسبانية ومكسيكية بسبب خضوع بعض تلك الولايات لمد وجزر وللحكم الفرنسى أحيانًا والأسبانى أحيانًا أخرى . . وهذه الظاهرة أبرز ما تكون فى ولاية لويزيانا نفسها « نسبة إلى الملك الفرنسى لويس » وعاصمتها نيو أورليانز . وفيها تجد أسماء بونابرت وأوجينى وتاليران وهكذا . . حتى أننا نجد الحى اللاتينى فى عاصمة الولاية وهو حى المرح والبهجة والسياحة والليالى الملاح والمقاهى . . تمامًا كما فى الحى اللاتينى فى باريس .

والغريب أننا فى مصر سلكنا المسلك الرقمى فى شوارعنا ولكن فى ضاحية واحدة هى المعادى . . وإذا كانت أمريكا لجأت إلى « الأرقام » فإنما ذلك بسبب قصر عمرها التاريخى أى قلة عدد أبطالها القوميين الذين يستحقون إطلاق أسمائهم على الشوارع . فهى شعب بلا تاريخ فهل نحن كذلك فيما يتعلق الأمر بضاحية المعادى ؟ . . أم ترى لأنها بدأت كمشروع غربى !!

** ولأننا شعب له تاريخ . . فإننا نهتم بالشوارع وتسميتها بأبطالنا القوميين ، قديمًا وحديثًا . بل ونطالب بإعادة النظر فى أسماء شوارعنا لتنقيتها مما هو غريب . ولكن على أساس علمى . أى تتولى ذلك لجنة علمية فيها من أساتذة التاريخ ، وفيها من يعلمون عظمة هؤلاء الرجال .

وما دمنا اتفقنا على أن الشوارع خير شاهد حى على التاريخ ، تعالوا نغوص فى أعماق التاريخ . نشرح للناس تاريخ صاحب كل شارع . ولماذا وضعناه حيث يجب . .

** تعالوا نقرأ تاريخ مصر من خلال أسماء شوارع مصر . . أو بمعنى أكثر دقة . تعالوا نعيد الذاكرة لعقل شعب مصر ، تعالوا ننبش تاريخ الأمة المصرية ، وليعرف جيل هذا الزمان عظمة رجال أيام زمان . .

وقبل أن نبدأ حكاية « شوارع لها تاريخ » هناك ظواهر عديدة فى مصر يجب أن نضعها فى الاعتبار . مثلاً شوارع القاهرة الفاطمية المعزية التى أصبحت حاضرة «الدولة أو الخلافة الفاطمية الشيعية » وتنافس دولة الخلافة العباسية السنية فى بغداد ، والأموية السنية أيضًا فى الأندلس . . شوارع القاهرة الفاطمية هذه لم تحمل أسماء أشخاص . . ولكنها حملت أسماء مهن أو حرف أو تجارة وصناعة . وهى لم تأت اعتباطًا . ولكنها جاءت صورة من الواقع . فالذين اختطوا القاهرة الفاطمية راعوا تركيز أصحاب الحرف كل حرفة فى شارع أو منطقة . . وهكذا وجدنا على مرمى البصر من القصر الكبير حيث مقر الخليفة شوارع النحاسين « أى باعة الأوعية النحاسية فى الأساس وليس صناعتها » والصنادقية « وهم باعة الصناديق التى كانت تمثل مهمة الدولاب » أى لحفظ الملابس والغالى من الأشياء . وكانت العروس يقاس غناها بعدد الصناديق التى تحملها الدواب من بيت والدها إلى بيت « العَدَل » أى الزواج . وكانت تصنع من أخشاب متنوعة منها الغالى المستورد من جبال لبنان ، أو من الأناضول واليونان ومنها الخشب المحلى الذى نتندر عليه باسم « الخشب القباقيبى أى الخشب الذى يصنع منه القبقاب !! ثم منطقة أو حى أو شارع « الفحامين » وفيه تتركز تجارة الفحم الذى كان صنعة هامة للمصريين ثم «الخيامية» وهم صناع وباعة الخيام بحكم توفيرها للبدو ومن يسكنون على حواف المدن . أو للاحتفالات والأسمطة التى كان يقيمها الخليفة أو الحاكم ، والوالى فى المناسبات . وكانت فناً رفيعاً أهدرناه الآن للأسف بعد أن تحول من فن للتطريز اليدوى إلى «طبع» على القماش كما نراه الآن .

. . وعلى هذا المنوال نجد «المغربلين» وهذه كانت حرفة نشطة بحكم اتساع تجارة الحبوب . فقد كان هناك من يتولى «غربلة» الحبوب بواسطة «الغربال» . بهدف تنظيفها

مما بها من شوائب . ثم «الكحكيين» أى باعة الكحك وصناعه ، حتى السلاح كانت له سوقه المشهورة ومازال الاسم قائماً حتى الآن . . وعلى نفس المنوال حى العطارين فى الاسكندرية مثلاً .

. . الملاحظة الثانية أن وسط القاهرة غرب ميدان العتبة وجنوبه منطقة حديثة نوعاً ما . وهى المنطقة التى بدأ تخيططها فى عهد الخديوى إسماعيل وهى الواقعة بين الأزبكية وحتى أول بولاق من ناحية . . ومن الفلكى وباب اللوق حتى ميدان الإسماعيلية «التحرير الآن» هذه المنطقة تحمل الآن أسماء زعماء وقادة العمل السياسى فى مصر على امتداد ١٥٠ عاماً وهى أسماء كان لها دورها الفعال فى أخصب فترات النضال السياسى المصرى : مثل شريف وعدلى وثروت ورشدى ومصطفى كامل ومحمد فريد وأحمد عرابى . . كما حملت أسماءً ملكية مثل شوارع فؤاد «٢٦ يوليو حالياً» وفاروق «الجيش حاليا» والملكة نازلى «رمسيس حالياً» ، وتوفيق والتوفيقة «وأحمد عرابى» وسليمان باشا «الفرنساوى» أركان حرب الجيش المصرى أيام محمد على والآن «طلعت حرب» .

. . الملاحظة الثالثة أن هناك ساسة تولوا الحكم كرؤساء وزارات ووزراء كبار لم نر أسماءهم على الشوارع ربما بسبب دورهم الذى رفضه الشعب مثل إسماعيل صدقى وبطرس غالى وعلى ماهر وإبراهيم الهلباوى . . وهل ينسى الناس مذبحة دنشواى ودوره فى محاكة أبطالها بينما وجدنا شارعاً هاماً باسم نوبار باشا الأرمنى الأصل وأول رئيس وزارة فى مصر «رئيس النظار» من هنا فإن الشعب لايرحم ، يمجد من يستحق ، ويهيل التراب وتلال النسيان على الذى أساء لمصر .

. . الملاحظة الرابعة أن هناك أسماء أطلقت للمجاملة . مثل شارع عبد العزيز الذى يخرج من ميدان العتبة التى كانت خضراء والآن العتبة الأسفلتية !!وبالمناسبة كانت قبل الخضراء اسمها «العتبة الزرقاء» . . وسنعود إلى ذلك . . هذا الشارع شقه ورصفه الخديو إسماعيل وأطلق عليه اسم السلطان العثمانى عبد العزيز عندما زار مصر. ولأن إسماعيل كان يسعى للكثير من المزايا فلم يستنكف أن يمسك بلجام الخيول الخديوية التى كانت تجر عربة الخديو التى كان يستقلها السلطان . . عبد العزيز .

تماماً كما أن هناك أسماء : إيران ومصدق ودارا وقمبيز وقورش . وبهلوى عندما كانت مصر وإيران تربطهما المصاهرة بزواج أميرة مصر فوزية بنت الملك فؤاد من ولى عهد إيران وقتها : محمد رضا بهلوى . .

ومصر هى بلد الغرائب بأى مقياس . ولأن الشوارع هى واجهات المدن فإنها تعبر عن هذه الغرائب بشكل عملى . تعالوا نطوف بشوارع وحوارى وأزقة مصر لنتعرف على جانب من هذه الغرائب التى نراها معلقة على الشوارع والأزقة والحوارى . ومصادرنا هنا الجولات الميدانية التى قمت بها ، ومازلت . فضلاً عن تجول بين أمهات الكتب وبالذات التى تتناول الخطط وفى مقدمتها خطط المقريزى . والخطط التوفيقية والخرائط وأيضاً كتب الرحالة .

. . بداية هناك شوارع تحمل أسماء وجبات غذائيةأو حيوانية فنجد فى القاهرة المعزية شوارع : حوش الحمص. عطفة الحمصانى . بئر الحمص. معمل الفراخ . الفراخة . عطفة قفص الوز . عطفة الماعز . شارع ضلع السمكة . شارع خميس العدس .

ونجد شوارع وأزقة تحمل أسماء الحرف القديمة : شارع السيارج ـ التمار ـ من التمر ـ السقائين . الخضرية . درب السماكين : درب المبلط ـ درب المزين . درب الدهان ـ والمقصود هنا ليس بائع الدهن من اللحم ولكنه بائع الدهن أى العطور !! شارع الصوافة . الفحامين . الفوطية «صناع الفوط» «القربية» «صناع القرب» للسقائين . . اللبودية أى صناع اللبد. الوراقين أى تجار الورق والكتب . والقطانين . حارة العرقسوس وعطفة المخللاتية!!

. . وهناك شوارع وأزقة تحمل أسماء : سوق الزلط . سوق العصر . سوق التلات . سوق البقر . شارع البغالة . وإذا كان هذا مقبولاً فماذا نقول فى شوارع وأزقة وحوارى تحمل اسماء : عطفة شق الثعبان . وحارة التمساح . بل وشارع عزرائيل !! وحارة القتلى وحارة القتيل وحارة القتيلة !! وحارة قلعة الكلاب .

وشارع بين النهدين وشارع أبى الليف . وحارة الزير المعلق والسبع قاعات وكلها حول شارع الموسكى وشارع الخليج والدرب الأحمر

. . ولأن للمصرين ولعاً شديداً بالطعام وما يؤكل أو يشرب نجد أسماء : حارة النبقة رغم أن فاكهة النبق تكاد تختفى من مصر الآن مع أشجار التوت والتين أى الجميز وإن وجدنا شارع درب الجماميز . ثم عطفة البرقوقية . عطفة بطيخة . عطفة الخوخة . عطفة الجلاب . أما الأكثر غرابة فهو فى حارة الدودة !! وعطفة البردعة . وعطفة الخمارة !! وعطفة الحوش الخربان . . وخوخة العطارين . وسوق الخفافين أى باعةخفاف النساء ونعالهن وفيه أيضا كان يسكن باعة هذه الخفاف أى جمع خف وهل ننسى الفجالة وشارع وحى الفجالة !!

. . ومن غرائب الأسماء نجد متفرعاً من شارع الخليج المصرى : شارع قنطرة الذى كفر ومنه شارع الحين ولهذا الشارع حكاية فهو يبدأ من ميدان بجوار قنطرة الخليج وينتهى عند شارع ضلع السمكة بقرب تكية النقشبندية . وأنشأ هذا الشارع الأمير يوسف الشهير بالحين فى القرن التاسع الهجرى وقبالته كان هناك جامع الحين ، وأمامه كانت هناك قهوة صغيرة تعرف بقهوة الحين ، وكان يجلس عليها حانوتية الموتى ومطيبوا العوالم وقد زالت هذه القهوة عند فتح شارع محمد على وأنشىء محلها قهوة كبيرة لها بابان أحدهما يتجه إلى الجامع والآخر بشارع محمد على . واستمرت هذه القهوة الجديدة مقرا لجلوس الحانوتية والمطيبين وهى من ضمن المبانى التى أقامها الأمير حسن باشا الشريعى . وعند إنشاء وفتح شارع محمد على قسم الشارع القصر إلى قسمين .

. . ولأن القاهرة كانت محاطة بأكثر من سور لحمايتها كان لابد من إنشاء أبواب يدخل ويخرج منها الناس ، لهذا وجدنا أبواباً تحولت إلى شوارع وإلى ميادين مثل : شارع باب البحر ـ من ناحية باب الحديد ـ وشارع باب الخرق الذى تحول إلى ميدان باب الخلق . وشارع باب الشعرية الذى تحول إلى ميدان باب الشعرية . وشارع باب زويلة . بل ووجدنا شارع بين السورين . اى السور القديم الذى بناه جوهر الصقلى منشىء القاهرة ، وسور بدر الجمالى الذى استنجد به الخليفة الفاطمى لحمايته وحماية القاهرة وإعادة الأمن والاستقرار إلى العاصمة . .

وإذا وجدنا درب العجان فلا غرابة أن نجد درب العسال . . ثم درب الفرن ودرب القمح !!

.. وعلى طريق إنعاش ذاكرة الأمة ، أو إعادة الروح للذاكرة الوطنية وقبل أن نغوص فى معانى أسماء شوارع مصر ، نستكمل ما بدأناه من ملاحظات عامة حول أسماء شوارع وأحياء مصر . .

.. مثلاً يجب أن نلاحظ «تحرك» النشاط التجارى فى القاهرة وأثر ذلك فى تطور أسماء الأحياء والشوارع ففى فترة معينة تركز النشاط التجارى فى القاهرة المعزية : فى الحمزاوى والغورية والأزهر وعلى طول شارع المعز ، الشارع الأعظم .

ثم مع إعادة تخطيط ميدان العتبة وشق شوارع جديدة مثل شارع عبد العزيز والموسكى والشارع الصاعد إلى باب الشعرية ، ثم شق شارعى محمد على وكلوت بك .. انتقل النشاط التجارى أو تحرك «الوسط التجارى» إلى العتبة وما حولها . وأصبحت هى «صرة مصر» تتفرع منها الشوارع الرئيسة وخطوط الترام والأتوبيس والتروللى . ولهذا كان فيها كل المناطق الأساسية : البوسطة العمومية. المطافى الرئيسية . المسارح . سوق الخضر والفواكه . ووجدنا المحال المصرية الكبيرة . فى عمارة « تيرنج» : «المصرى أفندى وفى شارع عبد العزيز نجدمحلات عمر أفندى. وصيدناوى فى ميدان الخازندار وهو نموذج طبق الأصل من محلات لافاييت فى باريس . ومحلات ٥٠ ألف صنف وهكذا

.. ومع تخطيط القاهرة الحديثة أيام الخديو إسماعيل وما بعدها وشق شوارع جديدة فيما حول باب اللوق التى كانت ملعبا وساحة للرياضة فى عصر المماليك . ثم منطقة وسط القاهرة الحالية ، وشق الشوارع العصرية مثل شوارع فؤاد وشريف وقصر النيل وسليمان باشا والألفى وعدلى وثروت . . مع إنشاء هذه الشوارع على نمط الشوارع الباريسية ، تحركت منطقة النشاط التجارى للمرة الثالثة وانتقلت من العتبة إلى الشوارع الحديثة هذه ، وهكذا وجدنا الشوارع الجديدة تعج بالنشاط التجارى وانتقلت لها فروع المحلات الكبرى والبنوك وغيرها . . . . وبسبب ازدحام الوسط التجارى الجديد ، بعد أن تجاوز عدد سكان العاصمة الملايين العشرة ، ومع صعوبة «التسوق» واختناق السوق حدث «التحرك الرابع» لأسواق القاهرة أى انتقل الثقل التجارى إلى الضواحى ، بعد أن تشعبت العاصمة وامتدت : فوجدنا سوقاً مركزياً فى ضاحية مصر الجديدة . وبالذات فى منطقة روكسى ، كما وجدنا سوقاً مركزيا ناشئاً جديداً

ولكن فى غرب النيل هذه المرة . . وهو السوق التجارى حول نادى الزمالك وشارع جامعة الدول العربية وما يتفرع منه فى شوارع حى المهندسين الجديد أى تفرع النشاط التجارى إلى مصر الجديدة فى شرق القاهرة . ثم فى غربها وأخيراً ، وليس آخراً ، فى مدينة نصر وبالذات حول شارع عباس العقاد وهذا التوزيع والانتشار أمر طبيعى بسبب اتساع مساحة العاصمة وتضخم عدد سكانها . وتحول القاهرة الى «المدينة المتروبوليتان» أى متعددة الضواحى ، المترامية الأطراف .

. . ومع نشوء الضواحى حول العاصمة المصرية نشأت أحياء جديدة وهذه أخذت أسماء جديدة . . ولنا هنا عدة ملاحظات .

ففى المهندسين التى نسميها أحيانا مدينة المهندسين ، وأحيانا حى المهندسين ، يجب ان نعود إلى اسمها الأصلى والحقيقى . . وهى مدينة الأوقاف لأن كل هذه الأرض كانت ـ وما زالت ملكا للأوقاف !! وفى هذه المدينة نجد ظاهرة جديرة بالتوقف عندها ـ ذلك أن أشهر شوارعها بل وأعرض وأطول شارع فى القاهرة الكبرى ـ بعد صلاح سالم ـ نجد شارعاً يحمل اسم شارع جامعة الدول العربية . وحوله تتفرع شوارع تحمل أسماءً لدول أو مدن عربية مثل : السودان . سوريا . لبنان . الحجاز . دمشق . عمان . الجزائر . جزيرة العرب . وادى النيل . الفرات فهل جاءت هذه الأسماء بناء عن مخطط مرسوم . . أم رمية من غير رام ؟!

. . وفى ضاحية مصر الجديدة التى حملت لفترة اسم : ضاحية هليوبوليس وحملت عندما أنشأها البارون إمبان فى بداية القرن العشرين اسم «واحات عين شمس » فى هذه الضاحية بسبب غلبة العنصر الأجنبيى على سكانها وجدنا أسماء غربية تطلق على شوارعها وميادينها مثل روكسى . تريومف . البارون ، سانت فاتيما ولكن بعد خروج نسبة كبيرة من سكانها الأجانب ـ وفى أعقاب عملية التمصير منذ أوائل الستينيات . . وجدنا الأسماء العربية تفرض نفسها على الضاحية البلجيكة النشأه مثل شوارع : عمربن الخطاب . أبو بكر الصديق . عثمان بن عفان . العروبة . هارون الرشيد . الكربة . غرناطة . الخليفة المأمون . والإمام على . الحجاز فهل جاءت هذه التسميات اعتباطاً أم جاءت لتعيد للضاحية وجهها المصرى العربى ؟

. . على كل حال . . كانت هذه مقدمة لابد منها قبل أن نغوص فى معانى شوارع مصر لننعش ذاكرة الأمة ، ونقدم للجيل الجديد تاريخ مصر حياً نابضاً من خلال استعراضنا لشوارع لها تاريخ .

عباس الطرابيلى

العجوزة : شوال ١٤١٦ هـ

مارس ١٩٩٦م





الباب الأول

القاهرة الإسلامية



تاريخ مصر .. فى شارع

طوله الحقيقى ٤٨٠٠ متر .

يعرفه ـ ويعشقه ـ ويعرف قيمته الأجانب من سياح ورحالة ومؤرخين وربما أكثر مما يعرفه ويعشقه أبناء مصر أنفسهم !!

هو أول أكبر وأشهر شارع فى القاهرة المعزية الفاطمية . .

وكما يقف الأجنبى مشدوداً مشدوهاً أمام الهرم الأكبر . . يقف هذا الأجنبى متعبداً خاشعاً أمام مساجد هذا الشارع ومنشآته العبقرية . . فالأجنبى يخلع نعليه احتراماً وخشوعاً أمام كل عظيم وكبير . وهل هناك أعظم من المنشآت الإسلامية فى هذا الشارع . . التى تمثل ستة عصور إسلامية كبرى : فاطمية وأيوبية ومملوكية بحرية ثم مملوكية برجية جركسية . . ثم عثمانية تركية حتى نصل إلى عصر محمد على باشا الكبير . . فهل هناك فى مصر كلها ، بل فى غير مصر ، من الشوارع ما يحمل عبق كل هذه العصور بكل جلالها وقيمتها وعظمتها ؟

هو الشارع الأعظم ـ هكذا سماه كل الرحالة والمؤرخون العرب ـ وهو أول شارع شقه ورفع أساسه جوهر الصقلى القائد الذى فتح مصر وبنى القاهرة والأزهر . وسماه البعض : شارع المعز لدين الله ،، فيه من الآثار الإسلامية مساجد ينحنى أمامها أعظم البناة . . وفيه المدارس التى تعبر عن طبيعة الأمة المصرية من تسامح وانفتاح حيث التعليم على المذاهب الإسلامية الأربعة . . وفيه أعظم مستشفيات العصر . حيث كان يعالج المريض ويصرف له الدواء والغذاء والملبس ثم يخرج للحياة ومعه ما يبدأ به عمله من جديد . . البيمارستان !!

وفيه الخانقاه : دار التعبد الصافى البعيد عن ملذات الدنيا ، حيث عاش المتصوفة

أيامهم ولياليهم تقرباً للمولى عز وجل . . وفيه ما يروى عطش ابن آدم ودابته أيضا فى حر الصيف : السبيل الذى كان السلاطين والأمراء والأغنياء يتسابقون لإقامته حيث يتجمع الناس للتجارة والمرور . . وفيه «الكتاتيب» . . ومع كل هذا فيه المحلات الكبرى : الوكالات التى تستقبل تجار الشام واليمن . العراق وأفريقيا . .

عمره الآن تجاوز الألف عام . . ترى ما هى الصورة التى بقى عليها حتى الآن وكيف صمد وعاش أيام العز والجاه والعظمة والسلطان . . وبقى ثابتاً رغم المحن التى مر بها أيام الانكسار والهوان . ورغم كل ما أصابه إلاّ أن مابقى يدل على عظمة ما أنشأه سلاطين مصر وحكامها : إما تقربا للعلى القدير . . أو للشعب الذى وقف وراء كل هذا بعرقه وكده . . علمه وفنه . .

. . تعالوا نزور التاريخ . . فى الشارع الذى يروى تاريخ القاهرة المدينة ذات الألف مئذنة . . والألف عام ويزيد قليلاً . .

عندما فتح جوهر القائد مصر باسم الفاطميين كان أول ما فكر فيه أن ينشىء عاصمة للدولة الجديدة . . ومسجداً . مدينة يحكمون منها مصر بكل عظمتها ثم لتصبح بعد قليل عاصمة الدولة التى تمتد من الشام والحجاز واليمن . . إلى أفريقيا الشمالية كلها . .

والمسجد هو الجامعة الجامع لتدريس المذهب الدينى والسياسى الجديد للدولة الجديدة . . الأزهر .

وعندما أنشأ القاهرة جعل جوهر فى السور الشمالى بابين هما باب النصر وباب الفتوح . وجعل فى السور الجنوبى بابين متجاورين هما بابا زويلة . . وجعل من باب الفتوح وباب زويلة شارعاً . وعلى الجانب الشرقى من الشارع بنى قصراً للخليفة هو القصر الشرقى الكبير ليقيم فيه « صاحب مصر المعز لدين الله » وعندما تولى ابنه العزيز حكم مصر أنشأ قبالة هذا القصر قصراً جديداً أصغر قليلاً سمى بالقصر الغربى وهذا الجزء من هذا الشارع ـ الأعظم ـ عرفه الناس باسم : بين القصرين !

ولما استدعى الخليفة الفاطمى المستنصر واليه على فلسطين بدر الجمالى الأرمنى الأصل لينقذ القاهرة أسرع بدر الجمالى الذى لقبه بأمير الجيوش إلى تحصين القاهرة ،

فنقل الجمالى ما بين السورين الشمالى والجنوبى إلى موقعيهما الحاليين على بعد ١٥٠ متراً وأبقى على بابى النصر والفتوح . . ولكنه جعل فى السور الجنوبى باباً واحداً هو باب زويلة . وهكذا امتد الشارع الرئيسى بين هذه الأبواب .

و إذا كان العامة قد أطلقوا اسم«بين السورين » على المنطقة الممتدة الجديدة وينطقها العامة خطأً» «بين الصورين» فإن المؤرخين والرحالة أطلقوا على هذا الشارع الرئيسى : الشارع الأعظم أو شارع القاهرة . أو القصبة . وهو ما نعرفه الآن باسم : شارع المعز لدين الله .

ولكن الشارع لم يتوقف عن النمو . إذ مع الزمن امتد شمالاً خارج باب الفتوح - ولاحظ الاسم عندما كانت تخرج منه جيوش مصر للفتح - إلى ميدان الجيش وحتى حى الظاهر .

وامتد الشارع جنوباً من باب زويلة الى مقام السيدة نفيسة . . ثم إلى الفسطاط . ليصل طول الشارع الأعظم إلى حوالى ٤٨٠٠ متر . . ولكننا سنقصر زيارتنا هذه على الجزء الأقدم أى من باب الفتوح إلى باب زويلة وطوله هنا حوالى ١٥٠٠ متر ونترك الباقى شمالاً خارج باب الفتوح - ٩٠٠ متر - وجنوباً من شارع القلعة الحالى إلى السيدة نفيسة - ١٦٠٠ متر - إلى زيارة أخرى ربما تمتد أيضاً إلى باقى الشارع من باب زويلة حتى التقاطع مع شارع القلعة - ٨٠٠ متر .

باب الفتوح الذى كانت تخرج منه الجيوش المصرية للغزو والفتح

بوابة باب النصر وكانت تدخل منه الجيوش المصرية عائدة بعد أن تحقق النصر على الأعداء .

(شارع لكل العصور !)

هو فعلاً كذلك . شارع كل العصور !!

. . ففى العصر الفاطمى ـ حيث النشأة الأولى ـ نعيش مع الشارع عصر الدولة الوليدة التى جاءت غريبة إلى مصر فدخلت قلوب كل المصريين بما أدخله من مظاهر الاحتفالات الدينية والدنيوية وحازت حب الناس بما قدمته من خلال «ذهب المعز» وكرم كل من جاء بعده من سلاطين ووزراء . . ومع هذا العصر الفاطمى بزغت أنوار حضارة إسلامية جديدة . وانفعل الفن المصرى ـ الإسلامى مع أفكار وأبعاد هذه الدولة ، فنشأ فن مصرى متكامل وثَبت العمارة الإسلامية فيه وثبة هائلة اقتربت من الكمال ، عندما امتزجت الخبرة المعمارية المصرية القديمة بمتطلبات العصر الجديد فجاءت الإنشاءات الكبرى وقتها . . بعد أن هضمت المدرسة المعمارية المصرية كل أساليب العمارة التى جاءت بها الدولة الفاطمية من المغرب ممزوجة بفن العمارة الأندلسية والبيزنطية ، بعد ذلك . وكان أبرز معالم المدرسة المعمارية المصرية الجديدة استخدام الجص والخشب والمحاريب الخشبية وارتقت القبة . . مع انتشار البناء بالأحجار بجانب الطوب وتطور فن بناء المآذن .

. . وفى العصر الأيوبى ـ رغم أنه كان عصر جهاد ودفاع ورد للغزاة الطامعين إلا أنه ترك لنا منشآت عظيمة . ورغم أن عصر هذه الدولة لم يتجاوز ٨٠ عاماً بينما ظلت مصر دولة فاطمية زهاءقرنين من الزمان ـ ورغم أن معظم منشآت الأيوبين فى مصر أبيدت تقريباً ، إلا أن ما بقى ـ على قلته ـ يعطى فكرة طيبة عن ازدهار العمارة والفنون فى عصرهم . .

وربما تكون المدارس هى أبرز هذه العمائر . ومنها المدرسة الكاملية التى أنشأها الملك الكامل فى هذا الشارع الأعظم . كما برعوا فى إنشاء القباب والمنائر . ويمكن أن نعتبر القباب فنا أيوبياً واضحاً ومنها ما بنى من الخشب المكسى بالرصاص ، ومنها القباب الحجرية وأبرز مثال لها قبة الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الأيوبيين ، إذا أسقطنا فترة حكم ابنه توران شاه لقصر مدتها . .

وفى العصر الأيوبى شاع استخدام خط النسخ بجانب الخط الكوفى الذى كان سيد

الخطوط قبل هذا العصر . وازدهرت صناعة الخشب والنحاس وظهر الزجاج الملون فى الشبابيك . . وعاد فن الفسيفساء المذهبة فى المحاريب .

تمصير العمارة الإسلامية :

. . ويسلمنا العصر الأيوبى إلى عصر المماليك البحرية ـ أكثر من ١٣٢ عامًا ـ لنصل إلى العصر الذهبى لهذا الشارع الأعظم حيث تنافس الملوك والسلاطين والأمراء فى تشييد المبانى المعمارية الإسلامية وأدخلوا مجموعات متكاملة . فلم يعد السلطان بانيا للمسجد وحده . . بل وجدنا المجموعات : كما فى مجموعة الناصر محمد بن قلاوون الذى أنشأ أول وزارة للأشغال فى تاريخ مصر . . فوجدنا فى المجموعة الواحدة المدرسة والمسجد . والخانقاه . أو المدرسة والمسجد والبيمارستان .

وفى هذا العصر تم تمصير العمارة الإسلامية فى مصر ، وأخذت كما يقول حسن عبد الوهاب ـ الأثرى الذى عشق الآثار االإسلامية فى مصر ، وتخصص فى دراسة مساجدها بالذات ـ « طابعًا خاصًا ميزها عن باقى الفنون وظهر التحسن واضحًا فى أعمال الخشب ، وظهرت صناعة جديدة هى تكوين الجصّ المنقوش وتغطيته بزجاج رقيق . بل وظهرت مع التمصير تأثيرات أندلسية وأخرى فارسية خصوصًا فى القباب والمنارات . بل وظهرت كتابة التاريخ بالأرقام مع تطعيم الخشب بالنحاس . . كما انتشر إنشاء الحمامات والثريات النحاسية . ووضح هذا فى مدرسة الظاهر ومدرسة وبيمارستان وقبة السلطان قلاوون وأعمال ابنه فى هذا الشارع الأعظم » .

العصر الماسى :

** ونصل إلى عصر المماليك الجراكسة أو البرجية الذين حكموا مصر حوالى ١٣٤ عامًا وفيه ازينت العمارة الإسلامية وأخذت زخرفتها تمامًا حيث ازدادت المنارة رشاقة وجمالاً . كما غلب تصميم المدرسة على المسجد . وتم تحلية القباب من الخارج بالنقوش وبنيت إما بالأحجار بالكامل . . أو مع الطوب . حتى أطلق المؤرخون على القاهرة « مدينة القباب والمنارات . وارتقت صناعة النجارة فى الأسقف . وتطورت المقرنصات وكثر استخدام الزخارف فى واجهات المدارس والمساجد مع تغطية الأسقف بالنقوش . . ومن أبرز الإنشاءات المعمارية فى الشارع الأعظم ـ شارع المعز ـ مدرسة

وخانقاه ومسجد السلطان الظاهر برقوق ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦ م . وجامع السلطان المؤيد ١٤١٥ ـ ١٤٢٠م ومسجد السلطان الغورى ١٥٠٤م ثم منزل ومقعد وسبيل وكتاب نفس السلطان قانصوه الغورى ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م . وهو آخر سلاطين المماليك الجراكسة الذى حاول وقف المد العسكرى والسياسى العثمانى على مصر والشام ، ولكنه هزم بسبب خيانة واليه فى حلب وحماه . . ونقول آخر سلاطين المماليك لأن نائبه ثم خليفته طومان باى كرس أيامه لمحاولة التصدى للقوات العثمانية الغازية التى زحفت على مصر بعد هزيمة الغورى فى موقعة مرج دابق عام ١٥١٦ ـ فى أعالى الشام ـ ودخلت قوات سليم الأول العثمانى القاهرة فى يناير ١٥١٧م .

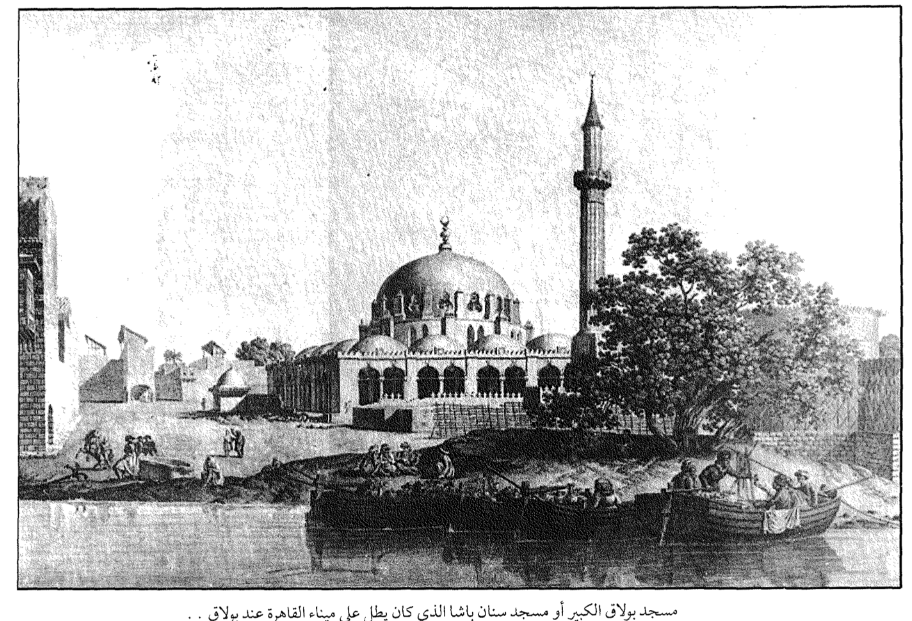
ومن المؤكد أن عصر المماليك الجراكسة ـ و إنشاءاتهم العظيمة فى شارع المعز ـ هو العصر الماسى للعمارة المصرية ـ الإسلامية ثم دخلت مصر بعده إلى عالم النسيان وذوبان الشخصية المصرية سياسيًا وعسكريا ومعماريًا وحضاريًا فى ظلام العصر العثمانى لمصر الذى دام أربعة قرون بالتمام والكمال إذ دخلت مصر فى حوزة العثمانيين ١٥١٧ م ونزعت عنها انجلترا السلطان العثمانى وفرضت حمايتها على مصر عام ١٩١٤م .

عصر الضياع :

وشهد عصر ضياع السيادة المصرية ظهور عمارة جديدة تركية مطعمة بالتأثير البيزنطى الكنسى . وأبرز مثل على هذا مسجد سليمان باشا فى القلعة بعد ١٣ عامًا فقط من الحكم العثمانى لمصر ، ومسجد سنان باشا فى بولاق بعد ١٠٠ عام . كما وجدناه فى شارع المعز فى التكية التى أقامها سليمان باشا فى السروجية . ثم دخلت مصر عصر الظلام العثمانى . . رغم محاولات محمد على باشا الإنشائية المعمارية التى أبرزها مسجده فى قلعة صلاح الدين ، إذ جاء هذا المسجد على غرار مسجد السلطان أحمد فى الآستانة ! !

الخانقاوات والتكايا :

والآن تعالوا نصنف المنشآت والآثار الإسلامية العظيمة فى هذا الشارع الأعظم ـ



مسجد بولاق الكبير أو مسجد سنان باشا الذى كان يطل على ميناء القاهرة عند بولاق . .
والصورة من رسم الفنان الفرنسى بلزاك أحد فنانى الحملة الفرنسية .

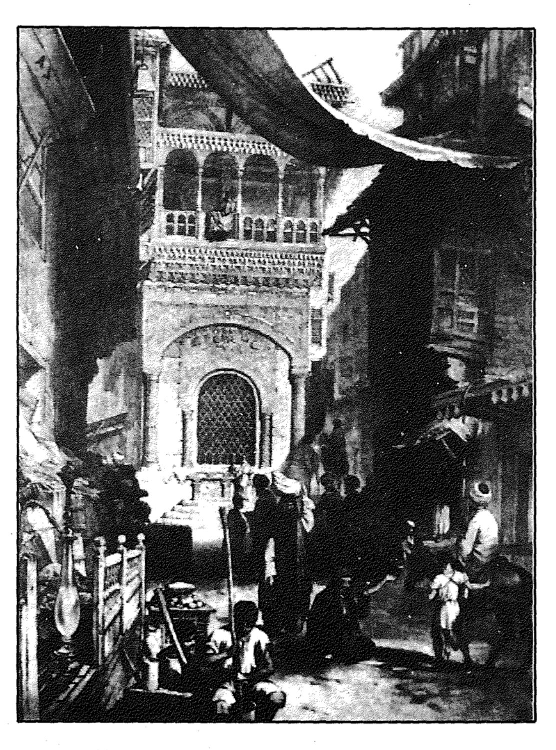
شارع المعز لدين الله ـ والشوارع والحوارى المتفرعة منه والمتقاطعة عليه ، هذا الشارع الذى نعتبره متحفًا معماريًا حيا . .

** فغير المساجد الكبيرة ، انتشرت دور العبادة التى خصصت للصوفية . وشهد القرن الثالث عشر ثم القرن الرابع عشر نشاطًا هائلا فى إنشاء الخانقاوات مثل مسجد وخانقاه إيدكين البندقدارى « ١٢٨٤م» . وخانقاه بيبرس الجاشنكير « ١٣٠٦ م» وخانقاه خوندام أنوك « ١٣٤٩م » وخانقاه وقبه الأمير شيخو « ١٣٥٥م » ومسجد وخانقاه نظام الدين « ١٣٥٦م » وخانقاه الناصر فرج بن برقوق « ١٤٠٠م » وفى نفس العام نجد خانقاه سعد الدين بن غراب . . ثم خانقاه ومسجد السلطان برسباى «١٤٣٢ م » وأخيرًا قبة وخانقاه ومدرسة السلطان الأشرف إينال « ١٤٥١م » .

وبعد الخانقاوات وجدنا التكايا وارتبطت إلى حد كبير بالحكم والعصر العثمانى بما تمثله هذه التكايا من تطوير ـ نحو الكسل ـ للخانقاه . . والغريب أن أول تكية عثمانية بمصر أقيمت بعد عامين فقط من سقوط مصر تحت قبضة الحكم العثمانى . . فوجدنا تكية وقبة الكلشنى « ١٥١٩ ـ ١٥٢٤ » وتكية السليمانية « ١٥٤٣م » وتكية السلطان محمود « ١٧٥٠م » ثم تكية الرفاعية « ١٧٧٤ م » .

سبيل لله .. يا عطشان !

ولكننا نجد حسنة تذكر للعصر العثمانى فى مصر . فإذا كنا قد عرفنا نظام «السبيل» لتوفير المياه العذبة للمارة والسكان فى العصر المملوكى مثل سبيل السلطان الناصر محمد بن قلاوون « ١٣٢٦م» وسبيل الوفائية « ١٤٤٢ م» واستمرار بناء الأسبلة المفردة . وأحيانًا نجد منشآت ثنائية الهدف أى « سبيل وكتّاب » أى إرواء العطشى للماء . . وإرواء العطشى إلى العلم . . وربما كان أول مثل لهذا الهدف المشترك هو « سبيل وكتاب» خسرو باشا ١٥٣٥ م أى بعد ١٨ عامًا فقط من الفتح العثمانى لمصر . وسبيل وكتاب وقف قيطاس « ١٦٣٠ م» وسبيل وكتاب أمين أفندى هيزع « ١٦٤٦ م» وسبيل وكتاب وقف أوده باشى « ١٦٧٣م» وسبيل وكتاب الأمير عبد الرحمن كتخدا«١٧٤٤م» وفى نفس العام سبيل وكتاب الشيخ مظهر . وهكذا. ولا ننسى مسجد وسبيل وكتاب



سبيل الأمير عبد االرحمن كتخدا . . وهو مثال للعمارة التركية التى تأثرت بها العمارة المصرية الإسلامية [والصورة من القرن التاسع عشر] .

سليمان أغا السلحدار على شارع المعز نفسه قبل أن نصل إلى تقاطعه مع شارع أمير الجيوش الجوانى .

** ثم وجدنا عملاً خيريا ثنائيًا آخر . فإذا كان الأول « سبيلا وكتابًا » لبنى الإنسان ، فإننا نجد من ينشىء سبيلاً لإرواء عطش الإنسان . . وينشىء بجواره حوضًا لإرواء عطش الدواب ولهذا وجدنا سبيل وحوض محمد أبو الذهب « ١٧٧٤ م» وربما ليرحمه الناس والدواب أيضًا بعد فعلته الشنعاء عندما خان سيده وبطل أول محاولة استقلالية بمصر عن تركيا على بك الكبير وبسبب هذه الخيانة عادت مصر . . ولاية عثمانية من جديد !!

كما نجد حوض السطان قايتباى . .

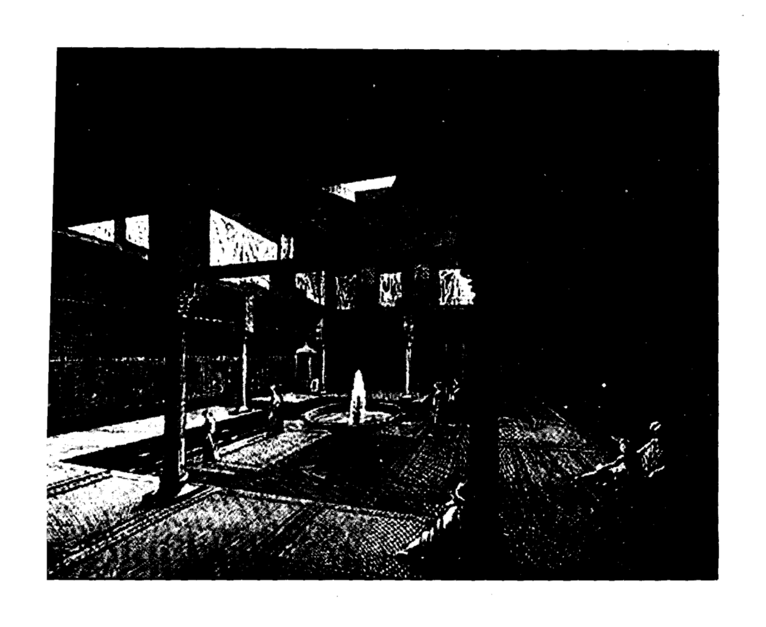
الحمامات .. وحضارة النظافة :

** وبجانب الأسبلة والكتاتيب التى أقيم معظمها طلبًا للخير وأوقف عليها أصحابها الأوقاف من أراض زراعية ومبانٍ . . نجد مظهرًا آخر يؤكد حرص المصريين على النظافة الخاصة . تلك هى بناء الحمامات العامة . . وهى المنشآت التى بهرت الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر واعتبروها مظهرًا حضاريًا أفضل مما كان موجودًا فى أوربا نفسها فى نفس الفترة . . وكانت هناك حمامات للرجال وأخرى للنساء . أو حمامات واحدة ولكن تخصص أوقات للرجال وأخرى للنساء . .

ومن الحمامات التى انتشرت فى منطقة شارع المعز وحوله نجد حمام السلطان المملوكى إينال « ١٤٥٦م » . وحمام الملاطيلى « ١٧٨٠ م» وفى نفس القرن الثامن عشر نجد حمام السكرية وحمام الطمبلى وفى القرن التاسع عشر نجد حمام العدوى . . وحمام الأمير بشتاك وحمام السلطان المؤيد على بعد أمتار غرب مسجده . .

الوكالات التجارية :

** **وعرف الشارع والمنطقة بالتالى نظام « الوكالات » . . وكانت عبارة عن أحواش كبيرة تحيط بها المحال التجارية متنوعة النشاط ، تستقبل التجار والتجارة المحلية المصرية . . وأيضًا التجار والبضائع المستوردة .**



صورة من الداخل لأحد الحمامات العامة التى كانت تشتهر بهالقاهرة فى القرون الوسطى .
والصورة رسم الفنان الفرنسى بروتانا أيام الحملة الفرنسية على مصر

فوجدنا وكالة وسبيل عباس أغا . ووكالة وسبيل وقف النقارى . . وإذا اتجهنا شمالاً للقادمين من ميدان العتبة نجد مباشرة وكالة السلحدار ووكالة بدوية بنت شاهين ووكالة تغرى بردى ووكالة الذهبى ضمن مجموعة متكاملة هى سبيل وكتاب ووكالة جمال الدين الذهبى ، ثم وكالة وسبيل الكردانى ، ووكالة محمدين ، ووكالة وقف الحرمين .

وغير بعيد على مرمى البصر يمين الشارع نجد عند شارع الضببية بين شارعى المعز والجمالية وكالة قوصون .

بين المندرة ..وبيوت الأمراء والأعيان

وإذا كانت القاهرة الفاطمية والأيوبية والمملوكية قد عرفت « المندرة » أى « المنظرة » التى كان يجلس عليها السلطان ليمتع عينيه ببحر الخليج . أى فتح السد عندما يرتفع منسوب فيضان النيل . . أو ليستعرض الجيوش المنطلقة للفتح عند باب الفتوح ، أو العائدة من الفتح والغزو منتصرة عند باب النصر !! فإن كثيرًا من السلاطين والأمراء أنشأوا « السقيفة » أو القاعات للراحة والاستظلال ، ولذلك وجدنا فى شارع المعز وعلى مرمى البصر منه مجموعة « منزل ومقعد وقبة وسبيل وكتاب قانصوه الغورى » . . ووجدنا سقيفة وسبيل مصطفى جوربجى مستحفظان ومقعد رضوان بك وقاعة ومقعد أحمد كتخدا الرزاز وقاعة الدردير شرق شارع المعز . .

ولم تتوقف العمارة المصرية الإسلامية عند المساجد والمدارس والقباب والأسبلة . . ولكن ترك لنا الزمن عدة قصور أو بيوت لتظل شهادة صدق على عظمة هذه العمارة . .

** ففى شارع المعز وأمام مجموعة قلاوون نجد بيت القاضى « القرن ١٩ » . ثم نجد قصر الأمير المملوكى بشتاك « ١٣٣٤ ـ ١٣٣٩م » الذى ترك أيضًا حمامًا أنشأه عند شارع سوق السلاح .

وغير بعيد عن قصر بشتاك نجد المسافر خانة « ١٧٧٩ ـ ١٧٨٨م » . . أما منزل السحيمى المشهور فيقع شمال جامع الأقمر وندخل إليه من شارع المعز يمينا قبل أن نصل إلى شارع الجمالية . . وهذا الشارع الذى وصلت شهرته إلى أوربا بنى فى الفترة من ١٦٤٨ إلى ١٧٩٦ م ومنزلى الألايلى والقاياتى اللذين بنيا فى القرن ١٨م ومنزل جمال

الدين الدهبى « ١٦٣٧م » وواجهة منازل وقف رضوان بك فى شارع الخيامية التى أقيمت فى القرن ١٧م .

● ● ●

ولم يكن غريبًا أن يمثل هذا الشارع مصر كلها . فقد تجمعت فيه كل أنواع الحرف من صناعة وتجارة . حتى أصبح « قصبة مصر » ولهذا أطلقوا عليه اسم « الشارع الأعظم » .

فإذا طفنا بهذا الشارع والمناطق المحيطة به ، والحوارى . . نجد قلب المدينة الصناعى والتجارى . .

ففى عصر الفرسان والحرب والقتال نجد « شارع السيوفية » حيث صناعة وتجارة السيوف . وفى هذا الشارع أنشأ صلاح الدين الأيوبى المدرسة السيوفية وأوقفها على الحنفية أى الدارسين على المذهب الحنفى . . ومحل هذه المدرسة الآن الزواية المعروفة باسم الشيخ مطهر . .

ونجد شارع « السروجية » حيث تباع تجهيزات الخيول للفرسان من سروج مطعمة بالذهب والفضة . وأيضًا اللبد أو اللباد الذى يوضع على ظهر الخيل تحت السرج الجلدى لحمايته من الاحتكاك .

ونجد « سوق السلاح » وكانت مخصصة لبيع القسى « جمع القوس » والنشاب والزرديات وغيرها من أسلحة الفرسان والمشاة . .

ثم نجد سوق المهامزيين وسوق اللجميين . والأولى نسبة إلى المهماز بأسنانه المدببة لغمز الجواد وحثه على زيادة السرعة . والثانية أى اللجميين نسبة إلى اللجام الذى يقاد به الجواد . وفى زمن العز والجاه كانت المهاميز واللجم تصنع من الذهب أو الفضة ، حسب درجة المملوك أو الأمير الفارس . وفى نفس السوقين كانت تباع وتصنع بدل الخيل من الفضة الخالصة . . فالعلاقة وطيدة بين الفارس والفرس . ومنها أيضًا كانت تباع السروج العربية . وبالقرب منها نجد « سوق الحوائصيين » وهى السيور التى يشد بها حزام سرج الفرس . وكان الصناع يغالون فى صنعها حتى عملت من الذهب الخالص المرصع بالجواهر ، وكان السلطان يوزعها على مماليكه وفرسانه . .

** ونجد « شارع الخيامية » وكانت صناعة وتجارة رائجة . حيث تصنع خيام السلاطين والأمراء والأعيان . وكانت السرادقات تنصب وتركب فى المواسم والأعياد والاحتفالات مثل « جبر الخليج » أى فتح الخليج عندما يصل ارتفاع مياه فيضان النيل إلى ١٦ ذراعًا حسب مقياس الروضة . ومازالت كتب الرحالة والمؤرخين تتحدث بإسهاب عن احتفالات شهر رمضان والأعياد . كما كانت صناعة وتجارة الخيام تنشط خلال الحروب لتوفير أماكن معسكرات ومخيمات الجيوش . وكانت الخيامية فنًا رفيعًا تخصصت فيه قلة من الأسر كانت تتوارثها أبًا عن جد . . والآن تحولت صناعة الخيام إلى صناعة تقليد ، أى من صناعة يدوية فنية بديعة إلى قماش مطبوع بالألوان . وشتان بين الأصل والتقليد !!

** ونترك صناعة وتجارة الحرب والسلاطين والأمراء لنصل إلى صناعة ارتبطت باحتياجات المساجد والأبواب والقلاع . . وفى مقدمتها نجد « سوق الكفتيين » فى منطقة الفحامين . والكفت أو التكفيت هو فن تطعيم الأوانى النحاسية بالذهب أو الفضة أو النحاس . وكانت صناعة رائجة لا تكاد تخلو منها أى دار فى مصر . مثلاً نجد باب مسجد السلطان برقوق ومدرسته « ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦م » وقد صنع من الخشب عليه طبقة كاملة من النحاس الأصفر . . والباب النحاسى هذا مطعم بالفضة ونجد اسم السلطان الظاهر برقوق محفورًا أو بارزًا ومكررًا على الباب الخارجى ، وعلى الأبواب الداخلية . ونجد الدعاء « أعز مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق أعز الله نصره » . ونفس النظام من أبواب نحاسية مطعمة بالفضة بالدعاء للسلطان يتوسطه الختم السلطانى « مكتوب هكذا : « برقوق السلطان الملك الظاهر عز نصره » .

أيضًا لم يكن جهاز أى عروس يخلو من عدة قطع من النحاس المكفت من دكة العروس التى كانت أشبه بسرير من خشب مطعم بالعاج أو الصدف أو من خشب . . حسب مقام العروس . .

** ونجد « شارع الصنادقية » حيث تباع صناديق العروس التى كانت ضرورية قبل معرفة الدواليب الخشبية الحالية ونشطت صناعة هذه الصناديق . وكانت تطعم بالصدف والعاج . . وامتدت هذه الصناعة فى عصر إنشاء المساجد والمدارس الكبرى . لهذا نجد فى هذه المساجد الكبرى « دكة المصحف » التى كانت تطعم بسن الفيل

والعاج . تمامًا كما نشطت صناعة الزجاج الملون المعشق . ونلاحظ هنا الربط الحضارى بين انتعاش بناء المساجد والمدارس والخانقاه . . وانتعاش العمارة ككل . وذلك لأن اهتمام السلاطين والأمراء ببناء المساجد وتزيينها انعكس على الحركة المعمارية كلها . وكما وجدنا هذه الصناعات المتقدمة فى المساجد والمدارس وجدناها أيضًا فى قصور الأمراء «قصر الأمير بشتاك » كما وجدناها فى الكتاتيب والأسبلة . . وفى بيوت الأعيان أيضًا . .

ونشطت أيضًا « صناعة الرخامين » والقزازين .

** ثم نصل إلى الحياة العادية والنشاط التجارى العادى فنجد أسواق الفحامين والنحاسين والوراقين والعطارين والمناخلية والسكرية . والموازين والمغربلين والعقادين والقربية أى صناعة وتجارة القرب المصنوعة من جلد الحيوانات . ويلاحظ أن حى القربية كان قريبًا من المدابغ عندما كانت قرب ميدان باب الخلق قبل نقلها إلى باب اللوق قرب بداية شارع شريف الحالى الذى كان اسمه شارع المدابغ ، قبل أن تستقر المدابغ فى موقعها الحالى المجاور لسور العيون . وطبعا كانت للقرب سمعة عالية إذ كانت القاهرة وكل مدن مصر تعتمد فى توزيع المياه على السقايين الذين كانوا يستخدمون القرب الجلدية هذه . . وكانت قرب المياه تنقل على الحمير .أو على عربات الكارو . وكان لهم حى يقيمون فيه خلف باب الخلق كما كان نفس الشىء للفرانة أى عمال الأفران . وكلها كانت فى الشارع الأعظم ـ شارع المعز لدين الله ـ والحوارى المتفرعة منه أو الداخلة إليه . .

● ● ●

وكما انتهى عصر الفروسية والفرسان وعصر البناة العظام انتهت كل هذه الحرف من الشارع . . ولكن بقيت الأسماء ثابتة راسخة على لوحات الشوارع والحوارى والأزقة على طول هذا الشارع العظيم . .

نعم انتهى عصر الخيامية والسيوفية وسوق السلاح والصنادقية والمغربلين . . فلا حبوب أو غلال ولا عمال يغربلون الغلال للمشترين ولا سروجية . . فقد انتهى عصر السلاطين والفرسان ليحل محله عصر صناعة الشيشة .

لقد انتهى عصر الفرسان . . ليسود عصر الشيشة ومستلزمات المزاج !!

أكشاك لبيع الشيشة والروائح :

** و إذا أردنا أن نتتبع على الأقدام الآثار العظيمة التى يضمها هذا الشارع المتحفى الحى فإننا سنعطى مثلاً لمنطقتين :

* الأولى يسارًا للصاعد إلى شارع الأزهر مع تقاطعه مع شارع المعز ، حتى نصل إلى جامع الحاكم بأمر الله ثم باب الفتوح . .

* والثانية يمينًا أى نبدأ من مجموعة السلطان الغورى حتى نصل إلى باب زويلة وجامعى المؤيد والصالح طلائع . .

** فى المنطقة الأولى ربما يكون أول بناء ضخم يقابلنا على يسار شارع المعز لدين الله هو المدرسة الأشرفية التى بناها السلطان الأشرف برسباى المملوكى بين عامى ١٤٢٣م و ١٤٢٤م ويلفت نظرنا الباب العتيق المطعم بالنحاس بنقوش رائعة . والمسجد نفسه مرتفع عن منسوب الشارع بهدف المحافظة على طهارة المسجد . وهو أسلوب نجده أيضًا أكثر وضوحًا فى درة مساجد القاهرة : مسجد السلطان حسن فى القلعة . . ويتوسط المسجد الصحن السماوى المفتوح بهدف التهويه والتبريد وأرضية من الرخام للاحتفاظ بدرجة الحرارة أو البرودة .

وهذا المسجد المدرسة فى حالة سيئة للغاية . رغم أنه خضع لأعمال الصيانة والترميم فى عهد خديو مصر عباس حلمى الثانى عام ١٣٣٠ هـ تحت إشراف لجنة حفظ الآثار العربية .

والغريب أن فى آخر زيارة لى لهذا المسجد بدأت عملية تنظيف يوم الجمعة ٢١ ابريل ١٩٩٥ هدفها إزالة الأتربة وتنظيف واجهات المدرسة والجامع مع عمليات عزل ودهان للأجزاء الخشبية الخارجية فقط . . دون أن تمتد عمليات الترميم والصيانة إلى ما هو بالداخل رغم سوء ما وصلت إليه حال المدرسة والمسجد وجدرانهما !! أما جدران المسجد الخارجية فتكاد تختفى سواء بين واجهته على شارع المعز . . أو على شارع جوهر القائد . . فقد احتلت الدكاكين وأكشاك بيع الروائح والفوط ومعدات تدخين الشيشة ، احتلت واجهات وجدران المسجد !!

وكالة مودرن محل وكالة أبو الروس :

ثم نصل إلى مسجد وسبيل وكتاب الأمير عبد الرحمن كتخدا المعروف باسم الشيخ مطهر عند العامة . وقد تم بناء هذه المجموعة عام ١٧٤٤م وفيه مدفن أم الأمير عبد الرحمن كتخدا . فمن هو الشيخ المطهر !! ولا تفوتنا هنا الإشارة بالدور العظيم الذى ارتآه الأمير عبد الرحمن كتخدا الذى رمم وصان وحفظ العديد من المنشآت الإسلامية فى القاهرة . ومنها الجامع الأزهر نفسه الذى دفن فيه . ومازالت بصمات هذا الأمير الرائعة موجودة ومسجلة على كثير من آثارنا .

ثم نجد باباً تكاد تأكله الإهانة والإهمال . هو باب وكالة أبو الروس بالصاغة يشدك مزلقانه الخشبى الضخم . ولكننا تركنا الباب للصيّاغ . أما الوكالة فقد تحولت إلى «بوتيك عصرى » لتجار الذهب والفضة واحتلت ورش الصياغة الدور الثانى بلا احترام لتارخ الوكالة ثم ندلف إلى زقاق الطاووس ببابه الذى يذكرنا بأبواب الحارات وتحتل المحال والورش الأركان الأربعة للوكالة التى تتوسطها حديقة صغيرة وفسقية فيها بقية من رائحة تاريخ قديم !! ثم نخرج باب خشبى مصفح بالحديد تمامًا يطل على شارع المقاصيص حيث يوجد مسجد صغير ووكالة وسبيل جمال الدين الدهبى . .

العشق الألمانى يرمم آثار نجم الدين أيوب :

وعلى اليمين من شارع المعز نجد المدرسة المباركة التى أنشأها السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وقبته . وهى الآثار التى ساهم فى ترميمها معهد الآثار الألمانية بمنحة من الحكومة الألمانية التى تُولى الآثار الإسلامية عناية خاصة . وبالمناسبة فإن الألمان أكثر شعوب الأرض عشقًا للسياحة الثقافية ، وفى مقدمتها الآثار المصرية إسلامية وفرعونية وقبطية . ومدرسة الصالح أيوب أقيمت بين عامى ١٢٤٣ م و ١٢٤٩م وانتهت قبيل وفاته بشهور .

وبعد قبة نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الأيوبية الفعليين ، ينتهى شارع الصاغة . . لنبدأ فى شارع النحاسين وكلها أجزاء من شارع المعز لدين الله . .

مجموعة السلطان قلاوون درة شارع المعز :

ونصل إلى درة شارع المعز . . إلى أغلى جوهرة فيه ، هى مجموعة السلطان قلاوون

التى تضم مدرسة وقبة ومسجد وبيمارستان السلطان قلاوون الذى أقيم بين عامى ١٢٨٤م و ١٢٨٥م . ومدخل المجموعة يحمل الاعلان التالى فوق الباب الرئيسى مباشرة: أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة والبيمارستان مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور فى الدنيا والدين قلاوون الصالحى . والباب نفسه تحفة معمارية فهو مغطى بالكامل بالنحاس المشغول المنقوش من الجانبين . . وربما يكون المسجد هذا هو أعلى مسجد فى مصر .

واللافت للنظر أن هذه المجموعة المعمارية الرائعة تتعرض لعمليات إهمال رهيبة . وإذا كانت عمليات صلب المناطق المعرضة للسقوط قد تمت منذ ٣ سنوات مع حفر عدة آبار اختبار فى تربته ، إلا أن كل شىء متوقف تمامًا . . فهل ننتظر حتى يسقط هذا الصرح ؟ . . نقول هذا لأن هذا البيمارستان أنشىء كأضخم مستشفى ، كان السلطان قلاوون يجمع فيه المرضى فيتم تطهيرهم وإخضاعهم للعلاج والغذاء وتصرف لهم الملابس النظيفة وإذا أكل المريض دجاجة كاملة كان هذا علامة عودة الصحة إليه فيخرج إلى الحياة العادية من جديد !! ونقول لوزارة الثقافة وللمجلس الأعلى للآثار : إن باب هذه المجموعة وحده لو كان ملكا لدولة أخرى لخططت له ميدانًا فسيحًا وحديقة تتوسطه ، ثم تضع هذا الباب العظيم رمزًا وتقديرًا لفن الخشب المطعم بالنحاس المشغول . . ولكن هذا الباب للأسف : ملك لمصر ، ولهذا تركناه !!

يبيعون « الشيشة » فى مدرسة الظاهر بيبرس !

وأمام مجموعة قلاوون الرائعة وبجوار مدرسة وقبة نجم الدين أيوب تقف بقايا مدرسة السلطان الظاهر بيبرس التى أقامها المؤسس الفعلى لدولة المماليك البحرية بين عامى ١٢٦٠م و ١٢٦٣م . ولكن كما أهملنا ـ على مر التاريخ ـ مسجد الظاهر بيبرس الفريد فى هندسته فى حى الظاهر وحولناه فترة إلى مذبح للإنجليز وأخرى مخازن لتجار الخيش . . أهملنا أيضا مدرسته فى شارع المعز فانهارت ولم يبق منها إلا البقايا . . والمؤلم أن تتحول هذه المدرسة إلى دكان لبيع مستلزمات الشيشة والمزاج . . وغيرها !!

وبجوار مجموعة السلطان الناصر محمد بن قلاون نجد « القبة الشريفة والمدرسة المباركة التى أقامها السلطان الأجل الملك الناصر ناصر الدنيا والدين الملك المنصور



الواجهة الشرقية لمئذنة نجم الدين أيوب بشارع المعز بعد أن قام الألمان بترميمها .

قلاوون . . وهى المجموعة التى بدأ فى إقامتها الأمير العادل زين الدين كتبغا المنصورى عام ٦٩٥هـ ـ ١٢٩٥م . ثم أكملها السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣٠٤م وهى من أوائل المدارس التى تضم أربعة إيوانات . وقد خضعت هذه المجموعة لأعمال ترميم عامى ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م بالتعاون بين هيئة الآثار المصرية ومعهد الآثار الألمانى بالقاهرة . وحول الإيوانات نجد غرف المدرسين وفصول الدراسة تحيط بالصحن المكشوف .

فإذا تركنا مجموعة السلطان الأب ، والسلطان الإبن ، نجد أمامهما سبيلاً تركيا عثمانى الطراز هو أحد سبيلين أنشأهما محمد على باشا أحدهما هنا فى النحاسين أنشأه عام ١٨٢٨م على شارع المعز مباشرة وثانيهما أنشأه محمد على عام ١٨٢٠م فى العقادين، فى امتداد الشارع من الناحية الجنوبية . . ثم تلتصق به مدرسة النحاسين الأميرية وقد احتل مدخل المدرسة بائع للتمر الحجازى الملدن !!

مجموعة برقوق تنافس مجموعات أسرة قلاوون :

** وإذا كانت أسرة قلاوون المملوكية البحرية قد أقامت مجموعاتها العظيمة فى شارع المعز . . فإن السلطان برقوق أقام مدرسة ومسجدًا ليمثل عصر العمارة المملوكى البرجى الشركسى بين عامى ١٣٨٤م و ١٣٨٦م . وعلى الباب النحاسى المطعم بالفضة نجد الدعاء للسلطان المنشىء . . « أعز مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق أعز الله نصره » وعلى المدخل مكسلتان لجلوس الكسالى !! ثم تتصدر المدخل « تركاية» كان يجلس عليها السلطان برقوق ليحل مشاكل الناس ـ منتهى الديمقراطية ـ ثم تتناثر حجرات الحرس وحجرات لراحة الطلبة الدارسين بالمدرسة وسلالم تؤدى إلى غرف نوم الطلبة إلى السطح والمنارات . . وبجوار الغرف الأرضية نجد مخزنًا للطعام . . ومطبخًا لإعداده للطلاب والمدرسين الذين كانوا يدرسون للطلبة على المذاهب السنية الأربعة وسقف المدرسة والمسجد يرتفع إلى أكثر من ثمانية أمتار وهو تحفة فنية يندر مثلها فى مصر كلها . . فالسقف مزدان بالكامل بنقوش عربية مطلية بماء الذهب احتفظت بكامل هيئتها لسبب واحد هو وجود سقف آخر يعلو السقف الأول . وتحمل هذا السقف أربعة أعمدة صنعت من جرانيت أسوان . أما دكة المصحف فهى مطعمة بسن

الفيل والعاج . والمحراب مطعم بالفيروز والمرجان والصدف . وحول وفوق كل رواق للدراسة نجد غرف سكن الطلبة وخانقاه للعبادة . .

وقد خصص السلطان برقوق قاعة ومدفنًا دفن فيه زوجته وابنته فاطمة ، وتعلو المقبرة قبة مذهبة الجوانب وعلى النوافذ زجاج ملون معشق منقوش عليه عبارة : أعز الله مولانا السلطان الظاهر برقوق » أما حليات باب الضريح فقد صنعت من قطعة أرابيسك واحدة وكان يغطيها من الداخل شبكة من الفضة والسلك المصنوع من النحاس . . ولكنها اختفت !!

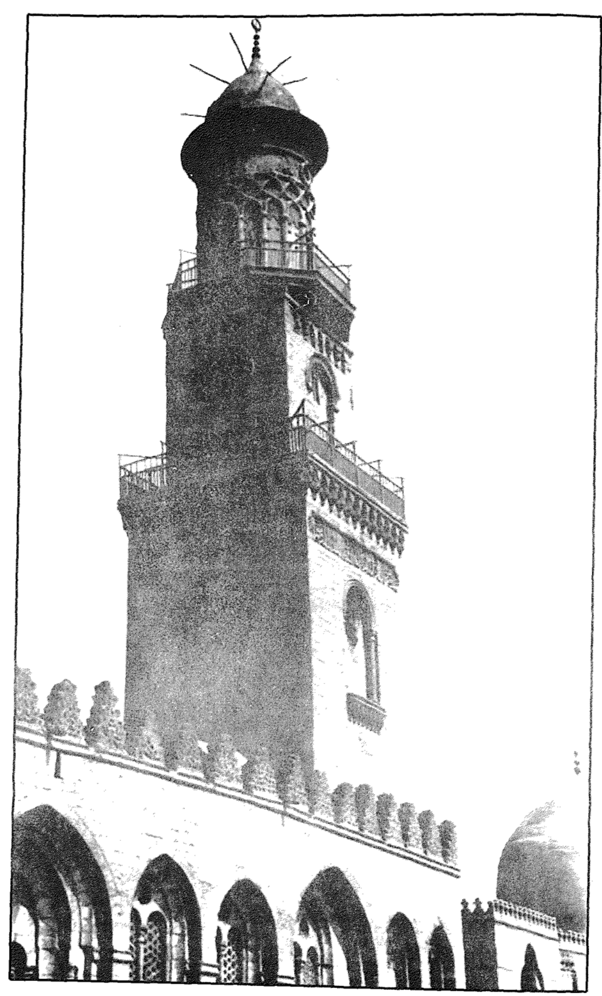
وتجاور مجموعة السلطان برقوق المدرسة الكاملية وتضم مسجد السلطان الكامل الأيوبى التى أنشئت عام ١٢٢٥ وهى من المنشآت الأيوبية القليلة الباقية بشارع المعز . . وأمامها نجد قصر الأمير بشتاك ويواجهه تماماً سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا الذى خضع لعمليات ترميم كاملة . . وكأن هيئة الآثار المصرية الآن تحاول أن ترد الجميل للرجل الذى رمم كثيراً من آثار القاهرة . .

جامع الأقمر والترميم الكامل :

ثم نجد المسجد الوحيد الذى ينخفض مستواه عن سطح الأرض بهذا الشارع ، وهو مسجد الأقمر الذى أقيم عام ١١٢٥ م أى فى عصر الدولة الفاطمية . والمسجد يخضع بالكامل الآن لعملية ترميم شامل من إعادة بناء الأعمدة والأسقف والحوائط ، وغير معلوم الجهة التى تتولى الترميم !!

ولأن المثل يقول : طباخ السم بيدوقه . وعلى مذهب الاستيلاء على المبانى الأثرية نجد فى مدخل حارة الدرب الأخضر عند تقاطعها مع شارع المعز ، نجد إدارة تفتيش آثار شمال القاهرة قد استولت على مبنى قديم . . ومعها شرطة سياحة وآثار خان الخليلى . أى نطبق المثل : حاميها حراميها ولا عذر لورش الصاغة التى تحتل كثيرًا من الوكالات التاريخية والمبانى الأثرية .

وعلى اليسار نجد مسجد وسبيل وكتاب سليمان أغا السلحدار الذى أقيم عام ١٨٣٧م وانتهى بعد عامين ، أى فى عصر محمد على باشا وكان اسم الشارع هنا ـ شارع أمير الجيوش البرانى !!وانتهى عصر النحاس ـ من شارع النحاسين ودخلنا عصر



مجموعة السلطان قلاوون بالنحاسين .

الألومنيوم ، ثم ندخل إلى شارع الشوايين سابقًا عند تقاطع شارع المعز مع شارع الضببية ، لنصل إلى سوق االليمون والزيتون صيفًا وسوق الثوم والبصل شتاءً . عندما تتحول المساحة هنا وأمام واحد من أكبر آثار الشارع هو مسجد الحاكم بأمر الله . . تتحول إلى سوق للثوم والبصل !!

وعندما ندخل إلى صحن مسجد الحاكم بأمر الله المفترى عليه ، نتذكر على الفور صحن المسجد الأموى فى دمشق . . وقد خضع المسجد الذى بنى بين عامى ١٠٠٩م و١٠١٢م لعملية ترميم وصيانة وبناء كاملة تولتها جماعة البهرة الشيعية الشهيرة فى الهند .

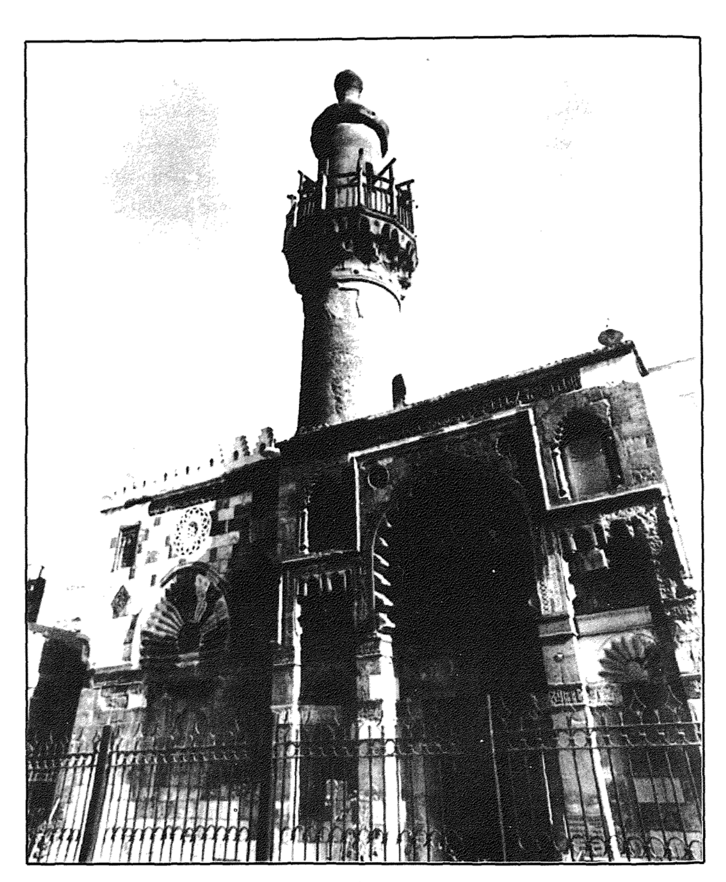
ويتميز المسجد بمنارتين غير تقليديتين . ومن المؤكد أن هذا المسجد هو ثانى أكبر مسجد بنى فى العصر الفاطمى بعد الأزهر الشريف . . وإذا كانت عمليات الترميم طالت كل شيء إلا أن المنبر لا يتلاءم مع عظمة المسجد وتاريخه . . أما الأعمدة التى تحمل الأسقف فهى غير تقليدية أيضًا !!

ونصل إلى سور القاهرة الشمالى عند باب الفتوح . أما الباب فواضح أنه لم يغلق أو يفتح منذ٢٠٠ عام . . وهو مصفح بالكامل من ناحية الخارج بالحديد والمداميك والمسامير الحديدية تمامًا . أما الباب من الداخل فهو من الخشب فقط . . لأن الهدف كان حماية الباب من أى محاولة لاختراقه من خارج السور . .

والباب الذى يحمل أثر رقم ٦ فى القاهرة ملاصق تمامًا لمسجد الحاكم تعلوه أبراج للحراسة والمراقبة وفتحات كان الجنود يصبون منها الزيت المغلى على كل من يحاول الاعتداء على القاهرة . . وكان هذا الجزء من شارع المعز قديمًا يحمل اسم : شارع باب الفتوح . ونجد مجاورًا له تمامًا درب المغاربة ربما آخر أثر للمغاربة الذين جاءوا إلى مصر مع القائد جوهر وكانوا من أنشط التجار .

الذوق .. مخرجش من مصر !

ويلاصق الباب الأيمن من الداخل ضريح صغير للغاية مدهون بدهان أخضر ويعلوه هلال صغير تنزل إليه من خلال ٧ سلالم وهذا الضريح له حكاية . . إنه ضريح سيدى حسن الذوق وكان رجلاً طيبًا تزعجه خناقات الفتوات أمام باب الفتوح



جامع الأقمر

. . وعندما عجز عن فض هذه المنازعات أعلن عن غضبه وقرر ترك مصر والخروج منها احتجاجًا . . وجمع « خلجاته » على قلتها وعندما همّ بالخروج من باب الفتوح خر ميتًا فدفنوه حيث مات ملاصقا لباب الفتوح من الداخل . . وصار اسمه مثلاً يرويه العامة . فإذا وقعت خناقة أو اختفى العدل وسادت الفتونة الغاشمة كنت تسمع من يهتف قائلاً : يا جماعة حرام . . دا الذوق مخرجش من مصر !! فتهدأ الأمور ويتصالح الكل ويتعانقون . .

. . فهل حقاً الذوق مخرجش من مصر ؟!

وزير مالية يموت مدينا !!

يعقوب بن كلس أول وزير فى العصر الفاطمى وكان مسئولاً عن كل مالية مصر . . مات مديوناً !! ولهذا حكاية .

. . فقد كان يهودياً بغدادياً . ثم أسلم وحسن إسلامه . جاء إلى مصر ثم سافر إلى مقر الدولة الفاطمية فى أفريقيا . . وعاد إلى مصر مع المعز لدين الله . الذى ولاّه الخراج وجميع شئون المال من أعشار وجزية كانت تجبى من أهل الذمة . . وأيضًا جعله مسئولاً عن الأحباس أى الأوقاف . وبعد وفاة المعز أبقاه الخليفة الجديد العزيز بالله ، بل زاد من مهامه حتى لقبوه بالوزير الأجل . ورغم يهوديته الأولى إلا أنه ألف كتبًا فى الفقه وفى الأديان والقراءات وفى آداب الرسول . .

** وعندما مات عام ٣٨٠هـ أمر العزيز قاضى القضاة محمد بن النعمان أن يتولى عملية الغسل . ثم كفنه فى ٥٠ ثوبًا منها ٣٠ منسوجة بالذهب . وأقام العزيز ثلاثة أيام لا يأكل على مائدته حزنًا عليه وأمر بتلاوة القرآن على قبره ٣٠ يومًا . .

** والغريب أنه عندما مات كان عليه دين بلغ ١٦ الف دينار سددها عنه الخليفة العزيز للدائنين وهو واقف على قبره . .

وهكذا مات وزير مالية مصر بعد أن تولى كل أمورها المالية على مدى ٢٠ عامًا . . مات مديونًا !!

فأين هذا من وزراء وحكام هذا الزمان ؟!

الشيشة والثوم عند باب النصر !

الذى يرى باب الفتوح الآن ، وما يجرى فيه . . يتحسر على حال الباب الذى تحدث عنه التاريخ بكل احترام وإجلال . .

** فقد كان الباب مخصصًا لخروج الجيوش الذاهبة للفتح والغزو والدفاع عن ديار المسلمين . وكان سلاطين مصر طوال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية يجلسون عنده يستعرضون الجيوش ويتأكدون من استعدادها تسبقها فرق الموسيقى العسكرية . . ويقف أهل القاهرة يودعون الجيش الذاهب للفتح بالزغاريد والتمنيات .

الآن تغيرت الصورة . وبدلاً من مواكب الفرسان بخيولهم المطهمة بسروجها المذهبة وأسلحة فرسانها . . أصبحت ساحة هذا الباب ميدانًا لتجارة البصل والثوم شتاءً . . وسوقًا للزيتون والليمون صيفًا . .

وبعد مواكب الفرسان نجد الآن كل وسائل النقل من حمير وخيول وعربات كارو . . ثم كارو مصر الحديثة : سيارات السوزوكى . وكل هذا يمتهن تاريخ الشارع الأعظم . . ويدوس تاريخ باب الفتوح .

** أما باب النصر المجاور لباب الفتوح فقد كان بابًا لدخول الجيوش بعد عودتها للوطن ظافرة حاملة ألوية النصر وظل هذا التقليد التاريخى متبعًا طوال عهود العظمة المصرية . . وأحياه محمد على باشا الكبير حيث كان ابنه الفاتح الكبير ابراهيم باشا يحرص على الدخول من باب النصر كلما عاد لمصر منتصرًا .

ومن يتجول الآن فى المنطقة يخيل له أن مصر أصبحت وطنًا لأصحاب المزاج . . فأبرز ما يباع فيها الآن معدات المزاج بداية من الشيشة ومستلزماتها من « أحجار ولىّ ومبسم . . حتى غابة البوص المستخدمة فى « الجوزة » . . وتخرج من المنطقة التى كانت معقلا للتاريخ المشرف بانطباع أن هناك : شيشة لكل مصرى !!

وسبحان مغير الأحوال . .

نظافة مصر بين عهدين :

واحترمت مصر حكومات وسلاطين ـ أيام العز ـ الشارع الأعظم خصوصًا بين باب

الفتوح وباب زويلة . وتجاوب الناس مع احترام السلاطين للشارع وعظمته . . وظل الشارع محترمًا وذا مهابة طوال العصور الثلاثة العظيمة : الفاطمى والأيوبى والمملوكى بقسميه المماليك البحرية والمماليك البرجية أى الجراكسة . . وكان مظهر هذا الاحترام أن أنشأوا به معظم عماراتهم من مدارس ومساجد وبيمارستان . .

وكان للمرور بالشارع تقاليد وقواعد يحترمها الكل . .

مثلاً كان ممنوعًا أن يمر بالشارع أى حمل حطب أو تبن ولا يسوق به أحد فرسًا ، أو يمر به « سقاء » إلا بما يمنع تلويث الشارع بمخلفات هذه الدواب . أى كان واجبا ارتداء هذه الدواب « حفاضات » بلغة العصر الحديث . . وكانت الأحمال تغطى بما يمنع تناثرها فى الشارع . .

وكانت تعليمات الحكومة تلزم أصحاب المحال والحوانيت بأن يعلق كل منهم على حانوته قنديلاً لينير الطريق ، ومساهمة فى مقاومة الحرائق كانت التعليمات تلزم أصحاب هذه المحال بوضع زير مملوء بالماء أمام المحل يخصص لمقاومة الحرائق . .

** وخصصت الحكومة للشارع من يكنسه ويرشه بالماء ، ويزيل عنه القاذورات أولاً بأول ، وحتى لا يتطاير التراب فيؤذى المارة والتجار . . وبجانب هؤلاء ثم تعيين حراس يطوفون بالشارع والبيوت والمحال لحراستها ، وهو نظام بدأ العمل به منذ حكم العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى . .

وعندما جاء الحاكم بأمر الله الذى يرى البعض فى قراراته وتعليماته الغريب والطريف ، اتخذ من القرارات ما يحمى الشارع ويحفظه ويبقيه نظيفًا . . إذ أمر ألا يدخل الشارع أى انسان راكبا حمارًا أو حصانا أو جملاً . . بل منع « الحمارة » من المرور فيه بحميرهم . وكان الشارع خصوصًا فى المنطقة التى كانت بين القصرين الكبيرين يغلق بعد صلاة العشاء بسلسلة ترمى فى المضيق بين القصرين فيتوقف المرور تمامًا بالشارع حتى فجر اليوم التالى . .

ترى لو عاد الحاكم بأمر الله أو أى من سلاطين مصر العظام ليتفقدوا الشارع الأعظم الآن . ماذا يقولون ؟ . . بل ماذا سيكون رد فعلهم وهم يرون الآن الحالة التى وصل إليها الشارع . ؟!

المنصورية .. الاسم الأول للقاهرة !

عندما أمر القائد جوهر ببناء عاصمة الدولة الفاطمية فى مصر أطلق عليها اسم : المنصورية . وقد بدأ بناء المدينة يوم ١٧ من شعبان عام ٣٥٨ هجرية الموافق ٥ يوليو ٩٦٩ ميلادية .

وعندما وصل الخليفة الفاطمى المعز لدين الله إلى مصر ودخل المدينة الجديدة عام ٣٦٢ هجرية أسماها : القاهرة وقيل إن جوهر الصقلى أطلق عليها اسم القاهرة لظهور نجم المريخ ـ وهو قاهر الفلك ـ فى الأفق عندما ألقى العمال أساس المدينة الجديدة . وهو القول الأكثر شيوعًا بين المؤرخين . .

الخانقاه التى يعرفها العامة بالخانكة !!

فى عصر المماليك شاع بناء الخوانق أو الخانقاوات . . وهى جمع الخانقاه ، أو الخانكاه . وهى أماكن للعبادة . خصوصًا للمتصوفة . وقد أقاموها قرب الجبانات . أو عند الضواحى . لتكون بعيدًا عن ضوضاء المدن . ولكننا وجدنا بعض سلاطين المماليك يخصص غرفًا صغيرة للعبادة داخل مساجدهم التى بنوها فى الشارع الأعظم . شارع المعز لدين الله . ومن هذا ما نراه فى مدرسة وخانقاه ومسجد السلطان الظاهر برقوق الذى بنى هذه المجموعة المعمارية الرائعة بين عامى ١٣٨٤م و١٣٨٦م . وكان ملحقا بها غرف لتخزين الطعام ومطابخ لإعداده وتقديمه للطلاب الدارسين على المذاهب الأربعة وأيضًا للمتعبدين فى هذه الصوامع أو الخانقاه . .

ولقد حول العامة هذا الاسم إلى الخانكة !! بسبب ما أقيم هناك من خانقاه . وتحولت المنطقة من مكان للعبادة إلى مستشفى للأمراض العقلية .

أبواب التفاؤل فى شارع المعز :

** وبرع خلفاء الدولة الفاطمية فى اختيار أسماء المساجد والأعياد والمبانى . وكانوا بذلك من رواد الإعلام الدعائى حتى سلبوا لب كل المصريين ودخلوا قلوبهم . . فمن أسماء المساجد الكبيرة نجد فى مقدمتها : الأزهر . الأنور . الأقمر . الأفخر .

** وأطلقوا على أبواب القاهرة أسماء التفاؤل . فوجدنا فى السور الشمالى للمدينة : باب النصر وباب الفتوح ووجدنا باب الفرج غربًا وكان عرضه ١٠ أذرع . وباب التوفيق . أما باب زويلة فقد حمل اسم قبيلة زويلة وهى إحدى فرق الجيش الفاطمى التى قدمت إلى مصر بقيادة القائد جوهر الصقلى . .

« اللى » بنى مصر مجهول القبر والعنوان :

أليس غريبًا أن جوهر القائد الذى فتح مصر عام ٣٥٨ هجرية وأسس مدينة القاهرة غير معروف القبر ؟!

فها هو جوهر الصقلى الذى توفى عن ثمانين عامًا فى سنة ٣٨١ هجرية لا أحد يعرف قبره . وأنه ساد الاعتقاد فترة أنه دفن بالجامع الأزهر الذى أنشأه مع القاهرة المعزية . . ولكن المحقق العلامة أحمد زكى باشا أزال هذا اللبس عام ١٩٣٣م عندما قال إن جوهرًا المدفون بالأزهر غير جوهر القائد ولكنه طواشى حبشى اسمه جوهر القنقبائى الذى كان من أعيان القرن التاسع الهجرى ، وتولى منصب الخازندارية أيام السلطان الأشرف برسباى ، وتوفى عام ٨٤٤ هـ فى عهد السلطان الظاهر جقمق . وهو الذى أنشأ المدرسة الجوهرية بالجانب الشرقى من الجامع الأزهر .

** وعندما مات القائد جوهر الصقلى فاتح مصر ومؤسس القاهرة بأزهرها الشريف ، حزن عليه العزيز بالله بن المعز لدين الله ـ صاحب شارعنا الشهير ـ وأكرمه فى وفاته وأمر بأن يكفن فى ٧٠ ثوبًا بين مثقل وموشى بالذهب وصلى عليه العزيز ، وخلع على ابنه الحسين وجعله فى مرتبة أبيه ومنحه لقب القائد بن القائد . .

وهنا نسأل : هل تأثر الفاطميون ببعض طقوس الدفن المصرية الفرعونية القديمة فيما يتعلق بلف الجسد بطبقات متعددة من الكتان كجزء من عملية التحنيط لحماية جسد المتوفى من الهواء الذى يساعد على التحلل . .

هل تأثر الأسلوب الفاطمى فى الدفن بالأسلوب الفرعونى رغم أن هذا كان مخالفًا للدفن الشرعى فى الإسلام . .

نقول هذا لأن الفاطميين أثّروا كثيرًا فى حياة المصريين وسلوكياتهم فى الحياة وفى المهات . . فى الأفراح والاحتفالات . . كما فى الأحزان والمآتم . . وهل تلك من خصال الشخصية المصرية الجبارة التى أثّرت فى كل من أتاها سواء أكان غازيًا فاتحًا أو دائمًا مستقرًا . . نعم تلك هى طبيعة الأمة المصرية .





الباب الثانى

القاهرة الحديثة



قصر النيل : من الاستقلال للاحتلال .. والعكس !!

شارع قصر النيل ـ أشهر شوارع وسط القاهرة ـ يكاد يكون الشارع الوحيد الذى لم يتغير اسمه ، لأنه فعلاً شارع له تاريخ . وصفحة من صفحات تاريخ مصر . تعالوا نروى حكاية هذا الشارع . . أقصد نطالع صفحة من صفحات كتاب تاريخ مصر .

** يعتبر القائد العظيم ابراهيم باشا ـ ابن محمد على الكبير ـ أول من فكر فى تعمير المنطقة الممتدة الآن من « كوبرى أبو العلا » شمالاً إلى ما بعد كوبرى قصر النيل جنوبًا . عندما أمر بتمهيد تلك الأرض وردمها وتسويتها . . كجزء من تجميل الشاطىء الشرقى لنيل العاصمة . .

وكجزء من اهتمام سعيد باشا رابع ولاة مصر من الأسرة العلوية بالجيش والبحرية . وكما أنشأ قلعة عسكرية فى القناطر الخيرية ، أنشأ ثكنات للجيش المصرى فى منطقة قصر النيل هذه . وكانت هذه بداية أكبر حركة تعمير فى هذه المنطقة . مما لفت الانتباه إلى المنطقة الواقعة غرب القاهرة . . وهى الأساس الذى تحرك عليه إسماعيل باشا .

وبعد أن تولى إسماعيل باشا حكم مصر ، أمر بالتوسع فى تعمير المنطقة الممتدة من شاطىء النيل عند ثكنات الجيش إلى باب اللوق ، وكلف كبير مهندسى مصر على باشا مبارك بتحويل تلك المنطقة إلى واجهة حضارية للعاصمة فاختار ٦١٧ فدانًا للحى الجديد وكان بعضها مازال أراضى خربة تحتوى على كثبان من الأتربة وبرك للمياه وأرض سباخ ، فخططها وأنشأ فيها الشوارع والحارات على خطوط مستقيمة أغلبها متقاطع على زوايا قائمة ودكت شوارعها وحاراتها بالحجر الدقشوم . ونظمت على جوانبها الأرصفة . ومدت فى أرضها أنابيب المياه وأقيمت فيها أعمدة المصابيح لإنارتها بغاز الاستصباح ، فأصبحت كما قال على باشا مبارك « من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها وسكنها الأمراء والأعيان » .



القائد ابراهيم باشا أول من فكر فى تعمير المنطقة بين« كوبرى أبو العلا» [الآن]
وكوبرى قصر النيل [منطقة ماسبيرو] .

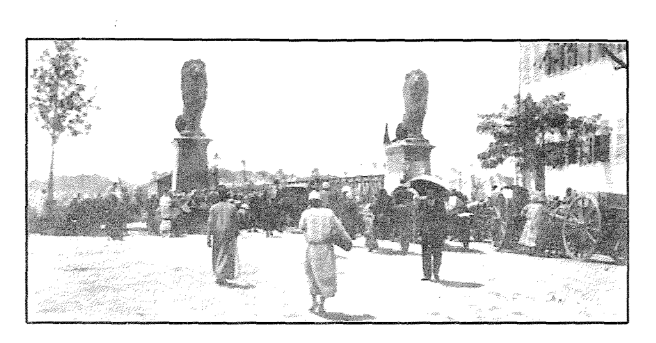
** وبعد الانتهاء من رصف الشوارع والأرصفة قام الخديو إسماعيل بمنح الأرض للذين سوف يشيدون المبانى بشرط ألا تقل تكلفة العمارة عن ٢٠٠٠ جنيه - بهدف بناء عمارات كبيرة عصرية . وفى عام ١٨٧٤م بلغت المساحة التى شغلت بالمبانى ٢٥٧ فدانًا احتلت شبكة الطرق منها ٣٠٪ وشغلت المبانى ١٣٪ واحتلت الباقى حدائق شاسعة تمثل الاحتياطى للتوسع العمرانى . وهكذا ظهرت شوارع : قصر النيل . سليمان باشا . قصر العينى . . وبلغ طول شارع قصر النيل مثلاً ١٢٥٠ مترًا وشارع الفلكى ١٢٦٠ مترًا وشارع عماد الدين ١٧٢٠ مترًا .

** وكجزء من خطة التعمير هذه كلف الخديو إسماعيل شركة فيف ليل الفرنسية بإنشاء كوبرى معدنى لتسهيل الوصول إلى الجزيرة الواقعة على الضفة اليسرى للنيل وتم إنشاء الكوبرى عام ١٨٧٢ وتكلف ١٠٨ آلاف جنيه « فقط !! » وفى نفس العام أنشأت شركة انجليزية كوبرى البحر الأعمى « الجلاء حاليًا » يوصل الجزيرة بالجيزة ليكمل هذا المحور المرورى الهام . وتكلف الكوبرى ٤٠ ألف جنيه « يا بلاش » .

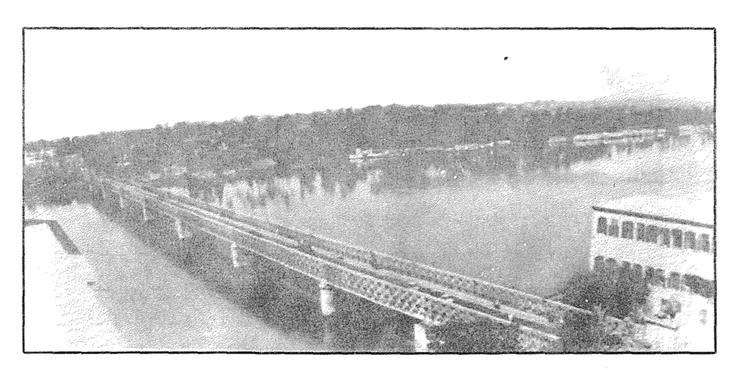
** وبعد أن كانت شبرا هى متنزه سكان العاصمة ، وبعد إنشاء كوبرى قصر النيل - الذى حمل اسم كوبرى الخديو إسماعيل - تحول الناس إلى الكوبرى الجديد وما يليه من قصور وحدائق وطرق ومناظر إلى منطقة النزهة الأولى . وخف سير المركبات التى كانت تقطع شارع شبرا عصر كل يوم للنزهة !!

** ثم أمر الخديو إسماعيل بنقل المدرسة الحربية التى أنشأها سعيد باشا فى القناطر الخيرية إلى ثكنات قصر النيل لزيادة تعميرها .

وإذا كان الشارع الممتد من كوبرى قصر النيل إلى باب اللوق قد حمل اسم « شارع الخديو إسماعيل » فإنما كان ذلك بهدف ربط الثكنات والميدان الجديد الذى حمل أيضًا اسم إسماعيل بقصر عابدين الذى بناه الخديو ونقل إليه مقر الحكم بعد أن ظلت مصر تحكم من القلعة قرونًا عديدة . . وهو الشارع المعروف الآن باسم شارع التحرير قبل امتداده من كوبرى الجلاء إلى الدقى ثم إلى بولاق الدكرور بعد أن يعبر منطقة المركز القومى للبحوث . . وحمل الشارع الثانى اسم سليمان باشا الفرنساوى الضابط الذى



كوبرى قصر النيل القديم أول كوبرى معدنى فى مصر وكان الناس يدفعون رسوماً لعبوره .



كوبرى قصر النيل القديم عند افتتاحه عام ١٨٧٢
وعلى يمين الصورة جانب من ثكنات قصر النيل .

عمل بجيش بونابرت ثم أصبح رئيسًا لأركان جيش مصر أيام محمد على باشا . . ثم شارع قصر النيل المُمتد الآن من ميدان التحرير إلى شارع الجمهورية بعد أن يعبر ميدان سليمان باشا . .

«وقصر النيل» ليس مجرد شارع تم دكه بالحجر الدقشوم على يد كبير مهندسى مصر على باشا مبارك بتكليف من الخديو إسماعيل خامس حكام مصر الحديثة . وليس هو مجرد ثكنات للجيش ومدرسة حربية . . ولكنه قطعة من تاريخ مصر . . هو ثكنات للجيش وكوبرى وشارع وتخطيط عمرانى . . وهو تاريخ سياسى!!

. . فمن الجانب العسكرى تحولت ثكنات قصر النيل إلى مقر رسمى لقوات الجيش المصرى . ولعبت دوراً سياسياً خلال أحداث الثورة العرابية . خصوصاً وأنها كانت على مرمى حجر من مقر الحكم الجديد فى قصر عابدين الذى أنشأه الخديو إسماعيل . وغير بعيد عن شارع قصر العينى بكل ما فيه وحوله من مبان عامة كانت مقراً للنظارات، أى الوزارات ، بل والمجلس النيابى منذ كان اسمه مجلس شورى القوانين ، وغير بعيد عن القصور الملكية فى الجزيرة وجاردن سيتى والقصور التى أقيمت حول محور ميدان لاظوغلى .

. . ولأن استيلاء أى قوات غازية على قلعة المدينة يعتبر استيلاء على البلد كلها . . فإن قوات الاحتلال البريطانى عندما وصلت إلى القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ بعد هزيمة العرابيين فى معركة التل الكبير . بادرت إلى احتلال ثكنات الجيش المصرى فى قصر النيل كرمز لاحتلالهم للقاهرة . . والمؤسف أن الخديو توفيق استجاب لمطلب الانجليز بحل الجيش المصرى فأصدر مرسوماً بذلك بعد خمسة أيام من احتلالهم للقاهرة ، أى فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ من مخبئه . فى قصر رأس التين ، بحل الجيش وتسريح الجنود . وجاء ذلك ردًا على مقاومة الجيش لهم . وهكذا لم ينس الخديو توفيق واقعة قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ عندما تجمع الضباط وقدموا عريضة لرئيس النظار . . وهى المظاهرة العسكرية التى سبقت مظاهرة قصر عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ . وفيها تبلورت أفكار الجبهة الوطنية العرابية ضد القصر وضد الأجانب .

** وظلت ثكنات قصر النيل تحت الاحتلال البريطانى . . ثم مضى الزمان حتى جاء يوم ٣١ مارس ١٩٤٧ عندما انسحبت منها القوات البريطانية لآخر مرة ووقف الملك فاروق يرفع علم مصر فوق ثكنات قصر النيل ، وكان يرتدى بدلته العسكرية وبجواره محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر وكبار قادة الجيش المصرى . . وكان هذا اليوم مشهودًا لانه كان يعنى جلاء الانجليز عن القاهرة .

** وعاد الجيش المصرى إلى الثكنات التى أنشأها الوالى سعيد باشا . . وظلت ثكنات قصر النيل فى موقعها حتى تقرر إزالتها ونقل القوات المسلحة إلى منطقة العباسية فى نفس المعسكرات التى جلت عنها القوات البريطانية .

وتقرر هدم الثكنات لإنشاء واجهة غربية للقاهرة لتتحول هذه المنطقة التى كان يدنسها جنود الاحتلال إلى أراض أقيمت عليها مبانى جامعة الدول العربية . وفندق هيلتون النيل ومبنى الاتحاد القومى االذى بنى فى الأصل ليكون مقرًا لبلدية القاهرة ، ثم تحول إلى مقر للاتحاد الاشتراكى ثم إلى مقر للحزب الوطنى الديمقراطى .

** ومع عام ١٨٨٢ تم رصف شارع قصر النيل بالحجر . . ثم بالأسفلت بعد أن أصبح أشهر شارع تجارى فى القاهرة يبدأ من عند المتحف المصرى ليصل إلى ميدان سليمان باشا ثم يواصل طريقه إلى تقاطعه مع شارع ابراهيم « الجمهورية الآن » عند جامع الكيخيا .

وشهد هذا الشارع زحفًا من كبار التجار فوجدنا فيه محلات اليهود مثل شالون وصيدناوى وداود عدس وبنزيون . كما وجدنا محال الصالون الأخضر وبيع المصنوعات المصرية وعمارة الإيموبيليا أشهر عمارات العاصمة . . ومقر البنك المركزى والبنك الأهلى . . وهكذا .

** أما التمثال الذى كان مقررًا إقامته للخديو إسماعيل فوق القاعدة التى أقيمت فى ميدان الإسماعيلية « التحرير » فقد وصل إلى الاسكندرية من إيطاليا بعد ثلاثة أيام من قيام حركة ٢٣ يوليو ولهذا لم يكتب للخديو أن ينعم بتمثاله فى الحى الذى أنشأه : حى الإسماعيلية !!



شارع قصر النيل كما يبدو حالياً بعد حوالى ١٣٠ سنة من إنشائه .

وإذا كان الشارع الممتد من كوبرى قصر النيل إلى باب اللوق قد حمل اسم « شارع الخديو إسماعيل » فإنما كان ذلك بهدف ربط الثكنات والميدان الجديد الذى حمل أيضا اسم إسماعيل بقصر عابدين الذى بناه الخديو ونقل إليه مقر الحكم ، بعد أن ظلت تحكم من القلعة قرونا عديدة منذ بناها الناصر صلاح الدين ، وهو الشارع المعروف الآن باسم شارع التحرير قبل امتداده من كوبرى الجلاء إلى الدقى . ثم يمتد إلى ما بعد المركز القومى للبحوث . وحمل الشارع الثانى اسم : شارع سليمان باشا « الفرنساوى » الضابط الذى خدم بجيش بونابرت ثم أصبح رئيسًا لأركان جيش مصر أيام محمد على باشا . . ثم شارع قصر النيل الممتد الآن من ميدان التحرير إلى شارع الجمهورية بعد أن يعبر ميدان سليمان باشا . .

** وللحقيقة فإن محمد على باشا هو أول من عمر منطقة قصر النيل . بل كان هو وراء إطلاق هذا الاسم عندما استحضر « المعلمين من الروم » لإدخال المبانى الرومية فى الديار المصرية . وكما أنشأوا له سراية القلعة « قصر الجوهرة » وسراية شبرا ، انشأوا لابنته زينب هانم سراية الأزبكية . . ثم بنوا لابنته نازلى هانم سراية على ساحل النيل هى التى هدمها سعيد باشا ليبنى محلها قشلاق قصر النيل لإقامة العساكر به ، كما قال على مبارك فى خططه التوفيقية ، أى أن اسم المنطقة جاء من « قصر النيل » الذى بناه محمد على لابنته نازلى هانم . . وهنا كانت بداية التسمية . .

ولا يمكن أن نترك الحديث عن « قصر النيل » دون حديث مفصل عن كوبرى قصر النيل . . فقد بدأ إنشاء « كوبرى » قصر النيل عام ١٨٦٩م أيام الخديو إسماعيل وكان بذلك أول كوبرى للمرور أنشىء على النيل من منبعه إلى مصبه وافتتح للمرور يوم ١٠ فبراير ١٨٧٢م وأنشأته شركة فيف ليل الفرنسية واستمر فى الخدمة ٦٠ عامًا تقريبًا ، أى إلى أول إبريل ١٩٣١ وكان طوله ٤٠٦ أمتار .

ثم تقرر هدم كوبرى قصر النيل لانشاء كوبرى آخر محله وطرح فى مناقصة يوم ٥ مارس ١٩٣٠ ورست المقاولة على شركة دورمان لونج الإنجليزية بتكاليف قدرها ٣٠٨٢٥٠ جنيها و ٢٥٠ مليما !! وهو الكوبرى الحالى الذى افتتحه الملك فؤاد فى



تمثال الخديو إسماعيل . . لم يكتب له أن يوضع فى قلب ميدان الإسماعيلية [التحرير الآن] لأنه وصل بعد ثلاثة أيام من ثورة ٢٣ يوليو .



أكبر مجمع حكومى فى مصر يتوسط ميدان التحرير .

منتصف عام ١٩٣٣م وأطلق عليه اسم والده : الخديو إسماعيل اعترافا بفضل المنشىء الأول لكوبرى قصر النيل القديم . وأصبح طول الكوبرى الجديد ٣٨٢ مترًا و٢٠ سم وعرضه ٢٠ مترًا . وكجزء من تجميله أعيد تركيب « الأسود » الأربعة التى كانت قائمة على مدخل الكوبرى القديم لتكون أثرًا ناطقًا بفضل إسماعيل المنشىء الأول ، ولكن على ارتفاع أقل مما كانوا عليه فى الكوبرى القديم .

** إذا كانت قواعد كوبرى قصر النيل القديم قد بنيت بالدبش العادى المحاط بطبقة من الحجر الجيرى الصلب ؛ إلا أن الكوبرى الجديد أسس من صناديق حديدية مملوءة بالخرسانة المسلحة ودعائمه من الخرسانة العادية مكسوة بالجرانيت الوارد من أسوان وبلغ وزنه المعدنى ٣٣٦٠ طنًا أى ضعف الكوبرى القديم . .

* وقبل أن نترك قصر النيل القديم والجديد لا يفوتنا الإشارة إلى أمر يراه البعض غريبًا . . ولكنه أمر واقعى . الأمر هو فرض رسوم يدفعها كل من يعبر الكوبرى القديم الذى أنشأه الخديو إسماعيل سواء من البشر أو الدواب . ومن المؤكد أن هذا أمر واقعى تتبعه الآن معظم دول العالم : فى أمريكا . وفى تركيا . وفى دبى بدولة الإمارات عند إنشاء جسر المكتوم الأول على « خور دبى » . وهذه الرسوم كانت تستخدم فى صيانة الكوبرى . . فضلاً عن رد بعض تكاليف الإنشاء .

فقد نص المرسوم الذى نشرته « الوقائع المصرية » يوم ٢٧ فبراير ١٨٧٢م بعد ١٧ يومًا من افتتاح الكوبرى للمرور على تحصيل رسوم عبور من المارة وهو مرسوم أصدره رئيس المجلس الخصوصى إلى محافظ القاهرة .

** فقد فَرَضَ على « الجمل المحمل » قرشين رسم عبور . والفارغ قرشا واحدا . والخيول والبغال المحملة قرشا و ١٥ بارة . والفارغة ٣٠ بارة . والجاموس والأبقار قرشًا و ١٥ بارة لكل واحدة . وعربات الكارو المجوز المحملة ٣ قروش والفارغة قرشا و ٢٠ بارة والمفرد المحملة قرشين ، والفارغة قرشا واحدا ، وعربة الكارو الحجارى الحمارى المحملة قرشا و ٢٠ بارة والفارغة ٢٠ بارة . وكل واحدة من الغنم أو الماعز ١٠ بارات . أما الرجال والنساء « فارغين وشايلين » فيدفع كل فرد ١٠٠ بارة وعربات الركوب قرشين

محملة وقرشا للفارغة . مع إعفاء الأطفال حتى ٦ سنوات المارين مع أقاربهم من دفع هذه الرسوم . .

** ولكن الغريب أن إعلان فرض هذه الرسوم ضم أشياء غريبة ، ربما كانت موجودة فى هذا الزمان ـ منذ ١٢٣ عامًا فقط ـ إذ تضمنت الرسوم فرض رسم عبور على النعام الصغير والكبير . والغزال . والكلاب والخنزير والحلوف والضبع والدب ويسدد عن كل منها ١٠ فضة . . أى أن هذه الحيوانات كانت موجودة وقتها وكان دفع الرسوم عنها أمرا عاديا أو شائعا !!

ونص المرسوم على أن هذه الرسوم تخصص للإنفاق على لوازم الكوبرى !!

تلك هى حكاية قصر النيل . . الكوبرى القديم والجديد . الذى حولوا اسمه إلى كوبرى التحرير . . ثم أطلقوا عليه اسم : جمال عبد الناصر . . ولكن الاسم القديم ظل صامدًا رغم عوادى الزمن : قصر النيل لأن قرارات الشعوب أقوى من أى مراسيم حكومية !



عباس حلمى الأول والى مصر الذى تولى الحكم عام ١٨٤٨ ووضع أساس حى العباسية الشهير .

العباسية من صحراء مهجورة .. إلى حى للأثرياء

كانت مجرد صحراء جرداء على شرق القاهرة . ومن المؤكد أنها أول ضاحية للقاهرة . . كانت على الطريق المؤدى إلى قريتى المطرية وهليوبوليس ، أو واحات عين شمس . تلك هى العباسية التى التحمت الآن بالقاهرة نفسها ، بل وامتد العمران ، ليعبرها إلى الشرق أكثر حيث مدينة نصر وإلى الشمال الشرقى حيث هليوبوليس ، أو مصر الجديدة .

** والعباسية وضع أساسها عباس حلمى الأول باشا والى مصر الذى تولى الحكم بعد وفاة الوالى الثانى ابراهيم باشا فى عام ١٨٤٨ واستمر واليا على مصر حتى عام ١٨٥٤ . فقد قرر عباس الأول هذا تشييد ثكنات للجيش المصرى على حافة الصحراء ووضع أسس حى العباسية وشجع الناس على تعمير هذه المنطقة عن طريق منح الأراضى وتشييد مستشفى ومدرسة وقصر . . وسار على منواله الوالى الرابع سعيد باشا .

** إلا أن الطفرة الأساسية كانت فى عهد إسماعيل باشا الذى أنشأ عدة مدارس عسكرية فيها ونقل إليها مدرسة الضباط « المدرسة الحربية » . حتى يسهل على التلاميذ القيام بالتمرينات الحربية وضرب النار . .

ففى عام ١٨٦٣ أنشأ إسماعيل المدرسة التجهيزية بالعباسية . التى نقلت بعد فترة إلى درب الجماميز عام ١٨٦٨ وعرفت باسم المدرسة الخديوية وفى عام ١٨٦٣ أيضًا أنشأ مدرسة المبتديان الابتدائية التى نقلت بعدها إلى الناصرية ثم إلى حى المنيرة . . كما أنشأ مدرسة البيادة « المشاة » ١٨٦٤ وكان عدد تلاميذها عند الإنشاء ٤٩٠ تلميذًا . . ثم مدرسة السوارى « الفرسان » عام ١٨٦٥ ، ومعها فى نفس العام أنشأ إسماعيل باشا

مدرسة الطوبجية « المدفعية » ، ومدرسة أركان حرب ، ثم مدرسة الرى والعمارة وسميت « المهندسخانة » ١٨٦٦م بسراى الزعفران التى أنشأها إسماعيل باشا والتى نقلت بعد ذلك إلى سراى درب الجماميز ثم إلى الجيزة . وبالمناسبة سمى هذا القصر الضخم بالزعفران نسبة إلى نبات وزهرة الزعفران التى كانت تنمو كثيرًا فى المنطقة . وهو نفس القصر الذى تشغله الآن إدارة جامعة عين شمس « إبراهيم سابقًا » فضلاً عن ميدان لسباق الخيل . .

** وبلاشك أن كل هذه المنشآت العسكرية وضعت الأساس السليم لحى العباسية الذى كانت بدايته سراى ضخمة أقامها عباس الأول . ثم بتشجيع من إسماعيل وتسهيل فى تملك الأراضى ، انطلق الناس يعمرون العباسية ، ثم العباسية الشرقية . وإن كان البعض كان يرى فى ذلك ابتعادًا عن قلب العاصمة . ولكن بسبب جفاف جوها وارتفاع أرضها أقبل الناس على سكنى العباسية حتى توسعت ، وإن أصيبت بضربة شديدة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية بسبب غارات الطائرات الألمانية والإيطالية على المعسكرات الانجليزية فى العباسية . .

* وحى العباسية له تاريخ حافل فى سجل العسكرية المصرية خلال أحداث الثورة العرابية ففى يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ عقد ٦٠٠ ضابط مصرى اجتماعًا فى ثكنات الجيش بالعباسية خرجوا على إثره فى مظاهرة عسكرية اشترك فيها طلاب المدارس العسكرية وبعض الجنود وثلاثة من أعضاء مجلس شورى النواب ، وتوجهوا إلى مقر وزارة المالية فى لاظوغلى بقيادة البكباشى لطيف سليم وتربصوا برئيس النظار نوبار باشا والمفتش الأجنبى « الوزير » ويلسون عند خروجهما من النظارة « الوزارة » التى كانت قصرًا لإسماعيل باشا المفتش « إسماعيل صديق » وضربوهما ضربًا مبرحًا وسجنوهما فى داخل الوزارة ولم ينقذهما إلا الخديو إسماعيل . وفى اليوم التالى سقطت وزارة نوبار ولكن بعد أن أثبتت مظاهرة الضباط قدرة الجبهة الوطنية المصرية الرافضة للتغلغل الأجنبى . .

** وامتدت حركة العمران . فشهدت العباسية إنشاء المستشفى اليونانى والمستشفى الإيطالى ، بعد إنشاء مستشفى الأمراض النفسية .

وظل اسم العباسية قائماً لأنه كان من الصعب تغييره بزوال حكم أسرة محمد على عام ١٩٥٣ .

جرانفيل .. أو فخرى عبد النور :

ونروى هنا صفحة من صفحات الفخار المصرية لأنها تجسد الوحدة الوطنية وتعطى للمناضلين حقهم التاريخى فى أن يذكرهم الأحفاد حتى ولو كان هذا مجرد لافتة على شارع تحمل اسم هذا البطل أو الإنسان . .

** وحديثنا الآن عن فخرى بك عبد النور . . فهل يعرف أحد ممن يسكنون فى شارع فخرى عبد النور الآن ، أو يمرون به ، شيئًا عن هذا المصرى الكبير الذى كان من الرعيل الأول لثورة ١٩١٩ ؟

العلاقة بين الشخص والشارع بدأت عام ١٩٥٠ عندما أرسل أهالى جرجا عريضة إلى وزير الشئون البلدية والقروية ابراهيم باشا فرج يطلبون فيها إطلاق اسم فخرى عبد النور ـ ابن مدينتهم ـ على أحد شوارع القاهرة . وذهب ابراهيم باشا فرج إلى مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء يبلغه رغبة الأهالى، وعلى الفور رد النحاس باشا موافقاً قائلا : فخرى بك لم يأخذ حقه . وبدأ البحث عن شارع يليق بالرجل . .

** كانت الأسرة تسكن فى العباسية وكان بيتها يحمل رقم ١١٧ على شارع العباسية عند شارع عظيم الدولة . . ودار حوار بين النحاس باشا وابراهيم باشا فرج ، وطرح إطلاق اسم فخرى بك على شارع عظيم الدولة هذا حيث بيت الأسرة . ولاحظ هنا ماذا قال النحاس باشا الذى يحفظ للناس حقوقهم عندما قال : أنا لا أعرف من هو عظيم الدولة . ولكن مادام هذا الرجل كان عظيماً فى دولته فلماذا نحرمه من الإبقاء على اسمه على هذا الشارع ـ وهذا درس لمن لا يعتبر ـ وسأل عن أقرب شارع فى المنطقة فقالوا له : شارع جرانفيل فأظهر النحاس اعتراضه من بقاء اسم هذا الرجل على شارع يمتد طوله إلى ثلاثة كيلو مترات . وقال : فليكن هذا هو الشارع الذى يجب أن يحمل اسم فخرى بك عبد النور . . فلماذا امتعض النحاس ومن هو جرانفيل ؟ .

جرانفيل هذا كان وزير خارجية بريطانيا ١٨٨٧م وأرسل له المعتمد البريطانى فى



فخرى عبد النور من قيادات حزب الوفد فى الصعيد ، وضع النحاس باشا اسمه على شارع كان يحمل اسم « جرانفيل » وزير خارجية انجلترا .

مصر : لورد كرومر يسأله الرأى فيما لو اختلف رأى المستشار الانجليزى مع رأى الناظر « أى الوزير المصرى » فرد جرانفيل هذا على كرومر بتلغراف من أربع كلمات فقط هى : « مشورة المستشار بمثابة أمر » وبهذا التلغراف أصبحت كلمة المستشار البريطانى هى العليا حتى فوق رأى الحكومة المصرية . . وهذا التلغراف كما يقول سعد فخرى عبد النور قطب الوفد وابن فخرى بك ، شل حركة النظار حتى ١٩٠٦ عندما اعترض سعد باشا زغلول على تدخل المستشار الانجليزى للمعارف دنلوب وهدد سعد الوزير المصرى بالاستقالة وعندما احتكموا إلى كرومر قال : نعمل استثناء لسعد باشا .

** وهكذا قرر النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية إطلاق اسم فخرى عبد النور على شارع جرانفيل وهو الشارع الذى يمتد من أمام كلية الشرطة حتى ميدان عبده باشا حيث مدرسة العباسية الثانوية ـ إسماعيل القبانى الحالية ـ وفى هذا الشارع مدرسة الفنون والصنايع « كلية الهندسة الآن بجامعة عين شمس » وهى المدرسة التى أنشأتها أول حكومة وفدية عام ١٩٢٤ ، وكان أول ناظر لها هو إبراهيم فهمى النمرسى .

** أما فخرى عبد النور فقد ولد فى جرجا فى ١٥ يونية ١٨٨١ لأسرة معروفة فى الصعيد بالنشاط التجارى والزراعى . ووالده هو عبد النور إقلاديوس « ١٨٤٩ ـ ١٨٩٠ م » الذى اشترك فى إعداد حملة إسماعيل لتثبيت حقوق مصر فى مديرية خط الاستواء وزارته الامبراطورة أوجينى فى بيته عام ١٨٦٩ . . أما جده إقلاديوس حنين ١٨٠٤ ـ ١٨٧٧ فكان مساعدًا لحاكم الإقليم .

تأثر فخرى فى سنواته الأولى بالجو العام الذى ساد عقب الثورة العرابية فانضم لحزب الأمة . وأيد الخديو عباس حلمى الثانى فى مواقفه الوطنية حتى زاره الخديو فى منزله بجرجا ١٩٠٩ ومنحه البكوية .

ثم كان أحد ثلاثة أقباط التقوا بسعد زغلول فى نوفمبر ١٩١٨ وجمعوا له التوقيعات بالتوكيل عن الأمة . وأصبح عضوا بارزا فى حزب الوفد وفى لجنته المركزية واشترك فى تأليف المجموعة الثالثة من الوفد بعد اعتقال المجموعتين الأولى والثانية . واعتقلته السلطات البريطانية وسجنته أكثر من مرة بسبب نضاله الوطنى .

** واختير عضوًا بالوفد بكامل هيئاته فى ١٩٢٣ . وانتخب عضوا بمجلس النواب عن جرجا منذ أول مجلس دستورى عام ١٩٢٤ إلى أن مات فى ٩ ديسمبر ١٩٤٢ وهو يخطب تحت قبة مجلس النواب يدافع عن قضايا الفلاحين . وتعتبر مذكراته والتى أصدرها ابنه سعد الذى حمل اسم سعد زغلول وثيقة هامة وصادقة عن أحداث ثورة ١٩١٩ وصدرت عام ١٩٩٢ وتسجل الأحداث الوطنية من نوفمبر ١٩١٨ إلى يناير ١٩٢٤ . ورثاه النحاس عند وفاته . .

** تلك قصة شارع فخرى عبد النور . . أحد أبطال مصر الحديثة

النيل عند السيدة وعابدين !

يعرف البعض أن دلتا النيل كانت تتكون من سبعة فروع ، قبل أن تستقر الدلتا عند فرعين اثنين هما دمياط ورشيد وتدفن الفروع الخمسة الأخرى . . ولكن هل يعرف العامة أن نهر النيل عند القاهرة غير مجراه أربع مرات على الأقل . . وأن معظم أراضى القاهرة الحديثة كانت تحت مياه النيل ، أو كانت كلها وبعضها تقع على الضفة الغربية للنيل ، وليس شرق النيل كما هى الآن . . ليس هذا فقط ، بل إن الضفة الغربية للنيل كانت فى منتصف القرن الماضى تقع غرب المجرى الحالى . أى أن كل مناطق مدينة الجيزة والدقى والعجوزة بما فيها من شارع مراد وحديقتى الحيوان والأورمان وشرقى الدقى والعجوزة وشارعى الجيزة والنيل . . كانت كلها تقع شرق مجرى النيل الحالى . .

فإذا تخلينا هذا الوضع نكتشف أن وسط القاهرة الحالى كله من قرب مسجد السيدة زينب وغرب قصر عابدين والأزبكية إلى ميدان رمسيس كانت كلها غرب المجرى الرئيسى للنيل ، أى أن بعضها كان تحت مجرى النيل . . فى القرن السابع . . وبالتالى فقد كانت منطقة مجلس الشعب وميدان التحرير والشوارع المتفرعة من شارع قصر العينى وكل شوارع وسط القاهرة . . كانت كلها إما تحت النيل . . أو فى غرب النيل !!

** ويقول العلامة المصرى الدكتور رشدى سعيد فى كتابه العظيم « نهر النيل » إن النهر عند القاهرة ـ غير مجراه أربع مرات منذ الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن التاسع عشر .

** فقد كان النهر فى منتصف القرن السابع الميلادى ـ عند الفتح الإسلامى لمصر ـ يبدأ من جنوب حصن بابليون ويتجه شمالاً فى نفس مسار شارع سيدى حسن الأنور

حتى يقترب من مسجد السيدة زينب ثم يتجه شمالاً عند تقاطع شارع السد البرانى ليأخذ المجرى الذى نعرفه الآن بشارع محمد فريد إلى نفس مسار شارع الجمهورية ليصل إلى ميدان رمسيس عند المقس . والمقس هى تحريف للمكوس أى الجمارك وكان موقعها عند باب البحر مجاورًا لمسجد أولاد عنان القديم .

** ثم تحرك النهر غربًا . وكان الوضع هكذا فى أواخر القرن العاشر الميلادى عندما يبدأ النهر من شمال المجرى السابق أى يقترب أكثر من فم الخليج ويسير شمالاً فى نفس مسار شارع « أبو سيفين » ثم يتخطى شارع السد البرانى « ولاحظوا الاسم » ويتجه شرقًا عند شارع منصور الحالى فى باب اللوق ليأخذ المسار القديم عند بداية شارع محمد فريد . .

** المرة الثالثة كانت أيام صلاح الدين الأيوبى ثم العصر المملوكى عندما اتجه النهر غربًا أكثر من أمام مقياس النيل فى الروضة ليأخذ مسار شارع قصر العينى الحالى ثم ميدان التحرير ثم يتجه غربًا من أمام فندق هيلتون ليقطع شارع ٢٦ يوليو ويتجه شمالاً بغرب . .

** المرة الرابعة فى منتصف القرن الماضى . . عندما كانت الضفة الغربية للنيل غرب المجرى الحالى . ويكاد يأخذ مسار شارع جامعة القاهرة الحالى وتقع مناطق الدقى وشارع الدقى إلى أن يصب فى المجرى الحالى قبل كوبرى « أبو العلا » . . ويتضح من هذا أن كل مناطق حديقة الحيوان وحديقة الأورمان والعجوزة والدقى حتى أمام كوبرى الزمالك . . كانت كلها شرق مجرى النيل .

** وعندما بدأ النهر فى الإطماء حول ميناء المقس [باب الحديد] ظهرت حوله جزيرة الفيل عام ١١٧٤م ثم دخلت فى صلب المدينة عند انسداد الفرع الشرقى للنيل الذى كان يفصلها عن المدينة فى حوالى عام ١٢٨٠ ميلادية . ومكان هذه الجزيرة الآن أحياء شبرا والسبتية وجزيرة بدران ، ويحتل الجزء الجنوبى الغربى من الجزيرة الذى كان عاليًا لا تغمره مياه الفيضان منذ البداية « بلدة بولاق » التى أصبحت ميناء القاهرة النهرى الجديد بعد إطماء وانسداد ميناء المقس القديم عام ١٣١٣م . وهكذا نعرف أن

بولاق كانت عند تأسيسها وحتى أواخر القرن الماضى مفصولة عن القاهرة القديمة والذى كان يصل « بلدة بولاق » هذه بالقاهرة طريق يمر فى سهل فيضان النيل حتى ميدان الأزبكية الذى كان بحيرة !

النيل .. عند باب الحديد :

وخلال عمليات تحرك النيل غربًا عند القاهرة انحسرت المياه عن ميناء القاهرة عند منطقة المقس « أى المكس » وحيث كان يتم تحصيل الجمارك على الواردات . وكان موقع هذا الميناء النهرى خلف جامع أولاد عنان القديم ـ مسجد الفتح الحالى فى باب الحديد ـ وهو المسجد الذى أنشأه الحاكم بأمر الله وعمره الصاحب عبدالله المقسى عام ٧٧٠ هجرية ثم سكنه الشيخ محمد عنان وأخوه وأولاده فعرف بهم . وكان فى شمال هذا المسجد منظرة عرفت بمنظرة المقسى كان يجلس فيها الخليفة الفاطمى عند توديع أو استقبال الأسطول الحربى الذى كان يخرج للغزو من المقس فى النيل إلى دمياط ومنها للبحر المتوسط . ومازال هناك شارع اسمه : باب البحر فى هذا الموقع .

** وفى شمال بستان المقس الأرض التى عرفت باسم أرض الطبالة وموقعها الآن حى الفجالة وجزء من حى الظاهر والشرابية .

وتبدأ حكاية الزمالك من القرن الرابع عشر الميلادى . . عندما ظهرت جزيرة عرفت باسم جزيرة حليمة عام ١٣٧٢م . وأقبل الناس عليها وبنوا فيها الأخصاص وزرعوا حولها الزهور وعائلة الخيار والقثاء والبطيخ ، واتجه أرباب الخلاعة والمجون إليها كما يقول محمد كمال السيد فى كتابه أسماء ومسميات من مصر القاهرة « وتهتكوا بأنواع المحرمات فارتفعت قيمة الأرض حتى بلغ إيجار الفدان ٨٠٠٠ درهم . . عن ستة أشهر فقط هى التى ينحسر عنها الماء عن الجزيرة . . ولما زاد المجون والفساد أمر السلطان المملوكى الكامل شعبان بن قلاوون بحرق هذه الأخصاص وإتلاف مابها .
واتصلت الأرض فى جزيرتى القرطية وحليمة وهى التى أسماها الفرنسيون عند دخولهم مصر بجزيرة بولاق . ثم جزيرة القرطية ـ والقرط هو البرسيم الأخضر لتتكون جزيرة الزمالك .

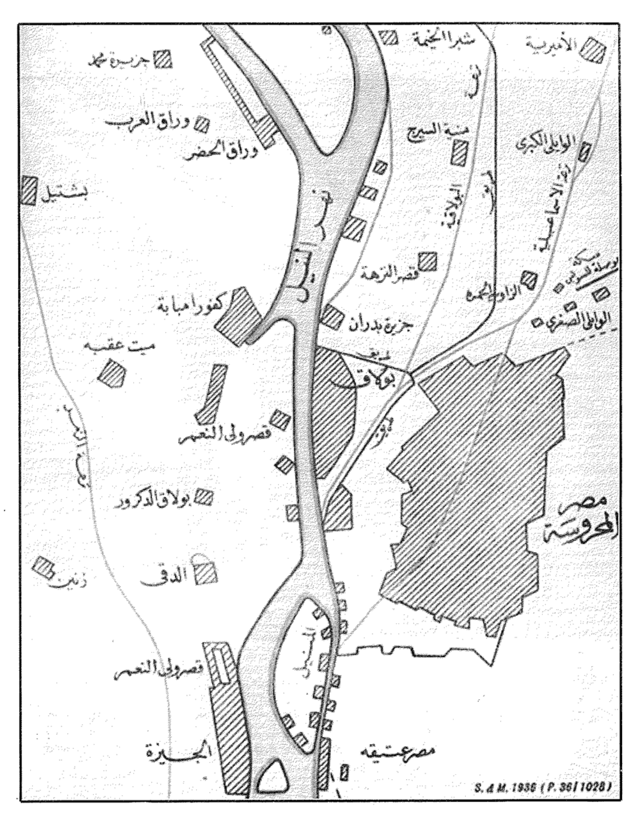
** ولقد اختلف المؤرخون فى معنى كلمة الزمالك . . منهم من قال إن الزمالك كلمة أعجمية معناها الأخصاص وهى بيوت من الغاب ومفردها زملك . . ومنهم من قال تفسيرا آخر ، إذ عندما أنشأ الخديو اسماعيل قصر الجزيرة « الآن موقعه قصر آل لطف الله الذى أصبح مقرًا لفندق عمر الخيام ثم أصبح فندق الماريوت » . . جعل الخديو الحرس الخاص به يقيم حول قصره هذا فى خيام الطراز « ذى الزملك» كما جاء فى تقويم النيل !!

** ولمن لا يعلم أن « البحر الأعمى » أى فرع النيل الغربى الذى يفصل الزمالك الآن عن العجوزة والدقى لم يكن موجودًا فى عام ١٨٧٣ !! بل كان عبارة عن منخفض من الأرض تغطيه مياه النيل عند الفيضانات العالية . وظهر هذا واضحًا فى الخريطة التى رسمها محمود باشا الفلكى فى هذا العام . بل إن الكوبرى الذى أقيم على هذا الفرع ـ كوبرى الجلاء الآن ـ وتم فى ٩ نوفمبر ١٨٧٢ بمعرفة الشركة التى أقامت كوبرى قصر النيل القديم . . هذا الكوبرى لم يستعمل إلا بعد ذلك بخمس سنوات أى فى نوفمبر ١٨٧٧ لأنه لم يكن قد تم حفر مجراه إلا فى هذا التاريخ « تقويم النيل ـ الملحق ص ١١٤ » . وبحفر هذا المجرى المعروف الآن بالبحر الأعمى أحاط الماء بالمنطقة كلها وأصبحت بذلك جزيرة . . هى جزيرة الزمالك . وبإنشاء كوبرى الانجليز الجديد عام ١٩١٤ أبطل استخدام النيل الرئيسى بين الجزيرة وبولاق فى الملاحةالنهرية وتم الاكتفاء بسير الملاحة عن طريق : البحر الأعمى . . وواضح من معنى « الأعمى » أنه كان نهرا بلاماء كالعين فاقدة الماء والإبصار !!

** وفى أواخر القرن الماضى وللحد من عمليات تحرك مجرى النيل غربًا بذلت الحكومة جهدًا كبيرًا لإيقاف هذا التحرك ومحاولة تثبيته وتقوية جسوره . . وقد ألقيت من أجل ذلك ـ كما يقول الدكتور رشدى سعيد فى كتابه « نهر النيل » حجارة كبيرة وكثيرة فى فرع النيل الذى يجرى إلى الغرب بين جزيرة الروضة والجيزة لإرغامه على الجريان فى معظمه فى الفرع الشرقى . كما تمت تقوية جسور النيل على طول شارع الجيزة، وأدت هذه الجهود إلى تثبيت النهر فى مجراه الحالى ووقف تحوله ناحية الغرب . كما أدت إلى تثبيت سهل الفيضان الغربى للنيل الذى تم صرف مياهه وشق الشوارع فيه . لتظهر أحياء العجوزة والدقى والجيزة . .



سراى الجزيرة أنشأها الخديو إسماعيل . . وكانت « أوجينى » امبراطورة فرنسا أول من أقام بها خلال احتفالات افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ .



خريطة رسمها محمود الفلكى باشا سنة ١٨٧٣ بعد إنشاء كوبرى الجلاء القديم [نوفمبر ١٨٧٢] تؤكد أن مجرى البحر الأعمى الحالى لم يكن موجودًا . وكانت أراضى الدقى والعجوزة متصلة بأراضى الزمالك الحالية .

تلك هى حكاية أرقى أحياء القاهرة المعاصرة : الزمالك والدقى والعجوزة بشارع النيل وشارع الجيزة . . وهى الأحياء التى هرب إليها الناس بعد ان ارتفع عدد سكان القاهرة من ٢٦٠ ألف نسمة عند دخول الفرنسيين إلى ٣٧٥ الف أيام على باشا مبارك إلى ٥ ملايين عام ١٩٧١ ليصل الآن عدد سكانها نهارًا إلى ١٣ مليونا . . ومساء إلى ٩ ملايين نسمة !!

من قصر للبرديسى إلى مدرسة .. للمبتديان !

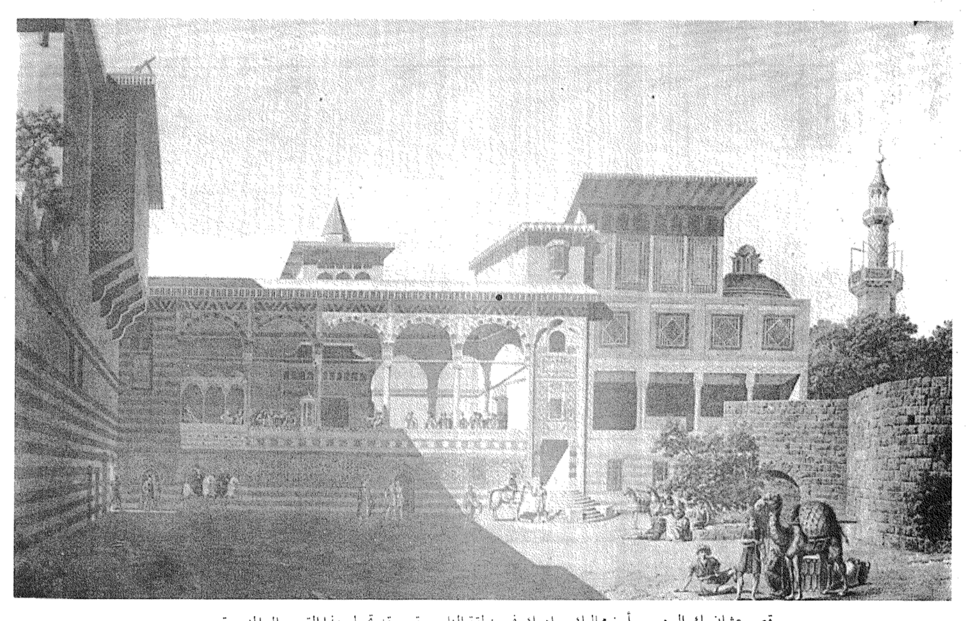
شارع توالت عليه الخطوب . وتغير اسمه وتبدل مرات عديدة . ولكن ظل صامدًا . . لم لا وهو أشهر شوارع المنيرة كلها . . انه شارع المبتديان !!

وهو أول حى المنيرة ، بعد حى الإنشاء ، يبدأ من شارع قصر العينى وينتهى عند ملتقى شارعى الناصرية وخيرت . سمى « المبتديان » لأنه فى يناير ١٨٦٨ تم نقل مدرسة المبتديان إلى الناصرية مكان قصر عثمان بك البرديسى ، الذى كان يستخدم لاستقبال واستضافة ضيوف مصر . والمبتديان كلمة تركية تعنى كلمة الابتدائية . .

** تم مع إنشاء المدرسة السنية الثانوية للبنات ـ وهى أول مدرسة ثانوية لهن فى مصر ـ اختير لها نفس القصر ـ البرديسى ـ ليكون موقعًا ومقرًا لها . .

وعثمان بك البرديسى هذا كان من أبرز مماليك مراد بك الذى تلقد الإمارة عام ١٧٩٥م . وكان يشارك إبراهيم بك السلطة إلى قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر . وبعد خروج الفرنسيين وسفر محمد بك الألفى إلى انجلترا طلبًا لمساعدتها له ضد محمد على باشا، أصبح عثمان بك رئيسًا للمماليك المرادية . وكان للبرديسى قصره هذا فى الناصرية وعندما عاد الألفى من انجلترا ، أمكن لمحمد على بخيانة من البرديسى الإيقاع به وتشتيت قواته .

** ثم سلط محمد على العسكر على البرديسى يطالبونه برواتبهم ففرض البرديسى ضرائب جديدة على أهالى العاصمة فثار الفقراء وانطلقت النساء فى الشوارع يهتفن فى المظاهرات « إيش تاخد من تفليسى يا برديسى » وشجع محمد على الأهالى ليستتب له الأمر . . ثم هاجمه العسكر فى قصره هذا فهرب إلى صعيد مصر حتى مات بعد مرضه



قصر عثمان بك البرديسى أبرز مماليك مراد بك فى منطقة الناصرية . وقد تحول هذا القصر إلى المدرسة الناصرية فى حى السيدة زينب ، ثم أصبحت مقراً لمدرسة السنية الثانوية للبنات والصورة من رسم الفنان بلزاك أيام الحملة الفرنسية .

فى مدينة منفلوط ودفن فيها عام ١٨٠٦ . فاستولى محمد على على هذا القصر وحوله إلى قصر للضيافة قبل أن يصبح مقرا لمدرسة المبتديان « الابتدائية» ثم فى مكانه أصبحت مدرسة السنية الثانوية للبنات . . ومن هنا حمل الشارع اسم : المبتديان . .

. . وتغير اسم الشارع فحمل اسم الشيخ محمد عز العرب المحامى الذى ترافع ضد الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد أكبر صحف مصر اليومية فى القضية المشهورة عندما تزوج على يوسف من السيدة صفية بنت الشيخ السادات عام ١٩٠٤ ونجح محمد عز العرب فى الحصول على حكم ضد على يوسف بالتطليق والتفريق بينه وبين السيدة صفية السادات . . لعدم التكافؤ فهى بنت الأشراف الساداتية . . وهو «الجورنالجى» وكانت حرفة لم تحظ بعد ـ وقتها ـ بالاحترام الكافى . . ولقد أطلقوا اسم الشيخ محمد عز العرب على هذا الشارع الذى كان يحمل اسم : الشيخ على يوسف ، فهل كان هذا استمراراً للصراع بين الشيخين العتيدين ؟!

واستقر اسم الشيخ محمد عز العرب على الشارع بينما أطلقوا اسم الشيخ على يوسف على الشارع الذى يتقاطع معه بالقرب من شارع قصر العينى وهو الشارع الذى يمتد من هناك ويخترق حى المنيرة موازيًا لشارع قصر العينى .

** وشهد شارع المبتديان هذا ـ مع تغير اسمه مرات عديدة ـ منشآت عديدة هامة منها مدرسة دار العلوم التى أصبحت كلية وكانت من أهم وأكبر وأول المدارس العالية فى تاريخ التعليم الحديث فى مصر الحديثة . وكما كان بداية التعليم الابتدائى ثم الثانوى بنات . . فإن فيه ايضًا واحدة من أكبر دور الصحف فى مصر تلك هى «دار الهلال » بمبناها الشامخ الذى أقيم فى هذا الشارع بعد سنوات قليلة من بداية القرن العشرين .

** ورغم تعدد الأسماء التى أطلقت على هذا الشارع العتيد إلا أن الاسم الأول مازال هو السيد وهو السائد . . فكل الناس المقيمين فيه يعرفونه باسم شارع المبتديان . . أما الرسائل فتحمل الاسم الرسمى وهو : محمد عز العرب المحامى الشيخ الذى لم يعرفه العامة إلا بعد دفاعه عن الست صفية السادات . . فى قضية الزوجية الشهيرة التى هزت مصر كلها عام ١٩٠٤ .



صورة نادرة لمحمد على باشا

باب اللوق وحكاية عمرها ٧٠٠ عام !

فى القاهرة ميادين عديدة أشهرها العباسية . وقد كتبنا حكايتها . ورمسيس وكتبنا بعض حكايته . . وهناك ميدان التحرير « الإسماعيلية » الذى كتبنا حكايته أيضًا .

وهناك ميدان العتبة التى كانت زرقاء !! قبل أن تصبح خضراء . ثم حملت اسم محمد على الكبير . . ثم تم اختصار كل هذا فى كلمة واحدة هى العتبة التى أصبحت «صرة مصر المحروسة » . ثم باب الخلق الذى كان معروفًا باسم « باب الخرق » أى الخرق الذى يخترقه الهواء وسوف نروى حكايته فيما بعد . . ثم ميدان باب اللوق . . ترى ما هو هذا « اللوق » قبل أن يصير عليه باب نعرفه الآن .

ومن المؤكد أن معظم الذين يمرون الآن بباب اللوق لا يعرفون حكاية ولا سر تسميته . . وربما يتساءلون : لماذا يبقى هذا الاسم الغريب . . ؟!

بداية أعترف أننى وجدت كثيرًا من المعلومات عن هذا الباب وهذا اللوق فى الكتب المشهورة : خطط المقريزى . وخطط على باشا مبارك « التوفيقية » وفى صبح الأعشى . . وفى كتاب رشدى سعيد عن النيل . . وأيضًا فى كتاب أسماء ومسميات من مصر القاهرة لمؤلفه محمد كمال السيد محمد . .

وذكرنا كيف انحسر مجرى نهر النيل واتجه غربًا أكثر من مرة بداية من القرنين السادس والسابع الهجرى ، قبل أن يستقر عند مجراه الحالى المعروف عند المنطقة المحصورة من مصر العتيقة إلى روض الفرج إذ عندما انحسر النيل غربًا ظهرت الأرض التى نعرفها الآن باسم جاردن سيتى وقصر العينى والمنيرة وميدان التحرير . . وأيضًا باب اللوق . .



على باشا مبارك أول وزير أشغال فى تاريخ مصر . وهو الذى أشرف على تنفيذ أفكار الخديو اسماعيل فى تحديث القاهرة .



ميدان باب اللوق منذ مائة عام [١٨٩٦] وترى خطوط الترام والمسجد القديم الذى أزيل عند إعادة تخطط المدان .

وأرض اللوق هذه كانت تغمرها مياه النيل أيام الفيضان ثم تنحسر عنها فتتركها لينة لا تحتاج إلى « حرث » تمامًا مثل أراضى الصعيد « الحياض » التى كانت تغمرها مياه الفيضان شهور الصيف ثم عندما تنحسر عنها المياه تصبح أرضًا صالحة تمامًا للزراعة وهى ما كنا نسميها الزراعة الشتوية ، قبل إلغاء نظام رى الحياض وتحويلها إلى نظام للرى الدائم بعد السد العالى .

** هذه الأرض اللينة كانت « تُلَاق لوقًا » أى تبذر فيها البذور ، ويضغط عليها بألواح خشبية حتى تغوص البذور داخل الأرض ، التى لم تكن بحاجة إلى الرى حتى تمام نضج النبات بسبب المياه التى تشبعت بها التربة خلال شهور الغمر طوال الصيف .

وهناك رأى آخر يقول سببًا آخر لهذه التسمية « اللوق » فاللوق أو « اللّق » هى الأرض المرتفعة . ويظهر هذا من رسالة الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان إلى واليه بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفى عندما أمره ألا تترك « لقا » ولا خقًا إلا زرعته . والخق هو الغدير إذا جف ، أو ما انخفض من الأرض .

وأرض اللوق كانت تمتد من ميدان عابدين الحالى شرقًا إلى المجرى الحالى للنيل غربًا . ومن حى المنيرة جنوبًا إلى شارع فؤاد « ٢٦ يوليو الحالى » . كان هذا فى القرنين السادس والسابع الهجريين أى الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين .

** وفى عام ١٢٤١ أنشأ السلطان الأيوبى الصالح نجم الدين أيوب قنطرة عند باب الخرق « الخلق » ليعبر عليها من القلعة إلى الميدان الذى أنشأه فى « اللوق » وأنشأ به منظرة . وهى مكان جميل كان يجلس عليه الحاكم ليتمتع « بالمناظر الحلوة » .

وقد أنشأ الصالح أيوب ميدان باب اللوق ليلعب به ـ وفرسانه الجدد ـ المماليك البحرية الذين أسكنهم فى جزيرة الروضة ـ وهذا سبب تسميتهم بالبحرية على خلاف المماليك البرجية الذين سكنوا فى القلعة . . وكانت لعبتهم المفضلة هى لعبة « الأكرة » وهى عبارة عن رياضة وفروسية يمارسها الفارس وهو فوق ظهور الخيل وكان يحاول إسقاط الكرة بعد ضربها بالمضرب فى الأكر أى الحفر . وبجانب هذه اللعبة الأيوبية ـ

المملوكية بعد ذلك ـ كانت هناك ألعاب الفروسية والرماية وكان محل هذا الموقع الآن : فى ميدانى باب اللوق والأزهار . وكان لهذا الميدان سور وباب لدخول الفرسان واللاعبين والجمهور . . ومن هنا جاء اسم : باب اللوق !!

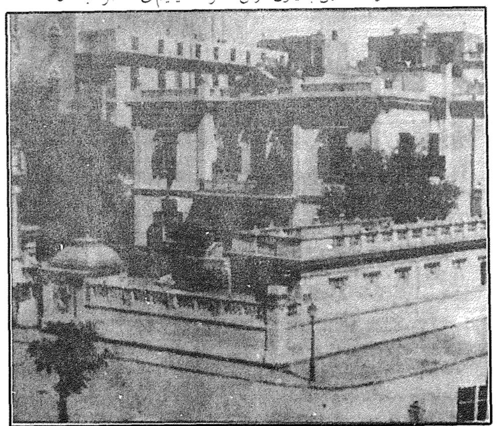
** وبعد انتهاء الدولة الأيوبية ونشوء دولة المماليك ، ألغى الظاهر بيبرس البندقدارى ميدان اللوق الذى أنشأه الصالح نجم الدين أيوب . . ولكنه أى بيبرس أنشأ ميدانًا آخر بالغرب منه ، موقعه الآن ميدان التحرير والجزء الشمالى من حى جاردن سيتى أى منطقة عمر مكرم وقصر الدوبارة والسفارتين الأمريكية والبريطانية . وظل هذا الميدان قائمًا لمزاولة أعمال الفروسية والرماية ، حتى جاء السلطان العادل كتبغا بعد ولاية الناصر محمد الأولى ، فخاف على نفسه من الخروج من القلعة لمشاهدة أعمال الفروسية فى باب اللوق ، ولأنه ككل المماليك كان عاشقًا للفروسية فقد أنشأ ميدانًا لهذه الفروسية قريبًا من القلعة وفى حماها . . جنوبى بركة الفيل .

** ولم تذهب بذلك ذكرى باب اللوق . إذ عندما عاد الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطة للمرة الثالثة ، ألغى الميدان الذى أنشأه بيبرس وأنشأ مكانه « بستانًا » تزرع فيه الفواكه والزهور التى جلب بذورها وعقلها من الشام . وكان هذا البستان يمتد غربًا ليصل إلى شاطىء النيل . ولما زادت مكانة الأمير قوصون ـ صاحب الجامع الشهير فى شارع القلعة ـ أهداه السلطان الناصر هذا البستان الذى أضاف إليه زريبة تطل على النيل لتربية الخيول ـ رمز الفروسية عند المماليك .

** واستمرت هذه المنطقة مشهورة ببستانها ـ طوال حكم الناصر محمد وباقى سلاطين المماليك البحرية . . ثم أخذت تتدهور ويلحق بها الخراب حتى أصبحت بركًا ومستنقعات . . وإن بقيت فيها بعض المزارع . واستمر التدهور فيها إلى القرن الماضى عندما نقلت مدابغ القاهرة إليها من موقعها الأول فى جهة حوش الشرقاوى وسوق العصر جنوب ميدان باب الخلق أيام محمد على باشا الكبير . وسبب نقلها من باب الخلق تضرر الناس من روائح القاذورات المتخلفة عن عملية الدباغة بعد الذبح فتم نقل المدابغ إلى « اللوق » .



الملك أحمد فؤاد . . قبل أن يتولى عرش مصر كان يقيم فى « قصر البستان »



قصر البستان . . عقدت فيه أول اجتماعات جامعة الدول العربية . وكان من قبل مقراً لوزارة الخارجية المصرية قبل أن يهدم و يتحول إلى جراج متعدد الطوابق .

** ولكن عندما أنشأ الخديو إسماعيل نظارة الأشغال العمومية عام ١٨٦٤م لتصبح أداة لتنسيق سياسته الحضرية واختار على باشا مبارك لهذه المهمة الحضارية ، تقرر نقل المدابغ من اللوق فى العام التالى إلى جوار الفسطاط ، أى قرب موقعها الحالى . وربما لو دقق المارة فى شارع شريف الآن النظر فى اللافتة التى تحمل هذا الاسم العزيز على كل المصريين ، سوف يجد عبارة : شارع المدابغ سابقًا . وشارع شريف هذا يبدأ من باب اللوق من عند الجهة الشرقية لمبنى وزارة الاوقاف ثم يصل إلى تقاطعه مع شارع فؤاد الأول ـ ٢٦ يوليو حاليًا .

** وتم تخطيط المنطقة كلها إلى شوارع مستقيمة ومتقاطعة هى المنطقة العصرية الحالية باب اللوق والشوارع الخارجة والداخلة . وظل اسم باب اللوق . . حتى بعد أن ذهب الباب . ومن أشهر الشوارع المتفرعة من : شارع « البستان » الذى أنشأه السلطان الناصر محمد المملوكى . وهو الشارع الذى يحمل الآن اسم : محمد عبد السلام عارف أحد قادة الثورة العراقية . وكان يجب أن يستمر اسم البستان لما له من تاريخ . .

وفى شارع البستان هذا كان يقع قصر البستان الذى سكن فيه الأمير فؤاد قبل أن يصبح سلطانًا على مصر ثم ملكًا عليها . وهو القصر الذى أصبح مقرًا لجامعة الدول العربية قبل أن تنتقل إلى مبناها الحالى المواجه للمقر التاريخى لوزارة الخارجية . ثم للأسف هدم هذا القصر « البستان » بعد أن أصبح مقرًا للجمعيات العلمية . . وتحول هذا القصر الآن إلى جراج متعدد الأدوار على ناصية الشارع . أى ذهب القصر بعد أن ذهب البستان . . ولكن « العامة » رغم اللافتات المثبتة على نواصيه مازالوا يطلقون عليه اسم : شارع البستان وقلة هم الذين يعرفون الشارع باسم عبد السلام عارف . .

** ومن ميدان باب اللوق الذى حمل فترة اسم ميدان الفلكى تتفرع شوارع لها تاريخ منها : الفلكى . نوبار . شريف . مظلوم . يوسف الجندى . . فماذا تعرف عنها؟!

الفلكى صاحب الميدان والشارع وأشهر عالم فلك !!

من ميدان باب اللوق تتفرع عدة شوارع ، كل منها صفحة من تاريخ القاهرة . . ومن تاريخ رجالها العظام . فالشوارع هى تاريخ الأمة . . ومن أشهر هذه الشوارع شارع الفلكى . . فمن هو . وماذا كانت عظمته حتى أطلقوا اسمه على واحد من أطول الشوارع الخارجة من ميدان باب اللوق ؟!

** هو محمود الفلكى ـ أو محمود باشا حمدى الفلكى . الذى ولد عام ١٨١٥ ـ فى عهد النهضة العظمى التى بدأها محمد على باشا ـ بقرية الحصة بمديرية الغربية . اهتم أخوه بتربيته فأدخله المدرسة التى أنشأها محمد على فى الاسكندرية وعمره أقل من ١٠ سنوات أى فى عام ١٨٢٤ ونجح الصبى محمود حتى ترقى إلى رتبة « بلوك أمين » ثم انتقل إلى مدرسة المهندسخانة بالقاهرة فسبق أقرانه وتخرج منها .

ولأنه كان من أوائل الناجحين عينوه أستاذًا مساعدًا للعلوم الرياضية ونال رتبة الملازم ، وكان من تلاميذه على مبارك . وتعلم الفرنسية فترجم بعض الكتب الفرنسية فى الرياضيات . وتعمق فى دراسة علوم الفلك على كبار علماء فرنسا ، ثم قام بتدريسها لتلاميذ المهندسخانة ومنهم إسماعيل باشا الفلكى .

** ابتكر محمود الفلكى علم التقاويم السنوية فوضع تقويمًا عام ١٢٦٤ هجرية قارن فيه بين التواريخ الهجرية والميلادية والقبطية أو بين مواقع الشمس والقمر لتلك السنة . ومنذ ذلك الوقت عرف بين الناس باسم الفلكى الذى ارتبط به طول حياته . . وبعد مماته .

وفى ١٨٥٠م قرر عباس الأول تنظيم دار الرصد « رصد خانة » التى أنشأها محمد على باشا فأرسل ثلاثة من المهندسين النابغين إلى باريس للتخصص فى الفلك هم : محمود الفلكى . وتلميذيه إسماعيل الفلكى وحسين أفندى إبراهيم اللذين أتما دراستهما فى المهندسخانة . وعاش محمود الفلكى تسع سنوات يدرس الفلك والرياضيات فى دار الرصد فى باريس . ثم فى أوربا . ونبغ حتى نشر أبحاثه فى المجلات الأوربية ومنها رسالة التقاويم العربية قبل الإسلام حقق فيها مولد الرسول

ﷺ، وأخرى عن المواد المغناطيسية الأرضية نشرها ١٨٥٦م . وعاد إلى مصر عام ١٨٥٩م فى عهد سعيد باشا فأنعم عليه برتبة أميرالاى وعهد إليه وضع خريطة مفصلة لمصر . فوضع خريطة جامعة للوجه البحرى لم يسبقه إليها أحد . وأخرى للصعيد . ثم الاسكندرية .

** وقد أعد رسالة عن عمر الأهرام والغرض من إنشائها وموقعها من كوكب الشعرى اليمانية .

وفى عام ١٨٧١م عين محمود الفلكى ناظراً لمدرسة المهندسخانة ثم ناظراً للرصدخانة وحضر المؤتمرات الفلكية فى باريس والبندقية . وعلى سطح بيته فى «ميدان الفلكى» أنشأ مزولة تبين ساعات النهار . ولكنها للأسف رفعت بعد وفاته .

** ثم بدأ مشوار المناصب العليا فتولى نظارة الأشغال العمومية عام ١٨٨٢ فى نظارة حكومة إسماعيل باشا راغب واستمر فيها حتى ٩ أغسطس وهى الوزارة التى بقى فيها أحمد عرابى باشا ناظرًا للجهادية والبحرية . ثم أعيد اختياره وزيرًا « ناظرًا » فى حكومة نوبار باشا يوم ١٠ يناير ١٨٨٤م عندما اختير ناظرًا للمعارف العمومية وظل وزيرًا للمعارف حتى وفاته يوم ١٩ يوليو عام ١٨٨٥ .

تلك هى مسيرة محمود باشا الفلكى الذى اختاره الخديو إسماعيل كأول مصرى وكيلاً لرئيس الجمعية الجغرافية الخديوية التى أنشئت عام ١٨٧٥ . وكان الغرض منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها . وهى الجمعية التى اختار لها إسماعيل باشا العالم الألمانى جورج شونفرت كأول رئيس لها . . وكان الفلكى أول وكيل لها ، كما كان الجنرال استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى الوكيل الثانى . .

** هذا هو محمود باشا حمدى الفلكى أنبغ من أنجبتهم مصر الحديثة فى علمى الفلك والرياضيات ، ابن الغربية الذى أطلقوا اسمه على ميدان باب اللوق . . ثم عادوا فاكتفوا باسمه على أطول شارع يخرج من هذا الميدان اللوق . ويمتد الشارع حتى يصل إلى قرب مدرسة « كلية » دار العلوم القديمة فى المنيرة . . (أليس هذا شارعًا واسماً يفخر به كل مصرى ؟!



محمد شريف باشا بطل الدستور المصرى ، وهو شركسى الأصل مصرى الهوى والهوية وصاحب الشارع الشهير فى وسط القاهرة وفى وسط الاسكندرية ، وهو جد الملك فاروق لأمه .

شريف .. أبو الدستور وجد الملكة نازلى !

هل هى صدفة أن يتصل شارع شريف ـ وهو أبو الدستور فى مصر ـ بشارع فؤاد الأول الذى صدر فى عهده دستور ١٩٢٣ . . أم هى صلة النسب لأن شريف باشا هذا هو جد الملكة نازلى الزوجة الثانية للملك فؤاد وأم ابنه فاروق الذى تولى ملك مصر بعد وفاته .

على كل حال فإن شارع شريف يبدأ من خروجه من باب اللوق ويتقاطع مع شوارع صبرى أبو علم ثم رشدى « الساحة » ثم قصر النيل ثم ثروت وأخيرًا عدلى قبل أن يصل إلى نهايته عند شارع فؤاد ـ ٢٦ يوليو ـ وكان اسم شارع شريف قبل ذلك هو شارع المدابغ قبل نقلها إلى باب اللوق . . ثم إلى شمال الفسطاط . وهذا سر الإبقاء على شارع المدابغ فى هذا الموقع قبل أن يطلق عليه اسم أبو الدستور المصرى : محمد شريف باشا . .

** هو ابن محمد شريف أفندى الجركسى الأصل الذى كان قاضيًا لقضاة مصر وقد ولد بالقاهرة فى نوفمبر ١٨٢٦ , وتلقى تعليمه الأوَّلى فى مصر ، ثم سافر للالتحاق بالمدرسة العسكرية فى فرنسا ، والتحق بعد تخرجه فى خدمة الجيش الفرنسى وعندما عاد إلى مصر عمل ياورًا لرئيس أركان حرب الجيش المصرى الكولونيل سيف الضابط الفرنسى الذى كان من ضباط نابليون ثم عمل مع محمد على باشا وأسند إليه إنشاء جيش مصر على أسس حديثة ، ثم أسلم وأصبح اسمه : سليمان باشا . . الفرنساوى. وظل محمد شريف يترقى فى سلك الجندية حتى وصل إلى رتبة « الفريق » فى عهد الوالى سعيد باشا .

** وقبل أن ندخل فى تفاصيل حياة وتاريخ شريف باشا نقول إن سليمان الفرنساوى بهرته شخصية شريف الضابط الشاب فزوجه من ابنته ورزق منها شريف بابنة تزوجت عبد الرحيم باشا صبرى الذى رزق بدوره منها ببنت هى نازلى التى تزوجها فؤاد الذى أصبح سلطانًا ثم ملكا لمصر . . أى أن سليمان الفرنساوى هو الجد الأكبر للملكة نازلى . . وشريف باشا الجد الثانى ، وبالتالى هو جد الملك فاروق لأمه

نازلى : لفّة طويلة عريضة تصور ترابط وعلاقات المصاهرة بين العائلات الكبيرة فى مصر خلال القرن الماضى . .

بدأ مشوار حياة محمد شريف مع الحياة المدنية والإدارية عندما تولى فى عام ١٨٥٤م فى عهد سعيد باشا منصب « باشمعاون الوالى » وهى وظيفة أقرب إلى اختصاص رئيس الوزراء الحالى . . بعد أن ألغى سعيد باشا وظيفة الكتخدا أو الكخيا أى المسئول الثانى بعد الوالى . .

وفى عهد إسماعيل باشا أسند إليه فى عام ١٨٦٧م وكالة المجلس المخصوص وكان مجلسًا يضم خمسة عشر عضوًا من الأعيان وكبار الموظفين ويرأسه الخديو نفسه . وفى عام ١٨٧٥ تولى رئاسة مجلس شورى النواب ووقع عن الحكومة المصرية معاهدة إلغاء تجارة الرقيق عام ١٨٧٧م .

** وارتفع نجم شريف باشا عندما كلفه الخديو اسماعيل بتشكيل النظارة أى الوزارة فى إبريل ١٨٧٩ ولكن هذه الوزارة انتهت بخلع إسماعيل وتولية ابنه توفيق . ولكنه عاد إلى رئاسة الوزارة فى يوليو ١٨٧٩ وشغل بجانب الرئاسة وزارتى الداخلية والخارجية وهى الوزارة الدستورية الأولى فى تاريخ مصر ، لأنه بدأ فى وزارته هذه وضع أسس الحياة النيابة فى مصر وأنشأ مجلسًا نيابيا حقيقيا يشرف على الأمور المصرية . . وعندما وجد شريف رفضًا لذلك من الخديو توفيق استقال بعد شهر ونصف فقط . أى يوم ١٨ أغسطس ١٨٧٩ .

** واقترب شريف باشا أكثر من الجبهة الوطنية . وأصبح صديقًا للعرابيين الذين قادوا الثورة من أجل حياة كريمة لمصر والمصريين ، ورفضوا استمرار تغلغل النفوذ التركى ـ الشركسى فى أمور البلاد . ولذلك عندما نجح العرابيون فى إسقاط نظارة «وزارة» رياض باشا استدعى الخديو توفيق محمد شريف ـ بناءً على طلب العرابيين ـ لتشكيل الحكومة وهكذا نجحت الزعامة الشعبية الوطنية ـ لأول مرة ـ فى فرض مرشحها الوطنى العتيد صاحب المواقف الشريفة ضد التدخل الأوربى فى أمور مصر . . وشكل شريف وزارته الثالثة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨١ ليبدأ طريقًا متصلاً من أجل ترسيخ الحياة النيابية .

** وضع شريف باشا يده فى يد العرابيين ليقودوا مصر فى طريق الاستقلال والدستورية وتقليص دور القصر ، وعندما استدعاه الخديو توفيق ليشكل الحكومة بضغط من العرابيين كان من بين أهدافه « منع استمرار تدخل العسكريين فى شئون السياسة » عندما فكر شريف فى إخراج قادة الثورة العرابية : أحمد عرابى . على فهمى . عبد العال حلمى بقواتهم من القاهرة . بل واستجاب أحمد عرابى نفسه فخرج بقواته من العاصمة إلى منطقة رأس الوادى بين الإسماعيلية والسويس . . ووصل به الأمر أن بدأ يرفض بعض المطالب للعسكريين . وحاول شريف أن يجد صيغة التعاون والتوازن بين كل الأطراف ، فعين عرابى وكيلاً « لوزارة » الجهادية « الحربية » ولكن يبقى لشريف باشا فى هذه الفترة أن تم انتخاب أول مجلس لشورى النواب ـ على أساس دستور ١٨٦٦ ـ فى ديسمبر ١٨٨١ .

** وعندما رفض هذا المجلس حرمانه من حق مناقشة الميزانية حدث الشقاق بين شريف والعرابيين ، فقدم استقالته لتستولى الثورة العرابية على السلطة . . وبذلك شكل محمود سامى البارودى وزارته الأولى فى أعقاب استقالة شريف فى ٤ فبراير ١٨٨٢ . وكان البارودى وزيرًا للجهادية فى وزارة شريف الثالثة هذه . .

** وتصاعدت أحداث الثورة العرابية . . وتسارعت . وسارت الأمور نحو الانهيار . . وكان لابد من الإنقاذ . فتم استدعاء شريف باشا ـ فى محاولة للإنقاذ ـ لتشكيل الحكومة ، فشكلها فى ٢١ اغسطس ١٨٨٢ ولكن لم تنجح المحاولة واحتلت بريطانيا مصر . ولكن سرعان ما دب الخلاف بين شريف والسلطة الجديدة عندما حاولت بريطانيا إخراج مصر من السودان بحجة عجزها عن سداد أعباء استمرار قوات مصر هناك خلال الثورة المهدية .

ورفض رئيس النظار ـ الوزراء ـ شريف باشا مطلب الانجليز بإخلاء السودان . لأنه كان يرى فى هذا تهديدًا للحدود المصرية الجنوبية وردًا على المطلب الانجليزى اقترح شريف إرسال قوات مصرية جديدة إلى السودان « للسيطرة على نهر النيل . . لحماية الأراضى المصرية . . » إلا أن انجلترا رفضت وأصرت على إخلاء السودان من القوات المصرية .

واستقال شريف باشا يوم ٧ يناير ١٨٨٤ حتى لا ينفذ مطالب الانجليز بسحب الجيش المصرى من السودان وقال قولته المشهورة : « لو تركنا السودان . . فإن السودان لن يتركنا . . » ويذكرنا موقف هذا السياسى الوطنى بموقف مماثل للزعيم سعد زغلول عندما رفض سحب الجيش المصرى من السودان ـ عقب مصرع السيرلى ستاك عام ١٩٢٤ ، واستقال أيضًا حتى لا يوقع قرار سحب جيش مصر من هناك . . تمامًا كما يذكرنا بموقف مماثل للزعيم « مصطفى النحاس باشا » عندما قال قولته المشهورة . . «تقطع يدى ولا أوقع وثيقة تفصل السودان عن مصر . . » لتتحطم المباحثات النحاسية ـ الانجليزية .

وللأسف جاءت حكومة نوبار باشا لتنفذ للانجليز مطالبهم ويسحب جيش مصر من السودان !

** ومسيرة شريف باشا مع الدستور طويلة ومجيدة . بدأها مع تشكيل حكومته الأولى ـ إبريل ١٨٧٩ ـ ثم واصلها مع حكومته الثانية ـ يوليو ١٨٧٩ ـ فعكف على إعداد اللائحة الأساسية للحياة النيابية . ولائحة الانتخاب .

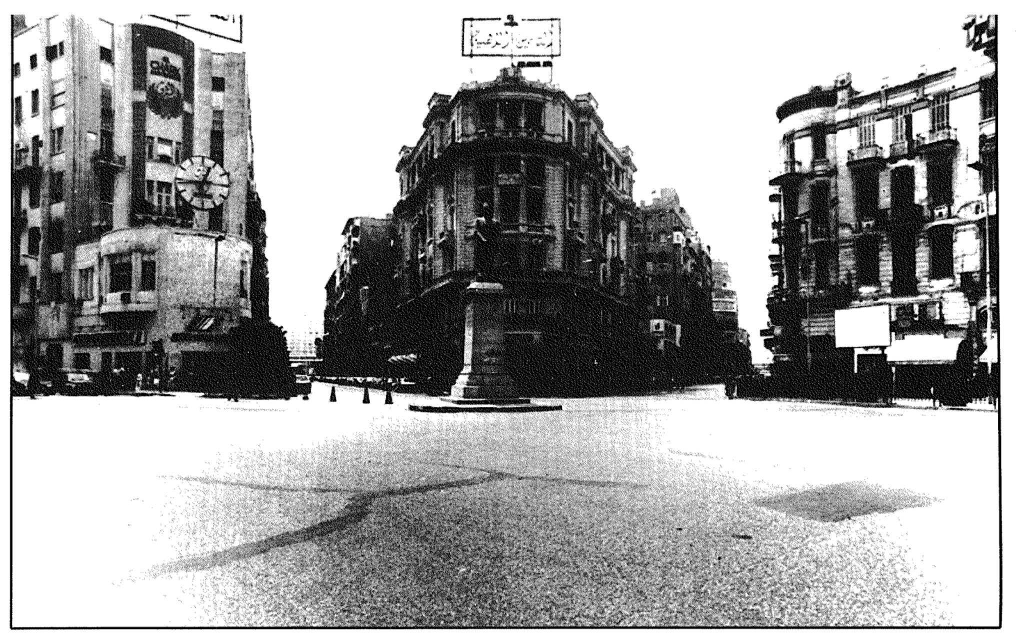
ولكن الخديو توفيق ـ لم يكن راغبًا فى المضى فى إنشاء حياة نيابة دستورية كاملة بل وأيدت بريطانيا وفرنسا توفيق فى هذا الرفض . ورغم هذا . نجح شريف فى تحويل مجلس شورى النواب الذى كان قائمًا بالفعل إلى جمعية تأسيسية لإقرار هاتين اللائحتين . ثم رفع شريف طلبًا للخديو توفيق طالبًا تصديقه على اللائحتين إلا أن الخديو توفيق رفض ذلك يوم ١٨ أغسطس ١٨٧٩ فقدم شريف استقالته على الفور بعد شهر ونصف من تشكيلها . . فقد كان شريف يأمل فى تكوين مجلس نيابى حقيقى يتولى الإشراف على كافة أمور الأمة المصرية . .

** المهم أن شريف باشا بعد أن رفض الخديو توفيق اصلاحاته الدستورية سافر إلى فرنسا . . وهو نفس المسلك الذى اتخذه حتى يبعد عن الأمور التى رآها تتدهور .

وفى عام ١٨٨٤م توفى شريف باشا عن عمر ٧٢ عامًا . بعد أن عانى كثيرًا من رفض أفكاره الإصلاحية . . ومن هنا لم تحاول حكومات ما بعد يوليو ١٩٥٢ تغيير اسم

الجنرال سليمان باشا الفرنساوى أو كولونيل سيف الضابط الفرنسى الذى أنشأ أول كلية حربية فى مصر وكان الساعد الأيمن للقائد إبراهيم باشا ، وهو الجد الأكبر للملك فاروق .





ميدان طلعت حرب [ميدان سليمان باشا سابقا]

شارع شريف وسط هوجة تغيير الأسماء ، اعترافًا بفضل شريف باشا الذى كان فعلاً مصلحًا دستوريا . . بل كان بحق أبو الدستور المصرى ، كما كان مدحت باشا فى تركيا قبيل ثورة أتاتورك .

** تلك هى حكاية شارع شريف باشا . . فهل يعرفها كل من يمشى الآن فى هذا الشارع وهو يتجول ليشترى بنطلونا أو قميصًا من أحد محال هذا الشارع العتيد ؟!

الكولونيل سيف .. أو سليمان باشا الفرنساوى !

جاء إلى مصر ضابطًا فرنسيا مغمورا ولكنه عاد إلى فرنسا ـ زائرًا ـ بعد ٤٠ عامًا وهو أمير يحمل رتبة اللواء . . بعد أن أنشأ جيش مصر الحديث أيام محمد على ، وخاض كل حروب مصر بجوار القائد ابراهيم فى المورة والشام والأناضول . قال عنه محمد على : لقد خرج سليمان من صلبى وكأنه أحد أبنائى فكان يرد قائلا : أحببت فى حياتى ثلاثة رجال هم أبى ونابوليون . . ومحمد على . . إنه سليمان باشا الفرنساوى الذى أصبح شارعه أشهر شوارع وسط القاهرة : شارع سليمان باشا . . وكان تمثاله يتوسط الميدان الذى حمل نفس الاسم : سليمان باشا . .

** هو الكولونيل أوكتاف جوزيف انتلم سيف الذى ولد فى مدينة ليون الفرنسية عام ١٧٨٧ م . ولأنه كان مغرما بالعسكرية التحق وعمره ١٧ عامًا بالبحرية الفرنسية ليصبح ضابطًا بالمدفعية البحرية بعد خمس سنوات . وخدم فى الأسطول الفرنسى واشترك فى معركة الطرف الأغر وعمل بجيش نابليون حتى انسحب من موسكو واشترك فى معارك المائة يوم دفاعًا عن امبراطوره .

وبعد معركة ووترلو طرده لويس الثامن عشر من الجيش بعد هزيمة نابليون فاستأجر مزرعة فى الريف الفرنسى ولكنه سرعان ما شده الحنين إلى العسكرية .

حاول أن يلتحق بالجيش الفارسى وبينما هو فى الطريق إلى فارس مر بمصر عام ١٨١٩ فالتقى بواليها محمد على باشا الذى أعجب به وأسند إليه تكوين جيش مصرى على الأسس الأوربية الحديثة . ولأنه أوربى مسيحى رفضه الجنود ولكن شجاعته غفرت له . .

** سلمه محمد على ١٠٠٠ من مماليكه ومماليك رجاله ، وأرسله إلى أسوان عام ١٨٢٠ لتكوين نواة الجيش المصرى الحديث . فأنشأ الكولونيل سيف هناك أول مدرسة للضباط ودام تدريبه لهم ثلاث سنوات حتى أصبحوا أول دفعة من الضباط كانوا نواة جيش مصر العظيم الحديث ، بعد أن كان الجيش يعتمد على المماليك والجنود الأرناؤوط وبقايا الانكشارية .

واعتمد « سيف » على الأسلوب الفرنسى ـ الأوربى فى إعداد هذا الجيش . وقد اختار محمد على أسوان لتكون مقرًا لأول مدرسة حربية فى مصر ، حتى تكون بعيدة عن دسائس القاهرة . وبعيدًا عن سلوكياتها .

** أسلم الكولونيل أوكتاف أنتلم سيف واختار له محمد على اسمًا عربيًا هو «سليمان » ومنحه لقب « بك » وزوجه من إحدى بنات أسرته واسمها « مريم » ومنها أنجب ولدًا واحدًا هو اسكندر ومن المؤكد أن الأب « العسكرى » الذى كان مبهورًا بعسكرية الاسكندر الأكبر والأم ذات الجذور اليونانية « قولة الآن فى اليونان وهى مهبط أسرة محمد على ، ولهذا أطلق على وحيده اسم «اسكندر » كما أنجبا ثلاث بنات : نازلى وأسماء وزهرة . وتزوج من الأولى محمد شريف الذى أصبح بعد ذلك رئيسًا لوزراء مصر.

ومن نازلى هذه أنجب شريف ابنته توفيقه هانم التى تزوجها عبد الرحيم باشا صبرى الذى كان محافظًا للقاهرة ويحمل أحد شوارع الدقى اسمه وفيه قصره الكبير الذى تحول مع حديقته إلى « أكاديمية ناصر العسكرية العليا » وقد أنجب عبد الرحيم من توفيقة ولدين أولهما شريف باشا صبرى الذى أصبح وصيًا على عرش فاروق عام ١٩٣٦ ، وحسين صبرى الذى أصبح محافظًا للاسكندرية . . ثم نازلى « الثانية » التى تزوجها السلطان فؤاد قبل أن يتغير لقبه ـ بعد الاستقلال ـ ليصبح ملكا لمصر ـ ومن نازلى هذه أنجب الملك فؤاد ابنه الوحيد فاروق يوم ١١ فبراير ١٩٢٠ الذى أصبح ملكا لمصر . .

** ونعود للكولونيل سيف الذى أصبح اسمه « سليمان . . الفرنساوى » فنعرف أنه اشترك فى حرب المورة « اليونان » بجانب القائد إبراهيم باشا عام ١٨٢٤م لمساعدة

سلطان تركيا محمود . وفى عام ١٨٣٤ منحه محمد على لقب باشا تقديرًا لخدماته . .

** وعندما أخلف سلطان تركيا وعده لمحمد على انطلق جيش مصر إلى الشام بقيادة إبراهيم باشا وأركان حربه سليمان الفرنساوى ليحققا لمصر أعظم انتصارات عسكرية ضد السلطان العثمانى ليأخذ محمد على بسيفه ما رفض أن يمنحه السلطان فأنزل جيش مصر هزائم متتالية بجيش الامبراطورية العثمانية فى نصيبين وكوتاهية وغيرها . .

وأنزل جيش مصر بقيادة إبراهيم باشا ومساعده أركان حربه سليمان باشا الفرنساوى ضربات موجعة بجيش السلطان العثمانى حتى تم تدميره تمامًا وأصبح جيش مصر هذا على بعد ٥٠ فرسخًا من عاصمة الامبراطورية العثمانية استانبول أو الاستانة . .

وبعد المؤامرة الأوربية التى اتحدت كلها ضد مصر وجيش مصر ، وانتهت إلى تحطيم آمال محمد على فى تكوين امبراطورية عربية إسلامية تنعش الجسد الإسلامى . . بعد هذا دعت فرنسا القائد العظيم ابراهيم باشا لزيارتها ، فاصطحب معه سليمان باشا « الفرنساوى » وشهدت « ساحة مارس » فى باريس أكبر عرض عسكرى فرنسى منذ عهد نابليون الأول حضره أمراء وأميرات فرنسا وستون جنرالاً . وكان هذا احتفاءً غير مباشر بابنها الضال « على رأى الدكتور ثروت عكاشة فى كتابيه الرائعين ـ مصر فى عيون الغرباء ـ وذلك بعد ٤٠ عامًا . فقد تلقفته مصر وهو برتبة متواضعة وأعادته وهو أمير برتبة اللواء . . »

** ولقد عينه محمد على باشا « رئيسًا عامًا لرجال الجهادية » أى الجيش المصرى وهذا المنصب يعادل الآن منصب وزير الدفاع ولكفاءته احتفظ بهذا المنصب طوال عهود وحكم أربعة ولاة هم : محمد على وابراهيم وعباس وسعيد . .

** وتوفى سليمان الفرنساوى يوم ١١ مارس ١٨٦٠م ودفن فى مصر القديمة فى المنطقة التى يعرفها العامة والخاصة الآن باسم « الفرنساوى » نسبة لهذا القائد العظيم ، الذى رتب الخديو إسماعيل ١٨٧٥ معاشًا شهريًا لأرملته اعترافًا بفضله .

وفى هذا الموقع الآن فى مصر القديمة . بعد مدرسة الفسطاط الثانوية وغير بعيد عن

شارع عمرو بن العاص يرقد جثمان سليمان الفرنساوى تحت قبة خشبية عليها سور من حديد . . ثم مسجد متهدم يحمل اسمه ثم شارع يحمل نفس الاسم وان كان شارعًا صغيرًا . .

** وفى الوقت الذى حفظ فيه الشعب اسم سليمان باشا على شارعه وميدانه الصغير ومقبرته وحيه فى مصر القديمة ، نجد العسكر يرفعون تمثاله ليضعوا مكانه تمثالاً للاقتصادى المصرى الكبير « طلعت حرب » . ويطلقون على الشارع والميدان اسمه ، وكان الأجدر الإبقاء على اسم وتمثال سليمان باشا فى موقعه ، على أن يطلق اسم طلعت حرب ويوضع تمثاله فى الشارع الذى ارتبط باسمه عندما أنشأ بنك مصر !

** ولنا اقتراحان نقدمهما لوزير الدفاع المصرى والقائد العام للقوات المسلحة . أولهما ترميم قبة وقبر هذا القائد العظيم : سليمان الفرنساوى الذى شرب من ماء النيل وخاض معارك مصر العسكرية التى وضعت جيش مصر فى مصاف الجيوش الكبرى طوال عصر محمد على باشا وما بعدها . .

والثانى إعادة تنصيب التمثال الذى رفعوه من قاعدته فى ميدان سليمان باشا وسط القاهرة . . وإعادة تنصيبه فى أكبر شارع عسكرى فى مصر هو شارع الخليفة المأمون حيث معظم المبانى العسكرية المصرية والمستشفيات العسكرية وحيث مقر وزارة الدفاع المصرية . وأن ترفع « الخيش » الذى يغطى التمثال المهمل الآن داخل احد مبانى هذا الشارع الكبير . . إحياءً للعسكرية المصرية واعترافًا بفضل الرجل الذى يضم تراب مصر جسده حتى الآن . .

نقول هذا ونحن نضيف أن المعهد الثقافى الفرنسى يحتفظ بتمثال نصفى لسليمان داخل حديقته فى شارع على يوسف فى المنيرة ونضيف أن فرنسا وضعت تمثال بطلها العظيم فى الحرب العالمية الأولى المارشال جوفر أمام الأكاديمية العسكرية فى باريس .

نوبار باشا الأرمنى .. أول رئيس وزراء .. خائن أم مصلح ..؟!

اختلفت حوله الآراء . منهم من قال إنه أحد الذين باعوا مصر للأجانب ، بل كان ينفذ سياستهم لحلب البقرة الحلوب حتى انتهت مصر إلى الوقوع فى خية الديون ،

وبالتالى الاحتلال البريطانى . ومنهم من وصفه بأنه أول من نادى بأن « مصر للمصريين » ، وأنه كان مصلحًا دستوريًا ، وأنه كان وراء إلغاء السخرة ، وكان وراء تنظيم المحاكم فى مصر حتى أخضع الأجانب المقيمين فيها للقضاء ، حتى ولو كان . . القضاء المختلط !!

عاش وعمل مع سبعة حكام فى مصر أولهم محمد على باشا الكبير ثم إبراهيم باشا والوالى عباس الأول ثم الوالى محمد سعيد باشا والخديو إسماعيل ثم الخديو توفيق وأخيرا عباس حلمى الثانى ، آخر خديو لمصر قبل أن تصبح سلطنة ثم مملكة !! أى هو رجل عاش تاريخ مصر الحديثة منذ النهضة الكبرى على يد محمد على . . إلى الكبوة الكبرى . من عصر البناء إلى عصر الاحتلال والمعاناة .

** اسمه نوبار نوبريان . . أرمنى الأصل تركى مسيحى ، ولد فى إحدى القرى الأرمينية فى أرمينيا السوفيتية سابقًا يوم ٤ يناير ١٨٢٥م . هاجر إلى أزمير مع أسرته . والتحق والده فى خدمة محمد على باشا والى مصر الذى عينه معتمدًا سياسيًا له فى الأناضول أى سفيرًا . ثم سفيرًا له فى باريس . كما تم تعيين شقيق نوبار سكرتيرًا خاصًا ومترجمًا لمحمد على .

تعلم فى مدرسة بروتستانتية فى جنيف . ثم فى فرنسا وأتقن اللغات الفرنسية والانجليزية واليونانية ثم التركية . ولكنه لم يكن يتقن العربية الفصحى وإن تحدث بالعامية ، بعد ذلك . .

** استدعاه من باريس خاله بوغوص بك يوسفيان الذى كان أحد قادة الجنود الأرناؤوط ، ثم تولى مسئولية العلاقات الخارجية للوالى محمد على ووصل نوبار إلى مصر عام ١٨٤٢م وكان عمره وقتها ١٧ عامًا . وتدرج فى العمل مترجمًا فى ديوان محمد على ثم أصبح سكرتيرًا خاصًا لولى العهد ابراهيم باشا فمديرًا للسكة الحديد والجمارك . . ثم وزيرًا للاشغال والخارجية حتى أصبح رئيسًا لنظار مصر . . رئاسة الوزراء » .

كشفت مذكراته أسرار مصر السياسية فى أخطر فترة من عمر مصر . وهى المذكرات التى قدم لها وعرضها الصديق الصحفى الكبير نبيل زكى . وقد انتهى نوبار من كتابتها



نوبار باشا أول رئيس وزراء لمصر وهو أرمنى الأصل وأخلص لها . .
أبقت ثورة يوليو ١٩٥٢ اسمه على شارعه بالقاهرة تخليدا لدوره .

تمثال نوبار باشا . . يوجد حاليا بحديقة كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية
بعد نقله من الحديقة العامة بالاسكندرية .

عام ١٨٩٤ أى قبل وفاته بخمس سنوات ، ولكنها لم تخرج للنور إلا بعد حوالى ١٠٠ عام وقدمتها أخبار اليوم فى كتاب عام ١٩٩١ . ويقول عنه نبيل زكى : إنه كان أكفأ موظف مصرى طوال عهود هؤلاء الحكام السبعة وإنه خاض معركة الامتيازات الأجنبية التعسفية التى فرضت على مصر بسبب تخبط سياستها المالية ، كما كان من رجال الإصلاح القضائى بهدف وضع الجميع سواسية أمام القضاء ، بعد أن كانت الدول الأجنبية تفرض حمايتها على رعاياها ولا يحاكمون أمام القضاء المصرى . . أى أنه صاحب فكرة المحكمة المختلطة التى نجح مصطفى النحاس فى إلغائها من خلال إلغاء الامتيازات الأجنبية طبقًا لاتفاقية مونترو التى وقعت عام ١٩٣٧ وانتهت هذه المحاكم المختلطة فعليًا فى مصر عام ١٩٤٩ وهى التى تأسست عام ١٨٦٧ .

** وإذا كان نوبار قد عاش مقدمات نهب ثروة مصر وخرابها ثم احتلالها إلا أنه كان أحد الأقطاب الذين حاولوا نقل الحضارة الأوربية لمصر ، ولكنه انتهى إلى أن أصبح ضحية للأوربيين ، حتى إن الخديو إسماعيل نفاه إلى فرنسا !! رغم أنه كان وراء إلغاء السخرة من مصر . وخاض معركة شرسة لتحقيق ذلك حتى تم إلغاء السخرة نهائيًا عام ١٨٩٠ . وكان يرى أن محمد على باشا هو مصر ذاتها وهو النيل وعندما مات وصفه قائلاً : بموت محمد على اختفت العبقرية التى كانت توجه مصر . . » .

** بدأ نجم نوبار فى الصعود إلى المناصب العليا فى عهد الخديو إسماعيل عندما استدعاه الخديو ليكون أول رئيس وزراء فى تاريخ مصر الحديثة عام ١٨٧٨ . وتم هذا فى غرة رمضان ١٢٩٥ هجرية الموافق ٢٨ اغسطس ١٨٧٨م . وكانت أول نظارة فى مصر « وزارة » تضم سبع نظارات فقط لا غير وصدر الأمر العالى من إسماعيل إلى نوبار باللغة الفرنسية !! وضمت الوزارة الأولى وزارت الخارجية والحقانية، « العدل » الداخلية والجهادية « الحربية » والأوقاف والمعارف والأشغال ، وتولى نوبار وحده بجانب الرئاسة وزارتى الخارجية والحقانية وتولى على باشا مبارك ثلاث وزارات هى المعارف والأشغال والأوقاف . أى أن أول وزارة فى مصر كانت تضم أربع شخصيات فقط بما فيهم . . رئيس الوزراء !!

وفى الوزارة الأولى ترك المالية شاغرة . وأسند الأشغال « بالنيابة » إلى على باشا مبارك



محمد لاظ أوغلى بك . . كتخدا مصر [أى نائب محمد على]
وصاحب الشارع والتمثال والميدان المعروفين باسمه .

. . وسرعان ما دخل الوزارة وزيرًا للمالية الانجليزى ويلسون . . ووزيرًا للأشغال هو الفرنسى بلنير ليصبحا أول وزيرين أوربيين فى حكومة مصر . ولكن سرعان ما تستقيل حكومة نوبار فى ٢٣ فبراير ١٨٧٩ فى أعقاب مظاهرة الضباط المصريين الأولى ، بسبب عدم صرف رواتبهم لعشرين شهرًا . وكانت هذه المظاهرة يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ .

** ولكن بعد استقالة حكومة شريف باشا الذى رفض إخلاء السودان من الجيش المصرى ، استدعى الخديو توفيق نوبار باشا فى ظل الاحتلال الانجليزى ليشكل وزارته الثانية فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ويظل رئيسا للوزراء حتى ٩ يونية ١٨٨٨ ، وفيها يقبل انسحاب جيش مصر من السودان ويقبل التعاون مع الانجليز إلى أن يقيله الخديو توفيق ، فيسافر إلى فرنسا . ولكنه يعود إلى الحكم فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ليتولى رئاسة الوزارة عام ١٨٩٤ لمدة عام وبضعة أشهر ، ثم يقدم استقالته فى ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ ويغادر مصر . . ليذهب إلى فرنسا ويقيم فيها إلى أن يموت فيها بعد خمس سنوات . وبالضبط يوم ١٤ يناير ١٨٩٩ .

** ولم يكن نوبار الأرمنى الوحيد الذى لعب دورًا فى تاريخ مصر . . بل هناك يوسف بوغوص بك . ولم يكن اختيار أرمنى أو قبطى كرئيس للوزراء فى مصر ـ وقتها ـ يتم لاعتبارات التمثيل الطائفى ، بقدر ما كان هذا يتم لاعتبارات فنية وتاريخية ، وكفاءة إدارية . . وكان نوبار بحق أكفأ « موظف مصرى » طوال سبعة عهود من أسرة محمد على باشا . ولم يكن نوبار قائد ثورة أو زعيماً وطنيًا شعبيًا ، ولكنه كان من الأقطاب الذين حاولوا نقل الحضارة الأوربية لمصر . .

** وربما لهذا السبب تم اختيار هذا الشارع الذى يحمل اسم نوبار إلى الآن فى قلب منطقة الوزارات فى القاهرة .

فشارع نوبار هذا يبدأ من باب اللوق ، من أول شارع شريف جنوب وزارة الأوقاف عند تقاطعه مع شارع البستان . ثم يتقاطع شارع نوبار مع شوارع : الشيخ ريحان ومجلس الشعب وإسماعيل أباظة ومحمد عز العرب لينتهى عند دار الهلال . . وبالتالى فإن شارع نوبار الذى يسير موازيًا لشارع منصور تمامًا يمر بأهم وزارات مصر ، وهى الداخلية ثم المالية والعدل ويعبر ميدان لاظ أوغلى اليد اليمنى للوالى محمد على باشا

. . وليس غريبًا أن يحتل اسم نوبار شارع الدواوين ، والدواوين هو الاسم الأوّلى أو الأصلى للنظارات . . أو الوزارات . وهذا يدل على أهمية هذا الرجل الذى أصبح أكفأ موظف مصرى فى القرن الماضى كله ، بدليل أن أحدًا لم يفكر فى تغيير اسم شارع نوبار هذا ، رغم أنه لم يكن مصريًا . بل كان أرمنيًا جاء من أرمينيا السوفيتية السابقة التى أصبحت إحدى جمهوريات هذه الامبراطورية المترامية الأطراف . . وربما كان وصول نوبار إلى أعلى منصب فى مصر وهو رئاسة الوزارة وراء وصول الآلاف من الأرمن إلى أرض مصر هروبا من الاضطهاد الذى تعرضوا له بعد ثورتهم الكبرى فى الربع الأول من القرن التاسع عشر . . فهاجروا كما هاجرت أسرة نوبار إلى تركيا وبالذات إلى أزمير فى تركيا .

** وإذا كانت مصر قد أبقت اسم نوبار على واحد من أهم شوارع القاهرة ـ الحكومية ـ غير بعيد عن مقر مجلس الوزراء الحالى ومجلس الشعب وأهم وزارات مصر . . إلا أنه فى نوفمبر ١٩٦٦ صدر قرار فى عهد جمال عبد الناصر بإزالة تمثال نوبار باشا الذى كان يصوره وهو جالس وعلى رأسه الطربوش التركى الشهير بشاربه الكث ، وكان التمثال صامدًا فى حديقة عامة بالاسكندرية منذ تم تركيبه عام ١٩٠٣ وتم وضع التمثال فى فناء متحف غير مشهور بالاسكندرية ليسدل الستار على أول رئيس وزراء لمصر . . وينتهى عصر نوبار الرجل الذى ارتبط اسمه بالمحاكم المختلفة فى مصر . .

امبراطور .. رفض الملك تعيينه وزيراً

هو امبراطور حقيقى أعلن الاستقلال ـ ليس عن وطنه الأم مصر ـ ولكن عن السلطة الانجليزية التى تحتل وطنه . لم يكن تمردًا . بل كان ثورة حقيقية بدأت فى كلية الحقوق عندما كان طالبًا بها . . فقد فصلوه منها عندما تظاهر خطيبا رافضًا لإعلان بريطانيا حمايتها على مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ . . ولكنه عاد ليكمل دراسته ويفتتح مكتبًا للمحاماة فى المدينة الصغيرة ميت غمر ، التى لا يفصلها عن المدينة المواجهة لها ـ زفتى ـ إلا نهر النيل . .

وعرفه بيت الأمة ـ بيت سعد زغلول ـ خطيبًا ، كما عرفه محل جروبى الشهير مناقشًا شرسًا منذ ذهب سعد وشعراوى وعبد العزيز فهمى إلى المعتمد البريطانى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ يطلبون لمصر الاستقلال . .

وعندما اندلعت الثورة الكبرى يوم الأحد ٩ مارس ١٩١٩ كان فى قلب أحداثها . وراء زعيمه سعد باشا زعيم الأمة وهى الثورة التى اشتعلت فى كل مكان ، كما التهبت فى القاهرة ، واشترك فيها المثقفون والسائقون . . العمال والطلبة . . أولاد البلد والسيدات بالحبرة واليشمك التركى ! وسقط أول شهيد فى السيدة زينب . . مجهول الاسم والعنوان وكأنه أراد أن يصبح رمزًا لمصر الثورة . .

** انطلق الامبراطور ، بطل شارعنا اليوم ، يوسف الجندى إلى بلدته زفتى ليكوِّن لجنة للثورة من الأعيان والأفندية وصغار التجار . . مسلمين ومسيحيين . واتخذ قاعة كبيرة فوق قهوة مستوكى اليونانى العجوز لتصبح مقرًا « لمجلس قيادة الثورة » ويقرر المجلس قطع سلطة المدينة بالسلطة العليا فى القاهرة ، السلطة المحتلة التى يوجهها

الانجليز . ويقرر المجلس أيضًا الاستيلاء على « مركز البوليس » رمز السلطة فى أى مدينة أو قرية ، ويزحف المحامى الشاب : رئيس مجلس قيادة الثورة إلى المركز على رأس الثوار المسلحين بالبنادق والفؤوس والعصى وأغصان الأشجار . وينفعل معهم ويتفاعل إسماعيل أحمد « مأمور المركز » وأحمد جمعة معاونه ويسلمان المركز للثوار ، ويتحول المأمور إلى مستشار للدولة الجديدة ، التى استولت على السكة الحديد والبوستة والتلغراف . وتنشىء الدولة الجديدة نظامًا للضرائب يقوم على التبرعات ويصف الصحفى الكبير أحمد بهاء الدين أسرار هذه الثورة فى فصل بعنوان « امبراطورية زفتى » فى كتابه الذى صدر عام ١٩٥٤ بعنوان « أيام لها تاريخ » فيقول إن الدولة الجديدة بدأت عملها بتشغيل العمال حتى لا يتحولوا إلى النهب فأصلحوا الجسور وردموا البرك والمستنقعات وأنشأت كشكًا للموسيقى على ضفة النيل لتعزف فيه الموسيقى .

** وفى مطبعة محمد أفندى عجينة يتم طبع منشورات الثورة وقراراتها لتوزع على الناس . وتحركت سلطة الاحتلال الانجليزى فأرسلت فرقة استرالية مسلحة لإخماد الثورة . . ونشرت « التايمز » أشهر صحف بريطانيا خبر استقلال زفتى « التى رفعت علمًا جديدًا ! ! وانضمت إلى زفتى ميت غمر وميت القرشى وما حولها من قرى » .

** ووصلت القوة الاسترالية إلى مشارف زفتى . وتوسط المأمور . وطلبت القوة تسليمها عشرين من الثوار لتجلدهم . وهنا يظهر الذكاء الفطرى للمصرى . فقد كان المأمور يفتح خطابات الخونة الذين حاولوا التنصل من الثورة . . واتفق الثوار على تسليم عشرين من هؤلاء الخونة للقوة الاسترالية . . وهكذا كما قال بهاء الدين : جلد الانجليز عملاءهم ونجا قواد الثورة ، زعماء امبراطورية زفتى !

** وحاولت القوة القبض على زعيم الثورة يوسف الجندى ولكنه هرب إلى دماص ثم ظهر فى القاهرة بعد ١٥ يومًا ليواصل خطبه وثوريته .

وإذا كانت قهوة مستوكلى ـ مقر قيادة الثورة ـ قد هدمت ونسى الناس كشك الموسيقى إلا أن التاريخ حفظ حكاية امبراطورية زفتى وقائدها يوسف الجندى .

** فقد تلقف بربرى مصر الوحيد « على الكسار » الحكاية وحولها إلى مسرحية



حسين رشدى باشا رئيس وزراء مصر خلال ثورة ١٩١٩ .

شدت الناس إلى المسرح . . كما أطلقت حكومة الوفد اسم يوسف الجندى زعيم ثورة زفتى على شارع يخرج من باب اللوق ويمتد خلف الجامعة الأمريكية موازيًا لشارع محمود باشا الفلكى وسط عدد من أهم المدارس الأجنبية فى مصر .

** ولقد كان للقصر الملكى موقف متشدد ضد يوسف الجندى بسبب إعلانه استقلال زفتى وميت غمر عن حكم أسرة محمد على . . ولهذا رفض القصر مرارًا أن يصبح الثائر القديم . . وزيرًا فى أى حكومة مصرية . . ولكن مازال اسمه باقيًا محفورًا فى عقل الأمة وعلى واحد من اهم شوارع وسط العاصمة المصرية .

من ساحة لسوق الحمير .. إلى شارع رشدى باشا :

ونحن نتحدث ونروى حكايات باب اللوق والشوارع الخارجة منه والداخلة إليه نروى اليوم حكاية شارع رشدى . . السياسى الذى كان رئيسًا لوزراء مصر فى أخطر فترات حياتها الحديثة ، بين الحرب العالمية الأولى . . واندلاع ثورة الشعب سنة ١٩١٩ . .

** قبل أن يحمل هذا الشارع اسم حسين باشا رشدى كان « ساحة » للحمير كما قال على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية , إذ كان يُنصب فيها سوق كل يوم بعد صلاة العصر تباع فيه الحمير . ثم تحول إلى شارع الساحة . . إلى أن تغير الاسم إلى شارع رشدى باشا تخليدًا لذكرى هذا السياسى . .

وهذا الشارع يبدأ من شارع عبد العزيز عند محلات عمر أفندى ثم شارع الجمهورية ـ ابراهيم باشا سابقًا ـ عند المبنى الضخم الفخم لمحكمة عابدين ذات الأعمدة ، ويمتد إلى أن يتقاطع مع شارعى محمد فريد وجواد حسنى ، إلى أن يصل إلى شارع شريف أمام المبنى القديم لجريدة الأهرام ـ فى شارع محمد مظلوم باشا ـ الذى يصل بدوره إلى شارع صبرى أبو علم الوزير الوفدى القديم . . المهم أن شارع رشدى هذا كان من أهم شوارع وسط القاهرة بحكم دوره التجارى وأنه كان محورًا أساسيًا من محاور خطوط الترام فى القاهرة . .

** وحسين رشدى هو ابن محمود حمدى باشا طبو زاده . و « طبو » معناها سلاح

كالمضرب برأسه كرة من حديد بها نتوءات بارزة مدببة . وكان والده محافظًا للقاهرة ثم وكيلاً للداخلية . وتعلم حسين رشدى فى السوربون وحصل منها على شهادة الحقوق، وعاد ليفتتح مكتبًا للمحاماة ونال شهرة طيبة ثم عمل مفتشًا للغات ، ثم قاضيًا فى المحاكم المختلطة ، حتى أصبح ناظرًا أى وزيرا للمالية فى حكومة بطرس باشا غالى ١٩٠٨ ثم وزيرًا للخارجية فى حكومة محمد سعيد باشا الذى كان سعد زغلول وزيرًا للحقانية فيها فى فبراير ١٩١٠ .

** أصبح حسين رشدى ناظرًا للنظار ـ رئيسا للوزراء ـ يوم ٥ إبريل ١٩١٤ واحتفظ أيضا بوزارة الداخلية . وهى النظارة التى ضمت كوكبة من أقطاب السياسة المصرية : عدلى يكن للخارجية . عبد الخالق ثروت للحقانية . إسماعيل صدقى للزراعة . يوسف وهبه للمالية .

ومع إعلان الحماية البريطانية على مصر فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ أعاد تشكيل نظارته ـ بعد أن تغير الاسم ليصبح وزارة مع إعلان الحماية ـ وظل رئيسا للوزراء فى عهد السلطان حسين كامل ثم تولية السلطان فؤاد عام ١٩١٧ . وشكل وزارته الثالثة يوم ١٠ اكتوبر ١٩١٧ ، وظلت إلى ٩ إبريل ١٩١٩ أى هى الوزارة التى شهدت اندلاع ثورة الشعب الكبرى فى مارس ١٩١٩ بقيادة الزعيم سعد زغلول .

** وللتاريخ فإن حسين رشدى باشا كانت له مواقف وطنية عظيمة ، فقد قدم مذكرة للانجليز يطلب فيها « إيجاد جنسية مستقلة للمصريين » أى طلب تحديد «هوية للمصريين وجواز سفر . . » إلا أن بريطانيا ردت فى يوليو ١٩١٧ بأن هذا الطلب سيكون محل الاعتبار بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

وعندما انتهت الحرب تقدم هو وعدلى يكن يطلبان السفر إلى لندن لبحث المستقبل السياسى لمصر ، إلا أن بريطانيا رفضت متعللة بأن الوقت غير مناسب ، تمامًا كما رفضت طلب سعد زغلول ورفاقه لتثور قضية سفر وفدين أحدهما رسمى حكومى . . والثانى شعبى يمثل الثورة الجديدة . . الوفد وسعد ورجاله . .

** شكل حسين رشدى وزارته الرابعة من ٩ أبريل إلى ٢٢ منه فقط لتكون حكومة

تهدئة ولهذا ضمت أقوى شخصيات سياسية فى عصرها : عدلى وثروت وجعفر والى ويوسف وهبة ومدحت يكن ، ولكنها فشلت لتستقيل بعد أيام من تشكيلها .

وبعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ عين رئيسًا للجنة الدستور . ثم أصبح رئيسًا لمجلس الشيوخ عام ١٩٢٦ . . وتوفى عام ١٩٢٨ .

** وكان بيته يقع فى شارع محمد سعيد باشا « حسين حجازى حاليًا » والذى يتفرع من شارع قصر العينى . وهو الشارع الذى كانت فيه دار روز اليوسف القديمة منذ العشرينيات . .

ولكن للأسف مازال بعض العامة يتمسكون بالاسم القديم للشارع . . ألا وهو شارع : الساحة !!



صورة من الجو لميدان التحرير على يساره المجمع وبداية حى جاردن سيتى ، تتوسطه القاعدة التى كان سيوضع عليها تمثال إسماعيل باشا .



الباب الثالث

حى القصور والسفارات



جاردن سيتى .. البداية مع إبراهيم باشا

تخطيط المدن مذاهب ومدارس . منها ما يتم على أساس مربعات أو مستطيلات . . وهذه المدرسة أوضح ما تكون فى المدرسة الأمريكية لهندسة المدن ، وخير مثال لها مدينتا نيويورك وواشنطون .

وهناك المدرسة التى تأخذ بأسلوب الدوائر وتعتبر المدرسة الانجليزية رائدة فى هذا الأسلوب .

واتباع هذين الأسلوبين أو أحدهما يتم فقط عند إنشاء مدينة جديدة أو ضاحية جديدة . أما فى المدن القديمة فكان التخطيط يعتمد على توزيع الشوارع والمساكن حول الوسط الحكومى .

وفى مصر اتبعنا أكثر من مدرسة . مرة اتخذنا أسلوب المربعات والمستطيلات . . وجاء هذا واضحًا فى وسط القاهرة بين ميدانى التحرير وباب اللوق وحتى شارع ٢٦ يوليو . . ونلاحظ فيها تقاطع مربعات وشوارع شريف وسليمان ومحمد فريد . ثم شوارع ثروت وعدلى وقصر النيل وهكذا . وتكررت نفس المدرسة تقريبًا فى تخطيط ضاحية مصر الجديدة فى بداية القرن العشرين . . وفى مدينة نصر فى النصف الثانى من نفس القرن . .

** وفى مصر أيضًا اتبعنا المدرسة الانجليزية فى تخطيط المدن وجاء هذا واضحًا فى ضاحية المعادى . . ثم أكثر وضوحًا فى جاردن سيتى . وهذا الأسلوب يعتمد على التخطيط الدائرى الذى يبدأ ثم ينتهى على شكل شوارع دائرية . . وهناك مدرسة تعتمد على إنشاء محاور رئيسية تتقاطع أو تتعامد عليها باقى شوارع المنطقة . وهذا

واضح فى مصر الجديدة بالذات . . واتبعنا نفس مدرسة المربعات فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة .

** وبالنسبة لحى جاردن سيتى نقول إن كل الأرض التى أقيم فوقها هذا الحى كانت إما غرب النيل ـ وليس فى شرقه كما هى الآن ـ وإما كانت تحت مجرى النيل نفسه . . سواء أيام بداية الفتح الإسلامى وحتى فى العصر الأيوبى والمملوكى الذى كان فيه مجرى النهر يسير فى نفس مسار شارع قصر العينى الحالى وميدان التحرير وشارع ٢٦ يوليو !!

** وجاء عصر أسرة محمد على باشا الكبير إذ اختار أفراد هذه الأسرة هذه المنطقة ليبنوا فيها القصور الضخمة ، وكان أولهم الفاتح ابراهيم باشا الذى بنى « القصر العالى» الذى كان يحده النيل غربًا ويصل جنوبًا إلى شارع قصر العينى . وشمالاً إلى ميدان الشيخ يوسف . .

** وفى أواخر عام ١٨٦٣ تنازل الخديو إسماعيل ـ بن إبراهيم باشا ـ لوالدته ـ الوالدة باشا ـ عن القصر العالى هذا مع الأراضى الملحقة به . وطبقًا لصك التنازل تم تحديد القصر ومساحته غربًا بساحل النيل وشرقًا بالطريق الموصل إلى بولاق ومصر القديمة « أى شارع قصر العينى » وجنوبًا بالطريق الفاصل بين أرض القصر العالى وقصر النيل ، وشمالاً قصر أخيه أحمد باشا . .

** فى أغسطس ١٨٧١م أصدر إسماعيل باشا أمرًا بكتابة حجة « مستند تمليك » باسم زوجته الثالثة لبناء سراى جديدة هى سراى الإسماعيلية فى المنطقة الواقعة فى جزيرة العبيط !! التى كان حدها الشرقى طريق كوبرى قصر النيل ـ أى شارع الخديو إسماعيل ـ والقبلى جنينة المرحوم أحمد باشا , والشرقى طريق الشيخ يوسف الموصل إلى القصر العالى ، ومصر القديمة . والغربى البحر الأعظم .

من هذا يتضح أن جاردن سيتى كانت عبارة عن ثلاثة قصور كبيرة جميعها تطل على النيل غربًا ولكل منها حديقة كبيرة هى : القصر العالى ، وقصر أحمد باشا «أخو» الخديو إسماعيل ، وسراى الإسماعيلية التى تكلفت وحدها ٢٠١٢٦٠ جنيها . وموقع هذه

السراى الآن : مجمع التحرير وما أمامه من حدائق حتى شارع كوبرى قصر النيل .

أما سراى وزارة الخارجية فكانت قصرًا للأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل .

أحمد باشا رفعت مات غريقاً فضاع منه عرش مصر !

هو الإبن الأكبر للقائد الفاتح إبراهيم باشا ، كبر وترعرع فى عز جده محمد على باشا ومجد والده إبراهيم باشا . اسمه أحمد رفعت . . وهو الأمير الذى مات غرقًا فى حادث غريب عند كفر الزيات . أما الأخ الثانى له فكان إسماعيل باشا الذى أصبح واليا على مصر وحمل لقب الخديو . .

وجدة أحمد رفعت لأبيه هى أمينة هانم بنت على باشا الشهير باسم « مصر لى » التى تزوجها محمد على باشا وحضرت إلى مصر ومعها ٢٠٠٠ جمل لحمل متاعها وخدمها . .

وأحمد رفعت كان أحد الذين أرسلهم جده محمد على ضمن البعثة الكبرى ١٨٤٤ إلى فرنسا ، وكان بين سبعين تلميذًا اختارهم سليمان باشا الفرنساوى . وكان أحد أربعة أمراء : اثنان من أبناء محمد على هما الأمير عبد الحليم والأمير حسين . واثنان من أبناء إبراهيم هما أحمد رفعت هذا وإسماعيل باشا ، وكان ممن سافر معهم فى نفس البعثة : محمد شريف باشا . على مبارك باشا وحسن أفلاطون باشا . .

** وعند تشكيل أول مجلس للشورى فى مصر تحت اسم « مجلس المشورة » برئاسة إبراهيم باشا فى سبتمبر ١٨٢٩ وضم ١٥٦ عضوًا من العلماء والأعيان والموظفين ومأمورى الأقاليم ، كان بين أعضائه الأمير أحمد رفعت بن إبراهيم باشا . . وقد عقد هذا المجلس جلسته الأولى بالقصر العالى الذى أنشأه إبراهيم باشا فى جاردن سيتى . وكان أفخر قصورها . .

** وقد عين أحمد رفعت مأمورًا للأقاليم الوسطى . ثم عينه عمه الوالى سعيد باشا فى منصب الكتخدا فى عام ١٨٥٤م , وهو منصب يعادل نائب الحاكم ثم عين كأول ناظر « وزير » للداخلية فى مصر فى عام ١٨٥٧م . وذلك فى بداية عهد مصر



الأمير أحمد باشا رفعت وهو الإبن الأكبر لإبراهيم باشا وكان ولى عهد عمه سعيد باشا ومات غريقاً فى
حادثة كفر الزيات وبهذا وصل إسماعيل باشا إلى حكم مصر

بالنظارات أى الدواوين « الوزارات » أى عام ١٨٥٧م . ثم أصبح وليًا للعهد لعمه سعيد باشا . .

** فى حادث غريب ومثير لقى أحمد باشا مصرعه عند كفر الزيات فى حادث انقلاب القطار الذى كان يركبه فى النيل ليتبدل نظام ولاية العهد ويصبح أخوه إسماعيل ـ بعد وفاة العم سعيد ـ واليًا على مصر . .

** وقد بنى أحمد رفعت باشا قصرًا فخمًا فى جاردن سيتى غير بعيد عن قصر والده إبراهيم باشا المعروف بالقصر العالى . . وكان أقرب ما يكون إلى قصر أخيه الخديو إسماعيل « سراى الإسماعيلية » . وكان شارع عائشة التيمورية هو الحد الفاصل بين القصر العالى لإبراهيم باشا وقصر أحمد باشا أخى الخديو إسماعيل ، ومازال فى جاردن سيتى شارع يحمل اسم شارع القصر العالى . وأيضًا شارع باسم الوالدة باشا زوجة إبراهيم باشا وأم الخديو إسماعيل والأمير أحمد رفعت . .

** وقد أنجب أحمد باشا ولدين أحدهما ابراهيم على اسم والده الذى أنجب محمد وحيد الدين الذى أنجب الأمير محمد على ابراهيم والثانى هو أحمد كمال رفعت الذى أنجب الأمير يوسف كمال الذى ترك قصورًا رائعة فى الوجهين البحرى والقبلى وعزف عن الحكم . .

** وقد رعى الخديو إسماعيل أبناء أحمد باشا فزوج ابنه الأمير حسين ـ السلطان حسين كامل فيما بعد ـ من الأميرة عين الحياة بنت الأمير أحمد رفعت باشا وذلك ضمن احتفالات « أفراح الأنجال » الشهيرة . .

** ومات الأمير ولى العهد أحمد رفعت . . واندثر القصر العظيم الذى بناه ولم يبق منه إلا اسم على شارع فى جاردن سيتى هو شارع أحمد باشا الذى يقع على قمته قصر محمد فؤاد سراج الدين باشا زعيم حزب الوفد .

قصر الدوبارة .. والأميرة أمينة حرم الخديو توفيق :

** فى جاردن سيتى كان أشهر ما فيها « قصر الدوبارة » . . ليس بسبب القصر الذى كان موجودًا . . ولكن بسبب وجود السفارة البريطانية منذ كانت دارًا للحماية



إبراهيم باشا إلهامى صاحب قصر الدوبارة . . وهو ابن عباس حلمى الأول ووالد الأميرة أمينة زوجة الخديو توفيق وهى والدة الخديو عباس حلمى الثانى .

على مصر . وكان الحكم الفعلى فى مصر لقصرين هما قصر عابدين حيث مقر الحكم الرسمى لأبناء أسرة محمد على منذ عهد إسماعيل . . وقصر الدوبارة حيث المندوب السامى البريطانى أو المعتمد البريطانى . . أو السفير البريطانى . . فما هى حكاية . . قصر الدوبارة هذه ؟

** هو قصر الأميرة أمينة بنت إلهامى بن عباس حلمى الأول ، وهى زوجة الخديو توفيق بن إسماعيل ، ووالدة عباس حلمى الثانى الذى عزله الانجليز عن حكم مصر عام ١٩١٤م . وكانت هذه الأميرة تعرف بلقب « أم المحسنين » وهى من ضمن الذين احتفل بزواجهم خلال احتفالات « أفراح الأنجال » أيام الخديو إسماعيل .

وكان موقع هذا القصر فى المربع الذى يقع فيه الآن فندق شبرد الجديد على كورنيش النيل . ويطل غربًا على النهر ، ومن الجنوب الشارع الذى يفصله عن السفارة البريطانية والذى كان يعرف بشارع لاظ أوغلى . وشرقًا الشارع الذى يفصله عن السفارة الأمريكية . وكان اسم هذا الشارع شارع الوالدة باشا ، وهو الشارع الذى يحمل الآن اسم : شارع أمريكا اللاتينية . . وشمالاً الشارع الفاصل الآن بين فندقى شبرد وسميراميس .

** وشارع الوالدة باشا أطلق عليه هذا الاسم بعد أن تنازل لها ابنها الخديو إسماعيل عام ١٨٦٣ عن القصر العالى الذى بناه زوجها القائد إبراهيم .

وغرب مبنى وزارة الخارجية القديم ، كان هناك قصر تمتلكه السيدة قوت القلوب بنت عبد الرحيم باشا الدمرداش . وقد هدم هذا القصر لتوسعة ميدان كوبرى قصر النيل ، وكان هذا الميدان يحمل اسم إلهامى (ابن عباس حلمى الأول) أى والد الأميرة أمينة صاحبة قصر الدوبارة الذى نتحدث عنه الآن . .

** وفى منتصف الأربعينيات بيعت منقولات قصر الدوبارة فى مزاد علنى . وبعد هدم القصر قسمت أرضه فبنيت عليها عمارتا إيزيس وأزوريس فى الجزء الجنوبى من الأرض . وبعد حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ واحتراق فندق شبرد القديم الذى

كان يقع قرب الأزبكية ، تم بناء فندق شبرد الجديد على جزء من أرض هذا القصر فى الواجهة المطلة على النيل . كما أنشىء مبنى لوزارة الصناعة شرقى الفندق .

** وخلال النضال السياسى ضد الاحتلال البريطانى ، كانت المظاهرات تتجه إلى قصر الدوبارة حيث مقر السفارة البريطانية . . وللأسف انتهى اسم القصر الحقيقى . . وانتهى اسم إلهامى باشا من الميدان الذى كان يحمل اسمه لنضع عليه ـ وياللغرابة ـ اسم سياسى من أمريكا اللاتينية هو « سيمون بوليفار » بل ونضع له تمثالاً يتوسط هذا الميدان . وإذا كان بوليفار قد حرر الكثير من دول أمريكا اللاتينية إلا أنه انتهى إلى دكتاتور ، حتى اضطر للاستقالة ومات مكروها من مواطنيه بينما ساسة مصر العظام بلا تماثيل تنصب لهم . . ولا شوارع تحمل ذكراهم للناس !!

** وواضح أن المنطقة كانت ملكًا لهذا الفرع من أسرة محمد على . إذ تحتل وزارة الخارجية فى هذا المنطقة قصر الأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل . . ويبقى أن نجد فى هذه المنطقة شوارع تحمل أسماء غريبة مثل شارع الشيخ العبيط وشارع الشيخ يوسف فما هى حكاية هذين الشيخين وأين هما من شوارع جاردن سيتى . . ؟!

ميدان الشيخ يوسف صاحبه شيخ منصر !!

فى شارع قصر العينى ـ وهو أكثر شوارع القاهرة أهمية وازدحامًا يلمح المارة بين العمارتين رقم ٩٨ ورقم ١٠٠ ضريحًا فى الفراغ بينهما ، ومدخلاً خاصًا يعرفه العامة باسم ضريح الشيخ يوسف وعلى بعد خطوات نجد ميدانا يحمل نفس الاسم : ميدان الشيخ يوسف . . وحده الشرقى شارع قصر العينى بعد أمتار قليلة من ميدان التحرير . . ثم وعلى سور قصر وزارة الخارجية تجد لافتة تحمل اسم . . شارع الشيخ العبيط !! . فما هى حكاية هذين الشيخين حتى نضع اسميهما فى واحد من أرقى أحياء القاهرة : حى جاردون سيتى ، أو حى السفارات . . ؟

** الشيخ يوسف كان والشيخ صالح أبو حديد وثالث لهما من اللصوص وقاطعى الطرق . وكان يتخذ من درب سعادة ميدانًا لسرقاته قرب باب الخلق ويرتدى زى

الدراويش ، وكان العامة يعتقدون أن له بركات . وكان يجلس على « الخليج المصرى » شارع بورسعيد الآن كلما حلَّ الليل . فإذا مر شخص بمفرده ارتفع صوت الشيخ قائلا : يا واحد فيفهم أعضاء عصابته انه بمفرده فينقضون عليه ويسرقون ما معه ثم يقتلونه . وعندما ضج الناس نصبت الشرطة له كمينا وضبطوه متلبسًا هو وعصابته ، ولما عذبوهم اعترف هذا الشيخ على زميلين له أولهما الشيخ يوسف . وثانيهما الشيخ صالح أبى حديد . ثم قتلت الشرطة شيخ درب سعادة هذا . أما الشيخ يوسف فقد لجأ إلى « لاظ أوغلى بك » الوزير الأول للوالى محمد على باشا . وكان يحمل لقب كتخدا مصر . وهو لقب يحمل معنى نائب الحاكم ومتصرفه ، فعفا لاظ أوغلى عن الشيخ يوسف .

** وعندما مات الشيخ يوسف بنى له لاظ أوغلى مقبرة وضريحًا دفن فيه الشيخ يوسف . . وأيضًا محمد بك لاظ أوغلى !! وعندما أنشىء حى جاردن سيتى أطلقوا اسم صاحب الضريح على الأرض المجاورة له فصار يعرف باسم ميدان الشيخ يوسف وتتفرع من هذا الميدان ثلاثة شوارع تحيط بالعمارتين المذكورتين فوق الضريح .

و إذا كان اسم الشيخ قد ظل على الميدان إلاّ أن الشارع الذى كان يحمل اسمه تغير ليحمل الآن اسم الصحفى الوفدى الكبير عبد القادر حمزة باشا صاحب جريدة البلاغ الوفدية المولود عام ١٨٨٨م والمتوفى عام ١٩٤١م . وأنشأ البلاغ عام ١٩٢٣ وعطلت مرارًا لمواقفها الوطنية ضد الانجليز والسراى واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩٥٣ .

أما زميله الشيخ« اللص صالح أبو حديد » فقد احتمى بمطربة مشهورة فادعت أنه مجنون وقيدته بالسلاسل . بعد أن عقل لسانه وعجز عن النطق من الخوف . ثم أشيع أنه يتحدث بالغيب عن طريق من حوله فأخذ يزوره الأمراء والنساء والأعيان وأتحفوه بالهدايا والنذور !

ثم أنشأ الخديو إسماعيل جامعًا قرب جامع الحنفى بحى الحنفى والناصرية وأوقف إسماعيل على الجامع ومدرسة بجواره ٤٠٠ فدان بالجيزة وعدة دكاكين ومنازل ومقاه أنشأها بجوار الجامع وجعل نظارة الوقف لديوان الأوقاف عام ١٨٧١ .

** وهكذا تحول اللص : الشيخ يوسف إلى ضريح ومزار وشارع وميدان . وتحول زميله اللص الثانى الشيخ صالح « أبو حديد » نسبة إلى القيود الحديدية التى كانت تسلسل قدميه إلى جامع فى حى الحنفى . وهو الشيخ اللص المشعوذ الذى كان ينام على الفراش لا يتكلم ويخرج من فمه أصواتًا غير مفهومة فتقول المرأة التى كانت تجلس على مقربة من رأسه إنه يقول كذا وكذا مثل : الغائب يحضر ، والقضية تكسب ، وفلانة تتزوج . . وكل حاضر يفسر هذا الكلام على هواه . . إلى أن مات فأقام له الخديو إسماعيل مسجدًا مازال قائمًا فى حى الحنفى والناصرية .وما حدث لهذين الشيخين يمثل ما كان يحدث من المصريين الذين تستهويهم الخرافات والمشعوذات .

ولكن ماذا عن حكاية الشيخ العبيط ؟!

الشيخ العبيط .. على قصر وزارة الخارجية :

للمصريين عشق - بل هوى - غريب وهوس بالغيبيات . وهم يعشقون الأولياء ، ويجعلون من كل طيب وليًا . حتى ولو كان ماضيه يحمل الكثير من الخطايا . . وإذا كان للشيخ اللص الشيخ يوسف ميدان وضريح فى جاردن سيتى ، وللشيخ اللص - زميله - المشعوذ جامع !! فإن فى القاهرة شارع بل وجزيرة تحمل اسم : الشيخ العبيط !! تمامًا كما نجد !! قنطرة الذى كفر !! « عند خليج أمير المؤمنين » شارع بورسعيد حاليًا . .

** وجزيرة العبيط هذه هى الجزء الجنوبى من جزيرة الزمالك أى فى نفس موقع دار الأوبرا الجديدة التى حلت محل أرض المعرض سابقًا . وكان هذا الجزء يعرف باسم الجزيرة الوسطى لتوسطها بين جزيرتى الروضة والزمالك قبل أن يتصل هذا الجزء بجزيرة الزمالك ، بل إن جزيرة العبيط سميت جزيرة تجاوزًا لانحصارها بين مجرى النيل ومجرى الخليج الناصرى . .

ثم اشترى الخديو إسماعيل ما كان بجزيرة العبيط من منازل وقصور ، وبدأ فى بناء «سراى الإسماعيلية الكبرى » وكان فى نيته بناء قصرين . إلا أنه اكتفى بقصر واحد هو سراى الإسماعيلية الصغرى - تكلفت ٢٠١٢٦٠ جنيها ، وأوقف بناء السراى الكبرى -

فى أرض العبيط ـ بعد أن أنفق على أساساتها ٣٨٨٢٠ جنيهًا . وموقع سراى الإسماعيلية الصغرى الآن مجمع التحرير وما أمامه من حدائق إلى شارع كوبرى قصر النيل . .

** وكان للشيخ العبيط مسجد ، دخل ضمن السور الغربى لسراي الإسماعيلية الصغرى قرب كوبرى قصر النيل القديم . وغير بعيد عن الجامع الطيبرسى . ولم يكن بجامع الشيخ العبيط مكان للوضوء . . ولكن دفن فيه الشيخ العبيط وشيخ آخر اسمه الشيخ زيدان . وموقع بناء جامع العبيط الآن جامع عمر مكرم . ويصل إليه من الشارع الذى يطل على السور الشرقى لقصر وزارة الخارجية . ولهذا حمل هذا الشارع اسم : شارع الشيخ العبيط . وتغير مع هدم المسجد وبناء مسجد عمر مكرم مكانه الى : شارع جامع عمر مكرم . . وشتان بين اسم الشيخ العبيط مجهول الهوية والسيد عمر مكرم الزعيم الشعبى الذى قاوم الحملة الفرنسية على مصر وقاد ثورة القاهرة ضدها ، وأحد الذين نَصّبوا محمد على باشا حاكمًا على مصر . . ونحن الآن نجد لافتة الشارع مكتوبة هكذا : شارع جامع عمر مكرم . سابقًا الشيخ العبيط . .

** أما فى الناحية الغربية من قصر وزارة الخارجية فكان هناك شارع يحمل اسم شارع الشيخ بركات ، وهو الذى تغير إلى شارع كمال الدين صلاح الدبلوماسى المصرى الذى سقط شهيدًا وهو يؤدى دور المراقب المصرى لعملية استقلال الصومال . واستشهد بسبب الخلافات القبلية والصراعات الدولية هناك . . تمامًا كما يحدث الآن فى الصومال ! !

وحكاية المشعوذين والأسماء الغريبة على شوارعنا تجعلنا نطرح قضية أسماء الشوارع . وضرورة إعادة النظر لاستبعاد الغريب منها والشاذ مثل هؤلاء الشيوخ اللصوص : الشيخ يوسف والشيخ صالح . . والشيخ العبيط . . بينما أبطال مصر ورجالها الذين قادوا نضالها بعيدين عن ذكرى الأمة وذاكرة الشعب . .

وما دمنا فى جاردن سيتى فما هى حكاية « القصر العينى » ومن هو هذا العينى الذى وضعنا اسمه على واحد من أهم شوارع القاهرة ؟!

شهاب الدين أحمد صاحب قصر العينى !

غير بعيد عن قصر الحكم « قصر عابدين » ومبانى الوزارات بما فيها مجلس الوزراء نفسه . . ثم البرلمان سواء مجلس الشورى القديم الذى احتلت موقعه وزارة الأشغال . . ثم عاد لمجلس الشورى الجديد . . غير بعيد عن كل هذا يقع شارع قصر العينى ، الذى ينطقه البعض خطأ : القصر العينى . . ما هى حكاية هذا الشارع الممتد من عند فم الخليج والسواقى وسور العيون إلى ميدان التحرير ، الاسماعيلية سابقًا . .

** بداية هو قصر أنشأه شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم ابن قاضى القضاة الحنفية : بدر الدين محمود . . العينى !! وبدر الدين هذا أصله من عينتاب شمال مدينة حلب وموقعها الآن داخل الأراضى التركية . . ومن عينتاب هذه ينسب العينى . . وقد تولى بدر الدين العينى هذا « الحسبة » كما تولى قضاء الحنفية عدة مرات . وكان مقربًا للسلطان المملوكى المؤيد شيخ وتوفى الشيخ بدر الدين العينى عام ٨٥٥ هـ . ودفن بمدرسته المعروفة باسمه أى المدرسة العينية بشارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

** وتزوج ابنه عبد الرحيم من ابنة خوند الأحمدية التى ولدت له شهاب الدين أحمد الذى بنى قصر . . العينى . .

وارتفع شأن أحمد العينى هذا فى عهد السلطان خوشقدم فأنعم عليه عام ٨٦٩هـ «بإمارة مائة تقدمة ألف » وهى أعلى الرتب العسكرية ثم جعله أميرًا للمحمل ، أى للحج . ثم عين مسئولاً عن اسطبلات السلطان . .

** وفى عام ٨٧١هـ - ١٤٦٦م أنشأ قصرًا عظيمًا على البحر أى النيل . إذ كان عامة مصر وبسبب اتساع نهر النيل يسمونه « البحر » وذلك بمنشية المهرانى نسبة للأمير يلباى المهرانى أيام الظاهر بيبرس الذى يعتبر أول من عمر هذه المنطقة بعد أن تحرك مجرى النيل عنها غربًا لتصبح أرضًا خصبة . وكان موقعها بين فم الخليج وقصر العينى الآن .

وعندما اكتمل بناء هذا القصر دعا صاحبه أحمد العينى سلطان البلاد السلطان

خوشقدم لافتتاحه وزيارته . واستجاب السلطان فزار القصر « وتفرج على البحر » وقضى يومًا سلطانيًا بديعا ، ثم أنعم على أحمد العينى برتبة الإمارة العسكرية وأصبح قائمًا بأمور السلطنة مع زميله الأمير خير بك . .

** وكما يقول المؤرخون أدار له الحظ « ظهر المجن » وبعد أن كان يطلق عليه لقب عزيز مصر حتى طمع فى أن يصير سلطانًا تغيرت الأحوال عندما تولى الأشرف قايتباى السلطنة عام ٨٧٢هـ فقبض عليه وضربه السلطان قايتباى بيده ٢٠ ضربة عصا حتى أغمى عليه ونهب العامة قصره أثناء القبض عليه . وبعد أن وعد السلطان بسداد ٢٠ ألف دينار كل شهر أفرج عنه . ولكن سرعان ما أعيد القبض عليه لتأخره فى السداد . وظل العينى بعيدًا عن الوظائف العامة وإن ظل مقربًا من السلطان كواحد من الأعيان إلى أن توفى قايتباى وتولى قانصوه الغورى السلطنة فقبض عليه وألزمه بسداد بعض الأموال . ولكنه هرب إلى مكة ثم إلى المدينة فأرسل الغورى من يأتى بالعينى مكبلاً بالسلاسل والحديد .

ولكن أحمد العينى مات بالمدينة المنورة ودفن فى البقيع عام ٩٠٩ هـ ليصبح قصره من أملاك الدولة . وبسقوط الدولة المملوكية وتحولها إلى ولاية عثمانية منذ ١٥١٧م ، استولى بكوات المماليك على القصر وحولوه إلى مكان للنزهة ، وأحيانًا إلى قصر للضيافة ، أو إلى مكان للحبس الجبرى أى يقيم فيه من يغضب عليه من الأمراء . . وأحيانًا إلى مجلس للوالى نفسه إذا عزله أمراء المماليك . .

** وفى أواخر عصر بكوات المماليك كان كبيرهم : إبراهيم بك الكبير ينزل فى قصر العينى أغلب وقته حتى وصلت حملة بونابرت إلى مصر عام ١٧٩٨م ليدخل القصر مرحلة جديدة من تاريخه .

وفى أواخر عصر بكوات المماليك ، وقبيل وصول حملة بونابرت ، حدثت فتنة كبيرة بين المماليك ، فهاجموا قصر العينى ونهبوا ما فيه وخربوه ثم أحرقوه . . ولكن مع قدوم حملة بونابرت ١٧٩٨ استعمل بونابرت قصر العينى كمستشفى لجنود وضباط الحملة . . ولما انقض الشاب الأزهرى القادم من حلب : سليمان الحلبى على كليبر فى مقر قيادته بقصر محمد بك الألفى فى الأزبكية وقتله بالخنجر ، نقل الفرنسيون جثمان كليبير



الجنرال كليبير خليفة نابليون بونابرت فى حكم مصر . اغتاله سليمان الحلبى فى قصر الألفى ، ودفنوه فى حديقة قصر العينى

الذى ينطقة البعض خطأ « كليبر » إلى حديقة هذا القصر ودفنوه فيها . . ثم نقلوا الجثمان معهم عند جلائهم عن القاهرة يوم ١٥ يوليو ١٨٠١ .

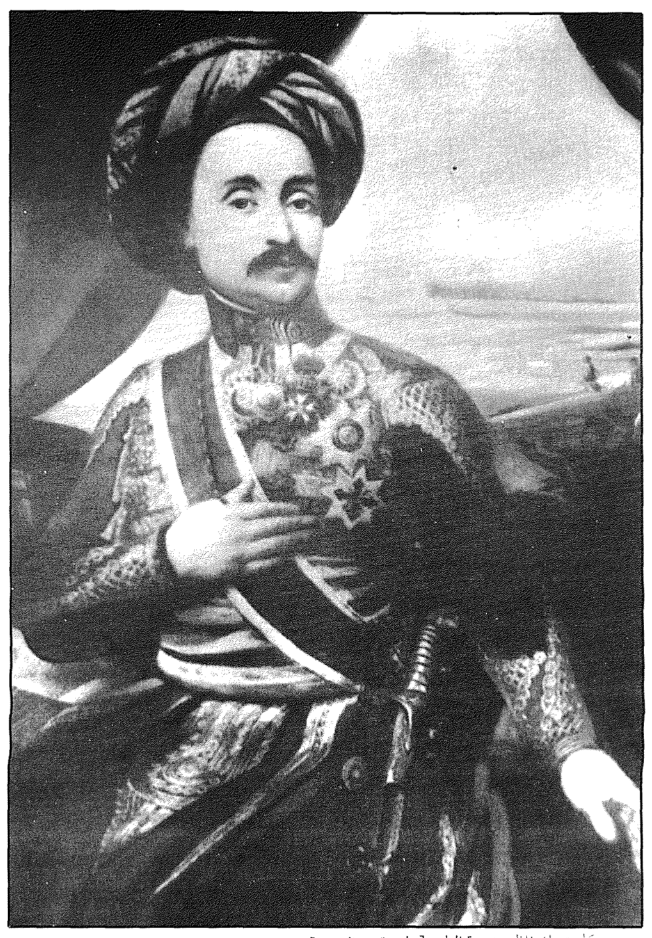
** وأهمل القصر إلى أن أنشأ محمد على باشا مدرسة حربية عام ١٨٢٥ فى هذا القصر . . ثم بدأت مسيرة قصر العينى مع الطب والأطباء . ففى عام ١٨٣١م أمر محمد على باشا بإلحاق شخصين من أغوات الحريم بمدرسة الطب فى أبى زعبل التى أنشأها كلوت بك لتعليمهما الطب والجراحة لخدمة سيدات العائلة الحاكمة : أحدهما محمد الشافعى الذى أرسله محمد على باشا لاستكمال دراسة الطب فى فرنسا بعد ذلك . . وأصبح أول مصرى يتولى رئاسة مدرسة طب قصر العينى . .

** وفى عام ١٨٥٦ أصدر والى مصر سعيد باشا قرارًا بإنشاء مجلس خصوصى للطب . ثم صدر قرار بإنشاء مدرسة الطب فى قصر العينى ملحقة « باستبالية قصر العينى » لتعليم الطب والجراحة والعلوم الطبية والصيدلية ، وافتتحت رسميا فى أول سبتمبر ١٨٥٦ على أن يكون تلاميذها « ممن يحسنون القراءة والكتابة » وسنهم نحو ١٥ سنة » . وتقرر أن يكون عدد تلاميذ مدرسة الطب ٨٠ منهم ٦٠ لتعليم الطب والجراحة ليكونوا « حكماء » وياله من اسم . . و٢٠ لتعليم العلوم الطبية والأجزاء ليكونوا « أجزاجية » أى صيادلة . وكانت مدة الدراسة ٥ سنوات يمنح الدارس خلالها ٧٥ قرشًا شهريًا كمصروف مع توزيع الكساوى والمأكولات عليهم فضلاً عن الإقامة!!

** وقدم كلوت بك » مدير المستشفى والمدرسة » لائحة لإدارة المدرسة تنظم قواعد القبول والدراسة . وكان كل دارس يحصل على « كسوة من الجوخ الأزرق . وكسوتين من البفتة سنويًا وطربوش وحزام ومركوبين وثلاثة ألبسة وثلاث طواقٍ !!

** وليس هناك شك فى اهتمام محمد على بالطب والصحة العامة ، فقد أسس «مجلس الصحة والاستبالية » عام ١٨٢٧ الذى حول إلى مجلس الصحة العمومية عام ١٨٣٥ . . وبعد ١٠٠ عام أى فى ١٩٣٥ أنشئت وزارة الصحة فى عهد الملك فؤاد الأول .

** وفى عام ١٩٢٥ عندإنشاء جامعة فؤاد الأول ـ محل الجامعة المصرية التى أنشئت



كلوت بك ناظر مدرسة الطب [طب قصر العينى] ومفتش عموم الصحة . وهو فرنسى الأصل وأعطى لمصر الكثير ، ويعتبر رائداً للطب المصرى الحديث .

عام ١٩٠٨ ـ انضمت مدرسة الطب فى قصر العينى إلى الجامعة الوليدة وأصبحت كلية للطب . .

وفى عام ١٩٢٩ تم تخصيص ٤٤ فدانًا بجزيرة الروضة لإقامة مستشفى جديد وكلية طب جديدة . وسميت المستشفى باسم فؤاد الأول وتولى الاشراف عليها وعلى إنشائها طبيب مصر الكبير الدكتور على باشا ابراهيم الذى كان مديرا للجامعة .

واستمرت عملية البناء إلى ما بعد ١٩٥٢ وعرفت باسم : قصر العينى الجديد . ثم تقرر هدم قصر العينى القديم كمستشفى وكلية فى السبعينيات . . وتم إعادة بناء مستشفى عصرى جديد وكلية للطب اسمها قصر العينى الجديد . . وهكذا ! !

** وحول منطقة قصر العينى القديم تم إطلاق أسماء مشاهير الأطباء الذين تخرجوا فى مدرسة الطب وكليتها على شوارع المنطقة تكريمًا للعقول المصرية العظيمة التى صنعت مجد الطب المصرى .

الفرنساوى الذى أنشأ كلية الطب :

هو واحد من الأجانب الذين وفدوا إلى مصر فعملوا فيها وخدموا الشعب المصرى فحفظ الشعب لهم هذا الوفاء ، وخلدهم وأقام التماثيل لهم ، وأطلق أسماءهم على أهم شوارع مصر . . من هؤلاء الدكتور كلوت بك . . والكولونيل سيف « سليمان » الفرنساوى ونوبار باشا وغيرهم . . وربما يكون من أهم أسباب نجاحهم حسن اختيار محمد على باشا لهم ، من بين الأجانب الذين وفدوا على مصر . وقد تحدثنا عن سليمان الفرنساوى . . وعن نوبار باشا والآن نروى حكاية كلوت بك صاحب الشارع الشهير الذى يربط ميدان العتبة الخضراء بميدان باب الحديد . .

وإذا ذكرنا اسم مستشفى قصر العينى . . أو تحدثنا عن كلية الطب فإن أول ما يتبادر إلى الذهن ـ وفورًا ـ اسم كلوت بك هذا الطبيب الفرنسى الأصل الذى ارتبط به هذا المستشفى كما ارتبطت باسمه أول كلية للطب فى مصر والشرق . .

** ولد أ . ب كلوت بك فى مدينة جرينوبل الفرنسية عام ١٧٩٣ أى بعد ٤ سنوات فقط من اشتعال الثورة الفرنسية . ولد من أبوين فقيرين . وتعلم الطب . .

وحتى يدبر تكاليف الدراسة اشتغل « صبى حلاق » فى مرسيليا . وعندما أتم دراسته عين طبيبًا ثانيًا فى مستشفى الصدقة فى مرسيليا . ثم عمل طبيبا حرًا إلى أن تعرف على تاجر فرنسى كان محمد على باشا قد كلفه بالبحث عن طبيب للجيش المصرى . وهكذا جاء كلوت بك إلى مصر عام ١٨٢٥ فعهد إليه محمد على بتنظيم الادارة الصحية للجيش ، والتى كانت قد أنشئت قبل ذلك بخمس سنوات . . وصدر قرار بتعيينه رئيسًا لأطباء الجيش . وجاء قرار تعيينه هكذا « يعين الحكيم كلوت بك مفتشًا لعموم الصحة بديوان البحرية والجهادية » وزارة الحربية والبحرية » وعضوا بمجلس شورى الأطباء وناظرًا لمدرسة الطب البشرى والبيطرى ، مع مباشرة ورؤية أعمال الحكماء «الأطباء » والأجزاجية « الصيادلة » ويؤكد عليه برؤية تلك المصالح المحالة لعهدته . . » .

** وفى هذا الفترة كانت الخانكة مقرًا للمعسكر العام للجيش المصرى ، فأشار كلوت بك على الوالى محمد على باشا بإنشاء مستشفى عسكرى فى أبى زعبل بجوار هذا المعسكر . . وبالفعل وافق محمد على وأنشأ المستشفى الذى أصبح بعد ذلك مستشفى عامًا لمعالجة الجنود ، ونموذجًا للمستشفيات التى أنشئت بعده . .

** وجاءت الخطوة الثانية عندما فكر فى إنشاء مدرسة لتخريج الأطباء من المصريين . ووافق محمد على وتم بالفعل إنشاء هذه المدرسة بجوار المستشفى العسكرى فى أبى زعبل عام ١٨٢٧ . وهى المدرسة التى أصبحت بداية النهضة الطبية فى مصر . وتولى كلوت بك إدارة مدرسة الطب هذه . .

** ثم جاءت الخطوة التى ربطت بين كلوت بك ومدرسة الطب وقصر العينى . . إذ فى عام ١٨٣٧ تم نقل المستشفى والمدرسة إلى قصر أحمد العينى ليدخل تعليم الطب فى مصر مرحلة جديدة ، فأعاد الحياة إلى هذا القصر الذى كان قد تخرب وأحرق خلال إحدى ثورات المماليك . .

وتوسع كلوت بك فى اهتمامه بالصحة . . وحول المستشفى من مكان لعلاج الجنود وحدهم إلى علاج كل المرضى . . وعند بداية عهد المدرسة عام ١٨٢٧ ، اختار كلوت بك مائة تلميذ من طلبة الأزهر ، واختار عددًا من خيرة أطباء فرنسا وأوربا ليدرسوا

للطلبة علوم التشريح والجراحة والباطنة وعلوم الصحة والصيدلة والطب الشرعى والطبيعة والكيمياء . . وأمراض النساء . . وكان بالمدرسة أساتذة يدرسون اللغة الفرنسية للطبة الأزهرين ، وجعل لكل أستاذ معيدا مترجما إلى العربية . . وتلك كانت بداية كلية طب قصر العينى .

. . وبعد خمس سنوات من بدء الدراسة بمدرسة الطب تخرجت الدفعة الأولى من الأطباء المصريين الأزهريين فى الأصل . وكانت المدرسة مازالت فى موقعها الأول فى «أبو زعبل » وتم توزيع هؤلاء الخريجين الأول على المستشفيات وعلى وحدات وفرق الجيش المصرى ، ومن هؤلاء تم اختيار عشرين طبيبًا ليعملوا معيدين للدروس ، إذ كان الأستاذ الأجنبى يلقى درسه باللغة الفرنسية ثم يتولى هؤلاء إعادة إلقاء الدروس بعد ترجمتها إلى العربية . ومن هنا جاء اسم « معيد » كما تم اختيار ١٢ من النابهين وتم إرسالهم فى بعثة إلى فرنسا لإتقان علوم الطب والصيدلة ولما عادوا عينوا أساتذة فى مدرسة الطب .

** وفى عام ١٨٣٧ تم نقل المدرسة والمستشفى إلى قصر العينى لتكون أقرب إلى القاهرة . . وإلى الخدمة العامة وألحقت بمدرسة الطب هناك مدرسة خاصة للصيدلة . ثم مدرسة للقابلات والولادة واختيرت لها مجموعة من الفتيات الحبشيات والسودانيات تعلمن العربية وفن الولادة وتم إنشاء مستشفى صغير خصص للنساء قبل أن ينقل الكل إلى قصر العينى . . وألحقت بالمدرسة الأولى حديقة زرعت بكل النباتات النادرة والأعشاب الطبية التى هى أساس علم « الأجزا » أى علم الصيدلة .

** ومع عصر « الردة » أيام عباس الأول ، اضمحلت مدرسة الطب فى قصر العينى فترك كلوت بك مصر وعاد إلى فرنسا . . ثم فى عهد سعيد باشا تم إغلاق المدرسة وتوزيع طلابها للعمل فى الجيش . ولكن « سعيد باشا» سرعان ما قرر إعادة فتحها ، فاستدعى كلوت بك من فرنسا وأعيد فتح المدرسة فى احتفال كبير عام ١٨٥٦ . غير أن صحة ـ ملك الصحة ـ سرعان ما تدهورت فعاد إلى بلاده بعد عامين وأقام فى فرنسا إلى أن مات فى أغسطس ١٨٦٨ .

** ولم تقف جهود كلوت بك عند حد مدرسة الطب . بل أنشأ مجلسًا للصحة

البحرية فى الاسكندرية . وعندما انتشر وباء الجدرى اقترح استعمال أسلوب التطعيم لينقذ ٦٠ الفًا من المصريين الأطفال كانوا يموتون كل عام . . وعندما انتشر وباء الكوليرا فى مصر عام ١٨٣٠ اشرف على مقاومته هو وتلاميذه وكافأه محمد على بالإنعام عليه بلقب « بك » ليعرف باسم كلوت بك . وعندما ظهر وباء الطاعون فى مصر عام ١٨٣٥ بذل جهودًا كبيرة فى مقاومته فأنعم عليه محمد على برتبة « أمير اللواء » .

** وقد ترك كلوت بك مؤلفات عدة فى الطب . ولكن من أهم ما تركه كتاب رائع هو « لمحة عامة إلى مصر » تم ترجمته للعربية وصدر فى ٣ أجزاء ، وهو بلا جدال أهم مرجع فى وصف الحياة المصرية خلال الفترة التى تلت الحملة الفرنسية على مصر ، وطوال عهود محمد على وعباس وسعيد . وقد كرمته فرنسا فمنحته وسام اللجيون دوتور من درجه فارس وعلى عدة أوسمة من درجة كوماندور والدكتوراه فى الطب والجراحة وأصبح عضوا فى أكاديمية الطب الملكية فى باريس وأكاديمية العلوم فى نابولى .

** وإذا كان كلوت بك له تمثال نصفى فى كلية الطب فإنه ضمن خطة شق الشوارع العصرية التى أشرف عليها على باشا مبارك فى زمن الخديو اسماعيل . . تقرر عام ١٨٧٢ شق شارع يربط محطة السكة الحديد بالأزبكية وليربط شارع محمد على بالقلعة . . وأطلق على هذا الشارع اسم كلوت بك بعد تمام شقه عام ١٨٧٣ . (ولاحظوا الربط بين اسمى محمد على . . وكلوت بك) حتى يتمكن القادم بالسكة الحديد من اختراق شارع كلوت بك إلى ميدان العتبة ـ صرة العاصمة ـ ثم إلى شارع محمد على . . ثم إلى القلعة . .

** وأصبح شارع كلوت بك محورًا رئيسيًا للمرور . ومُدَّ فيه خطٌّ للترام وبنيت البيوت على جانبيه على طراز البواكى لحماية المارة والمحال . . ولكن للأسف تحول الشارع إلى منطقة للبغاء عندما كان مسموحًا به رسميًا قبل أن يلغى نهائيًا فى نهاية الأربعينيات .



الباب الرابع

العتبة والأزبكية وصُرة مصر المحروسة



القاهرة .. مدينة القناطر

لأن القاهرة محصورة بين النهر والجبل : النيل والمقطم . وحتى لا تتعرض لمشاكل نقص المياه اللازمة لشرب الناس ورى البساتين ، تم حفر خليج أمير المؤمنين فى بداية العصر الإسلامى ليتوسط المسافة بين النهر والجبل . وهو الذى تطور وحمل اسم الخليج المصرى و إلى الخليج بعدها .

ولأن النيل كان بعيدًا عن القاهرة المعزية لم يسكن الناس قريبًا منه ، ولهذا فضلوا السكنى حول وقرب هذا الخليج حيث كان ماء الخليج يلطف جو القاهرة خصوصًا فى شهور الصيف الطويلة ، أى كان بمثابة المصيف لسكان العاصمة وكان منسوب المياه يرتفع فى الخليج زمن الفيضان بين شهرى أغسطس وفبراير .

وحول هذا الخليج كان لابد من إنشاء عدد من القناطر ، أى الجسور يعبر عليها سكان القاهرة ورجال الوالى . وكان فى القاهرة ٢٤ قنطرة تقع كلها على الخليج المصرى تبدأ من فم الخليج إلى الاميرية . .

** وهكذا ـ وعلى طول هذا الخليج ـ وجدنا القناطر التالية : قنطرة باب الخرق وقنطرة السد . وقنطره الدكة . وقنطره سنقر . وقنطره الليمون وقنطره الموسكى وقنطرة الأمير حسين والقنطرة الجديدة ، وقنطرة عمرشاه . . ومع الزمن وردم الخليج المصرى فى نهاية القرن ١٩ ليتحول إلى أطول شارع فى مصر تسير عليه خطوط الترام كأول خط فى القاهرة ، تحولت القناطر إلى شوارع ، إلا قنطرة قد ادار التى كانت قريبة من باب اللوق وعرفت بقنطرة المدابغ وأزيلت عند تخطيط منطقة الإسماعيلية .

مثلاً قنطرة الدكة تحولت إلى شارع قنطرة الدكة وطوله ٥٠٠ متر يبدأ من عند قنطرة

الليمون وينتهى بقنطرة الدكة ، ويعرف باسم الدكة بسبب الدكة التى كانت عند هذه القنطرة . وكان يجلس عليها المتفرجون أيام ارتفاع منسوب النيل ، عندما كان قريبا من باب الحديد ـ ولاحظوا باب البحر الشارع الحالى أيضًا ـ وكان شارع قنطرة الدكة قريبًا مع جامع أولاد عنان الذى تم هدمه لإنشاء مسجد الفتح الجديد فى باب الحديد . وفى هذا الموقع كان هناك بستان عظيم به منظرة للخلفاء الفاطميين يتمتعون بالجلوس عندها ليشاهدوا جمال النيل . ولكن البستان تخرب وكان أوله من قنطرة الدكة وينتهى أول الشارع الممتد من الأزبكية إلى بولاق « شارع فؤاد أو ٢٦ يوليو » ومن ضمنه فندق شبرد القديم وما يجاوره من قصور أبرزها القصر الذى بناه محمد على باشا لابنته الأميرة زينب والذى كان معروفًا باسم سراى الأزبكية . أما شارع بستان الدكة فبين شارعى الجمهورية وعماد الدين .

** أما قنطرة الذى كفر فكانت توصل إلى شارع الخلوتى . وقد اختلف الناس حول سر هذه التسمية وأورد على باشا مبارك فى خططه التوفيقية كل هذه الاختلافات والتى شارك فيها أحمد باشا تيمور وهى تقع فى حى درب الجماميز وهل الذى بناها مهندس إيطالى أم فرنسى واسمه : كفرللى وأعتقد العامة أن « لل » تعنى الذى فتحول الاسم إلى الذى كفر ولمن يطلب المزيد أن يرجع إلى الجزء الثالث من الخطط التوفيقية صفحة ٨٤ ـ ٨٨ .

وعن قنطرة سنقر يقول المقريزى فى خططه أنها كانت تقع على الخليج باسم الأمير آق سنقر الذى بنى الكثير من المنشآت أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان هذا الشارع يمتد من شارع الخلوتى ويتجه يسارًا إلى حارة النصارى ثم إلى شارع سويقة اللالا، وبه حمام سنقر الذى ظل عامرا حتى سنوات قريبة .

** أما قنطرة السيدة فكانت أشهر قناطر القاهرة . وكانت تعرف باسم قناطر السباع التى أنشأها الظاهر بيبرس وأقام عليها سباعًا من حجارة ، فحملت اسم قناطر السباع . وهدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون ليبنى محلها قناطر حملت اسمه وهى قريبة من السيدة زينب بل كانت القناطر أمام المسجد الزينى مباشرة .

وانتهت كل هذه القناطر بنهاية الخليج نفسه . وذهب الخليج وتهدمت القناطر ولكن بقى اسم الخليج كأطول شوارع القاهرة . ورغم أنهم حولوه إلى اسم شارع بورسعيد ولكن ظل اسم الخليج هو الشائع بسبب عراقته وعمره الذى يتجاوز ١٣٠٠ عام . . وذهبت القناطر ولكن بقيت أسماؤها لتتحول إلى شوارع مازالت باقية تروى للناس بعضًا من تاريخ القاهرة .

** وللأسف حدث تغير فى السنوات الأخيرة وأخذ البعض ينادى بالتخلص من هذه الأسماء بحجة الجهل بمعانيها . . ولكن لجنة الأسماء تملك الوعى بتاريخ القاهرة . . ولهذا عليها أن تبقى على هذه الأسماء التاريخية وإن أرادت أن تضع اسمًا لأحد مشاهير العصر عليها أن تطلقه على الأحياء الجديدة والشوارع الجديدة .

ومدينة للبرك .. أيضاً :

لم يكن بالقاهرة خليج أمير المؤمنين « الخليج المصرى » وحده . . بل كان هناك الخليج الناصرى الذى حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وموقعه الحالى شارع قصر العينى تقريبًا . وكانت القاهرة تتمتع بكثير من البرك التى تنتعش بالمياه عندما يرتفع منسوب نهر النيل . وكانت المياه تصل إلى هذه البرك إما من الخليج الناصرى أو من خليج أمير المؤمنين بقنوات وأنفاق تحت الأرض . وكان الهدف من هذه البرك أن توفر المياه للرى أو لاستخدامات الناس . ومن أشهرها : بركة الأزبكية . . بركة الفيل . . وبركة الرطلى . . والبركة الناصرية . . وبركة الفوالة . . وبركة قمر . . وبركة قرموط . . وبركة الشقاف قرب بستان الدكة .

** وعندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة بونابرت ، كانت هناك ثلاث برك بحى المدابغ . أولها بركة الدم وهى الأصغر ، وكان طولها ٣٠٠ متر وعرضها ٥٠ مترًا . وكانت عبارة عن مصرف تتجمع فيه مياه المدابغ والقاذورات ومن هنا حملت اسم : بركة الدم . . والمقصود بالمدابغ هنا عندما كانت قريبة من ميدان باب الخلق قبل أن تستقر قرب سور العيون بمصر القديمة مروراً بموقعها قرب باب اللوق . .

والبركة الثانية بركة الصابر بجوار بركة الدم وطولها ١٥٠ مترا وعرضها ١٢٠ مترا . ثم

إحدى القناطر التى كانت مقامة على الخليج المصرى وحولها كانت قصور المماليك والأمراء

صورة لميدان بركة الفيل تغمره مياه فيضان النيل أيام الحملة الفرنسية .

بركة الفوالة وكانت تعرف أحيانا باسم بركة قرموط وهى الأكبر طولاً (٣٠٠ متر) وعرضا (١٠٠ متر)، وكانت محل بستان كبير مساحته ٧٥ فدانًا وبها منظرة بديعة . .

** أما البركة الناصرية فكانت قرب ميدان لاظ أوغلى الحالى . وعندما ردمت بنى محلها إسماعيل باشا صديق « المفتش » قصره الكبير الذى تحول إلى مقر ديوان المالية فى أول شارع الدواوين أى الوزارات من ميدان لاظ أوغلى . وهو المبنى الذى أصبح مقرًا لوزارة المالية . ولاحظوا اسم الناصرية هذا الحى العتيق لأنه يعود إلى منشىء الخليج الناصرى السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

** وبركة الفيل من أقدم برك العاصمة . أنشأها رجل اسمه الفيل وهو أحد أصدقاء أحمد بن طولون . واشتهرت عندما أنشأ جوهر الصقلى القاهرة وكانت البركة بين الفسطاط وقاهرة المعز وكانت الأرض بينهما فراغًا إلى أن عمّرها الناس ابتداءً من عام ٦٠٠ هجرية وبنوا حولها القصور التى صارت من أجمل مبانى مصر . وكانت البركة ذات مساحة كبيرة تمر بمناطق باب الخلق والحلمية الجديدة والسيوفية والحوض المرصود والصليبة . حتى تصل إلى ميدان القلعة ، وغربا تصل إلى شارع الخليج .

وكان يقع بالغرب منها بركة قارون قرب جامع ابن طولون ، ثم انقسمت إلى بركتين إحداهما بركة البغالة جنوبى مسجد السيدة زينب . وكالعادة ـ ومع التطور ـ انتهت هذه البرك . . لكن مازال الناس يتذكرون أسماءها . .

وكل برك القاهرة كانت نعمة للناس فى معظم أيامها ، إلا أنها كانت عند انحسار المياه عنها تتحول إلى مستنقعات ومناطق آسنة عفنة تزكم الأنوف ، يشكوا منها الناس ويتضررون . وهكذا مع الزمن تم ردم هذه البرك تباعًا . بعضها تحول إلى حدائق . . وأكثرها تم تقسيم أراضيها وبيعت للناس ، فأقاموا عليها مساكنهم . . وذهبت البرك وإن بقيت الأسماء فى ذاكرة الأمة . تمامًا كما اشتكى الناس فى أواخر عصر الخليج عندما تحول إلى مجرى تصب فيه المخلفات ومع انتشار الكوليرا فى أواخر القرن الماضى تم ردم الخليج عام ١٨٩٨ ليتحول إلى أطول شوارع القاهرة ويجرى فوقه أول خط للترام فى مصر فى العام التالى . .



بركة الأزبكية تحيط بها قصور الأمراء وبكوات المماليك ـ فى القرن الثامن عشر .

** وذهب عصر البرك كما ذهب عصر الخليج بعد ٣٨٠٠ عام هى عمر هذا الخليج منذ حفره الفرعون سنوسرت الثالث كأول مجرى مائى صناعى يربط النيل بالبحر الأحمر . .

بركة الأزبكية .. والحى الشهير :

بركتان كانتا ملء السمع والبصر فى القاهرة فى عصر محمد على الكبير . الأولى بركة الفيل . والثانية بركة الأزبكية . ولكنهما ذهبتَا ولم يبق منهما الا الاسم .

** فبركة الفيل كانت بمثابة حى الزمالك الآن . فكان فيها قصور الأمراء طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكان بها ثلاثة أرباع قصور الأمراء حول البركة . وكانت مياه الفيضان تغمرها ثمانية أشهر كل عام ، وتتحول إلى حديقة غناء طوال أربعة اشهر فى السنة . وفى شهور الفيضان كانت المراكب الشراعية تملأ البحيرة حيث يستقلها الأغنياء مع زوجاتهم وحولهم الفرق الموسيقية والألعاب النارية .

** أما بركة الأزبكية فكانت مقر البرجوازية القاهرية . أى كان يسكنها كبار التجار والمشايخ الذين أقاموا قصورهم على ضفاف البركة . ومن أشهر التجار الحاج قاسم بن الحاج محمد دادة الشرايبى كبير تجار البن . ومن أشهر المشايخ نجد آل البكرى من الأشراف .

وبركة الأزبكية هى ما تبقى من بركة بطن البقرة . ويرجع اسمها إلى الأتابك أزبك بن ططخ الذى بدأ فى تعميرها عام ٨٨٠ هجرية ، وكانت منطقة خربة بعد أن ردم خليج الذكر الذى كان يغذيها . فجاء أزبك الذى حفر مجرى من الخليج الناصرى ليوصل الماء إلى أرض الأزبكية . وسكن الأمير أزبك بجوارها بعد أن أزال الكيمان ـ أى التلال من القمامة وغيرها ـ ومهد الأرض وجدد حفر البركة وجدد تعمير قنطرة الذكر وبنى رصيفا حول البركة . وقد شجعت هذه العمليات الأهالى فانطلقوا يبنون حولها بيوتهم لتتحول الأزبكية إلى حى كبير عام ١٤٩٥م . وأنشأ الأمير أزبك بها مسجدًا كبيرًا وانتشرت حوله الحمامات والطواحين والربوع أى جمع « ربع » . . وهذه تذكرنا بمنطقة « تحت الربع » القريبة من ميدان العتبة . .

وظل مسجد أزبك فى موقعه بالقرب من مدخل شارع الأزهر حتى أزيل عند إعادة تخطيط ميدان العتبة وفتح شارع محمد على الذى يربط بين ميدان العتبة ـ محمد على باشا الكبير ـ وقلعة القاهرة .

** وأزبك كان من مماليك الأشرف برسباى . ثم اشتراه الظاهر جمقمق وزوجه من ابنته ثم عين نائبًا على الشام أيام الظاهر بلباى ثم أتابكا أيام الأشرف قايتباى لمدة ٣٠ سنة . وحارب سلطان العثمانين بايزيد الثانى بن محمد الفاتح وانتصر عليه . وتوفى عام ٩٠٤ هجرية وعمره ٨٥ عامًا بعد أن ترك ثروة طائلة .

وعندما دخل العثمانيون مصر عام ١٥١٧ أقاموا خيامهم حول بركة الأزبكية ثم بنى رضوان كتخدا قصرًا كبيرًا على الحافة الشرقية للبركة فى نفس موقع بيت الدادة الشرايبى تاجر البن الشهير المتوفى ١٧٣٤م . وكان هذا القصر يعرف باسم « الثلاث ولية » ثم عرف باسم العتبة الزرقاء . وهى الدار التى آلت بعد ذلك إلى طاهر باشا ناظر الجمارك فى عهد محمد على . ثم إلى عباس حلمى الأول ـ ثالث الولاة من أسرة محمد على ـ الذى هدمها وأعاد بناءها وأطلق عليها اسم العتبة الخضراء لأنه كان يتشاءم من اللون الأزرق . أى أن الأصل هو ـ ميدان العتبة الزرقاء قبل أن تصبح العتبة الخضراء على أيام عباس حلمى الأول ـ وكانت عتبة هذا القصر خضراء اللون .

** وفى عهد الخديو إسماعيل تم تكليف المهندس الفرنسى الشهير هوسمان بإعادة تخطيط منطقة الأزبكية وأصبحت هذه الدار فى وسط الميدان وأطلق على جزء منه اسم : العتبة الخضراء . وعلى الجزء الآخر ميدان أزبك . ولقد أصبح هذا القصر مقرًا للمحكمة المختلطة عند إنشاء القضاء المختلط أيام وزارة نوبار باشا . وعندما تقرر توسيع الميدان تم هدم هذا القصر فانتقلت المحكمة إلى مبنى جديد أنشىء خصيصًا لها فى شارع فؤاد هو مقر دار القضاء العالى الآن !!

** ويهمنا هنا أن نذكر أن على بك الكبير الذى حاول الاستقلال بمصر عن سلطان تركيا قد أنشأ دارًا كبيرة على الحافة الجنوبية من بركة الأزبكية . ومات فيها . وآلت هذه الدار إلى محظيته وزوجته الست نفيسة التى عرفت بالمرادية لأنها تزوجت بعد ذلك من مراد بك الكبير شيخ البلد الذى كان يقتسم حكم مصر مع عدوه اللدود



شيخ البلد مراد بك الذى كان يحكم مصر قبيل الحملة الفرنسية .

إبراهيم بك . وكانت الست نفيسة ذات مكانة عالية أيام الفرنسيين وأيام محمد على وتوفيت عام ١٨١٦م .

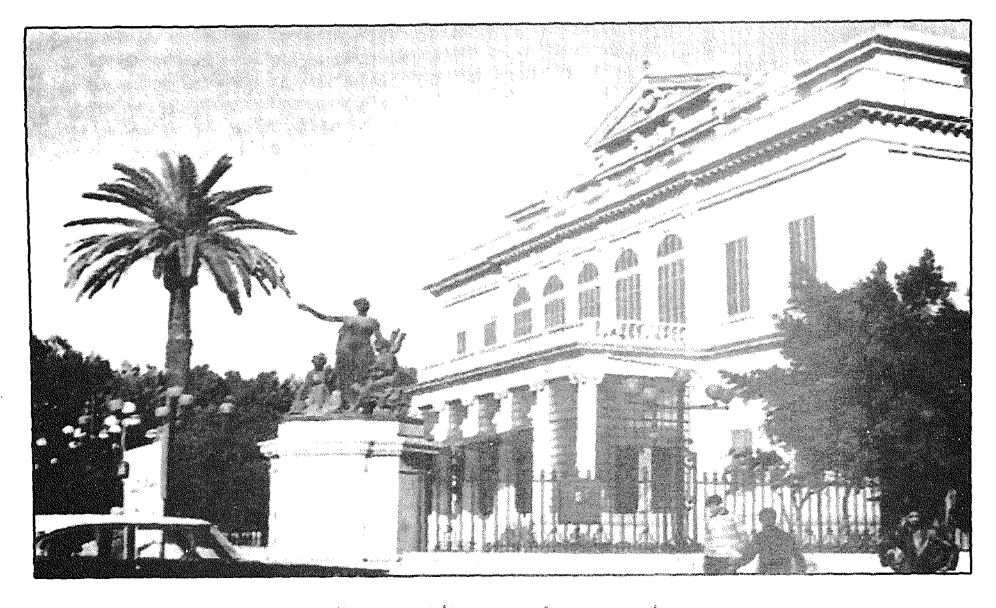
وإذا كان إبراهيم باشا ابن محمد على الكبير هو أول من فكر ونفذ فكرة ردم بركة الأزبكية بعد أن تحولت إلى بؤرة غير نظيفة ، وبنى فيها محمد على باشا قصرًا لابنته زينب . . فإن إسماعيل باشا ابن إبراهيم هو الذى حول الأزبكية إلى منطقة عصرية من الطراز الأول فى قلب القاهرة .

الخديو إسماعيل .. ملك الأزبكية

لم يكن هدف الخديو إسماعيل مجرد تجميل منطقة الأزبكية . بل كان يخطط لتحويلها إلى « صرة » لعاصمته الجديدة التى يحلم بها . كان يريدلها أن تكمل مشروعه الآخر بتخطيط منطقة الاسماعيلية ـ بين كوبرى قصر النيل وميدان التحرير وشوارع وسط القاهرة كلها ـ لهذا كلف المهندس الفرنسى الشهير فى تخطيط المدن « هوسمان » بتخطيط منطقة الأزبكية .

** وقال الخديو للمهندس الفرنسى : أريد الأزبكية قطعة من باريس ، تجمع بين جمال حدائق الغابة السوداء « غابة بولونيا » فى باريس وبين منطقة أوبرا باريس والأحياء التجارية حولها . . وفعلاً خصص هوسمان مساحة كبيرة من الأزبكية لتصبح على غرار غابة بولونيا فى قلب باريس وعهد بتخطيطها إلى المهندس الفرنسى باريلى ديشان بك . وقد تم ردم بركة الأزبكية عام ١٨٦٤م بعد أكثر من أربعة قرون عندما حفرها الأتابك أزبك . وأنشئت حديقة الأزبكية عام ١٨٧٢ وفيها جبلايات صناعية وزرعت فيها الأشجار النادرة . وبالمناسبة فإن هذا المهندس هو الذى أنشأ بساتين الأورمان ـ حديقة الأورمان ـ وحديقة سراى الجيزة .

** وكجزء من تعمير هذه المنطقة تم إنشاء دار الأوبرا عام ١٨٦٩ . وفى عام ١٨٧٣ أقيم تمثال إبراهيم باشا ـ والد الخديو اسماعيل ـ ونفذه المثّال كورديه وتكلف ١٥٤٣٠ جنيهًا وتكلفت قاعدته ٢٨٩٠ جنيهًا . وكانت مساحة الحديقة ٢١ فدانًا . ولكن هذه الحديقة العظيمة تعرضت لعدة اعتداءات . ففى عام ١٩٥٢ تم إزالة



دار الأوبرا القديمة كانت أبرز معالم منطقة الأزبكية فى عصرها الذهبى .

الأسوار وسمح للجمهور بالدخول مجانًا . وأقيمت فيها المقاهى ومسرح العرائس ومسرح ٢٦ يوليو ومسرح الأزبكية ومساحة كانت تستعمل سينما صيفية تتحول إلى صالة باتيناج فى الشتاء ومبنى سنترال الأوبرا ثم تم فتح امتداد لشارع ٢٦ يوليو ليقسم الحديقة إلى قسمين . . ولولا ما قام به محافظ القاهرة عام ١٩٩٤ اللواء عمر عبد الآخر من جهود لماتت حديقة الأزبكية . . ولكنه أحياها وحافظ عليها .

** وفى الزمن الطيب كانت فرق موسيقى الشرطة تعزف فى الحديقة طوال يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع لمدة ساعتين للترفيه عن الناس . . وكان دخول الحديقة فى هذين اليومين برسم مضاعف . وبالمناسبة كانت بالحديقة عدة دورات مياه عامة نظيفة لخدمة الجمهور . وفى العصر الذهبى لمنطقة الأزبكية أنشىء فندق الكونتنتال عام ١٨٩٩ ومازال هذا الفندق الذى شهد أحداثا سياسية وأدبية عظيمة قائمًا حتى الآن رغم محاولات هدمه الحالية !!

** ونتصور تخطيط المنطقة : فها هو شارع ابراهيم باشا الذى يوصل بين قصر الحكم فى عابدين إلى محطة السكة الحديد يتوسطه بالضبط تمثال البطل ابراهيم باشا . ويخرج منه شارع الألفى بك . وشارع فؤاد ثم شارع عدلى فشارع قصر النيل فشارع الساحة ـ رشدى ـ إلى أن يصل إلى عابدين .

** وخلف هذه المنطقة نجد ميدان العتبة الخضراء الذى حمل اسم الملكة فريدة عندما تزوجها الملك فاروق . كما أطلق اسمها على شارع عبد الخالق ثروت وامتداده من ميدان الأوبرا إلى العتبة . وبعد طلاق فريدة أعيد الميدان إلى اسمه القديم : العتبة الخضراء !!

وفى هذه المنطقة مازالت هناك رائحة من تاريخ . ففيها مبانى البوسطة العمومية ومبنى صندوق الدين الذى احتلته لفترة مديرية الشئون الصحية بالقاهرة .

وخلف دار الأوبرا كانت تقع «قهوة متاتيا» التى كان يلتقى فيها أدباء وساسة مصر. والتى يحاولون ـ على مدى أربع سنوات هدمها دون طائل ـ وبعد حريق الأوبرا عام ١٩٧١ تحول الموقع من أوبرا للفن الرفيع إلى جراج متعدد الأدوار !! تصوروا !! وتحولت

دار التمثيل الخديوية إلى مسرح الأزبكية : أو المسرح القومى . وأزيل سور الازبكية بما عليه من كنوز ونفائس الكتب لتحتل الموقع البوتيكات وأجهزة الترانزستور !!

وفى ميدان العتبة نجد عمارات فخمة تدل على رائحة التاريخ ويكاد يكون الميدان مربعًا تحيط به تلك العمائر التى تجاوز عمرها المائة عام ومازالت صامدة . ومنه تخرج شوارع : الجيش - الأمير فاروق سابقا - والموسكى والأزهر وعبد العزيز الذى كان سلطانًا لتركيا وخليفة للمسلمين وشارع البيدق . . ثم الرويعى والعشماوى وتحت الربع . وهذه كلها شوارع لها تاريخ سوف نعود إليها نروى حكايتها خصوصًا لو عرفنا أن فى هذه المواقع كانت مدافن ومقابر لأبناء القاهرة .

ولكننا لا ننسى قصر محمد بك الألفى . . المملوك الذى دفع فيه ألف دينار لشرائه !!

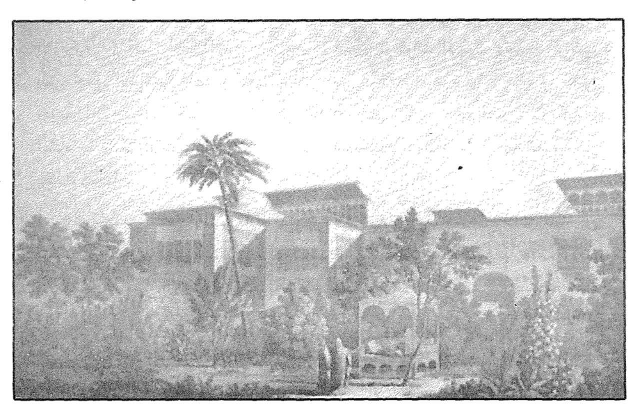
المملوك الذى طمع فى حكم مصر !

وإذا ذكرت الأزبكية لابد أن يذكر محمد بك الألفى . فإذا كان هناك حول بركة الازبكية ٢٠ قصرًا فخمًا للأمراء . . وحولها قصور البكوات المماليك وتسبح المراكب التى تحمل الفوانيس المضيئة فوق أشرعتها على البركة فإن عام ١٧٩٨ يحمل معنى جديدًا للأزبكية . . ففى يوم ٢٧ فبراير ١٧٩٨ انتهى إنشاء أفخم قصور الأزبكية . أنشأه محمد بك الألفى كبير المماليك وجعله تحفة معمارية رائعة على الجهة الغربية من بركة الأزبكية .

** ومحمد الألفى جُلب مملوكًا عام ١٧٧٥ اشتراه أحمد جاويش الذى باعه إلى سليم أغا الغزاوى الذى أهداه إلى مراد بك شيخ البلد . فرد مراد بك الهدية بألف أردب من الغلال . وقيل إن هذا سر تسميته بالألفى كما قيل إن السبب أنه اشتراه بمبلغ ألف دينار !!

المهم أن مراد بك أعتق محمد الألفى وقلده الصنجقية أى الإمارة ١٧٧٨ ، واشتهر بالعنف والفجور فهابه الناس ، ولذلك أحبه مراد بك ! فقد اشترى المماليك وكون ثروة طائلة وتعددت مساكنه منها داره فى جهة الشيخ ظلام وأنشأ هناك حمامًا عرف باسمه فى

قصر محمد بك الألفى بالأزبكية الذى اتخذه نابليون بونابرت مقراً لقيادة الجيش الفرنسى



حديقة قصر الألفى بك من الداخل حيث قتل الجنرال كليبر .

حى الحلمية الجديدة شرقى بركة الفيل وفى نهايته حارة باسم : حارة الألفى .

** ثم سكن دار أحمد جاويش ـ أستاذه الأصلى ـ فى درب سعادة وبنى قصرًا على النيل فى الفسطاط مقابل مقياس الروضة . وأنشأ قصرًا بالعباسية بين باب النصر والدمرداش . ولكن قصره بالأزبكية كان أفخمها . إذ اشترى قصر أحمد شويكار قرب قنطرة الدكة وهدمه وأنشأ مكانه قصرًا فخمًا وزينه بالبللور مع فسقية من الرخام ونافورات بديعة .

واحتفل الألفى بسكنى هذا القصر فى فبراير ١٧٩٨ ، ومكث فيه ١٦ يومًا فقط وسافر إلى الشرقية لعدة شهور لمتابعة أعماله لأنه كان « كاشف الشرقية » وفى هذه الفترة دخل الفرنسيون القاهرة فى يوليو فاحتلوا القصر واتخذه بونابرت سكنًا له ومقرًا لقيادة الحملة الفرنسية . وأبلى الألفى بلاءً حسنا فى معركة انبابه ، ولم يستسلم بعد الهزيمة وظل يحاربهم وعمل مع العثمانيين ثم مع الانجليز . وبسبب حذره الشديد لم يكن ينام فى دار واحدة أكثر من ليلتين . وكانت قواته تمثل نصف قوات المماليك مجتمعة إذ كان يتملك أكثر من « ١٠٠٠ مملوك » وربما لهذا السبب أيضًا كان اسمه !!

** وحارب الألفى العثمانيين فى البحيرة وهزمهم وكان خسرو باشا الوالى العثمانى يسكن قصر الألفى هذا . واتصل الألفى بالانجليز وسافر معهم لمدة سنة وبضعة أيام وعاد لمصر ١٨٠٤ ليناوىء محمد على على حكم مصر ، ولكن محمد على اتفق مع عثمان بك البرديسى ليعمل ضد الألفى الذى نجا من محاولة اغتيال , وحاول مهادنة محمد على بعد تعيينه واليًا على مصر فى مايو ١٨٠٥ رغم أنه هزم قوات محمد على مرات عديدة . وأرسل الألفى يطلب مساعدة الإنجليز الذين وعدوه بإرسال قوة من ٦٠٠٠ جندى لمساعدته فى تولى حكم مصر . وانتظر الألفى وصول القوات الإنجليزية ثم زحف على الجيزة ولكنه أصيب بالمرض وكان يتقيأ دمًا وهنا قال الألفى « قضى الأمر . . وخلصت مصر لمحمد على ، وما أظن أن تقوم للمماليك راية بعد اليوم » . . ومات الألفى ليلة ٢٨ يناير ١٨٠٧ وتفرقت قواته كما تفرقت قوات البرديسى . وعندما وصلت القوات الانجليزية بقيادة فريزر ١٨٠٧ كان الألفى قد مات وفشلت الحملة بعد هزيمتها فى رشيد .

** ومات الألفى وعمره ٥٥ عامًا . أما قصره الذى استمر مقرًا لقيادة الحملة الفرنسية فقد تسلق الشاب السورى سليمان الحلبى أسواره ليقتل كليبير خليفة بونابرت . ثم تحول القصر إلى مقر للضيافة ثم إلى فندق كبير هو فندق شبرد الذى احترق عن كامله فى حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . وكان القصر يشغل مساحة هائلة من شارع نجيب الريحانى إلى شارع الألفى طولاً ، ويمتد إلى شارع عماد الدين . وتشغل هذه المساحة الآن عدة عمارات فخمة ومازالت مساحة منه عبارة عن أرض فضاء .

** وانتهى تاريخ محمد بك الألفى ولكن القاهرة خلدت ذكراه على أساس أنه أحد الذين عمروا منطقة الأزبكية ، فأطلقت اسمه على الشارع الممتد من تقاطع شارع إبراهيم باشا « الجمهورية الآن » إلى تقاطعه مع ميدان التوفيقية ـ أحمد عرابى الآن .

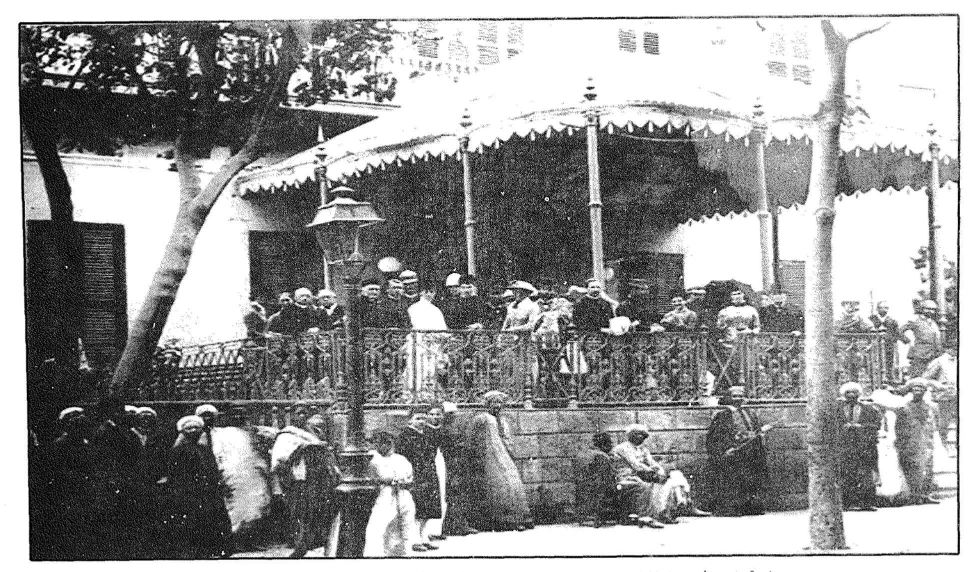
وذهب الألفى الجسد . . وظل الاسم على لافتة زرقاء تقول للناس هنا : شارع محمد بك الألفى ! !

الشيخ .. عماد الدين

وما دمنا فى منطقة الأزبكية كيف ننسى شارع عماد الدين ؟! الذى يمتد من شارع رمسيس ـ قرب ميدان باب الحديد ـ إلى ما بعد شارع الناصرية بقليل . . ولكن بلدية القاهرة قسمت هذا الشارع الذى كان طوله يصل إلى ٢٥٠٠ متر إلى قسمين . الجنوبى منه يبدأ من الناصرية ويحمل اسم محمد بك فريد ـ خليفة مصطفى كامل باشا فى زعامة الحزب الوطنى القديم ـ ويصل إلى تقاطعه مع شارع فؤاد « ٢٦ يوليو » أى يبدأ غير بعيد من قصر عابدين ويمر بمنطقة البنوك ويدخل فى القلب التجارى للقاهرة .

أما القسم الشمالى فقد احتفظ باسم : عماد الدين وهو يبدأ من تقاطع شارع فؤاد ويصب فى شارع رمسيس . فمن هو عماد الدين هذا ؟!

** هو الشيخ عماد الدين صاحب الضريح الموجود بالقرب من تقاطع الشارع مع شارع الشيخ ريحان ولا نعرف تاريخ إنشاء هذا الضريح ولا شيئًا عن الشيخ ، ولكن عليه كتابة تسجل تاريخ ١٦٦١ ميلادية أى فترة الحكم العثمانى لمصر . والغريب أن



فندق شبرد القديم كما كان يبدو عام ١٨٨٠ وقد احترق الفندق فى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ وكان جزءاً من قصر محمد بك الألفى

الضريح يقع الآن فى الجزء الذى يحمل اسم محمد فريد . . ولا يقع فى الجزء الذى يحمل اسم : عماد الدين !!

* وفى بداية القرن العشرين كان النشاط الفنى كله يتركز حول منطقة الأزبكية حيث أنشىء « التياترو » جنوب الأزبكية . وحتى سنوات قريبة . كان هناك شارع يحمل اسم : شارع التياترو الذى كان يجاور سور الأزبكية الشهير . وانتشرت المسارح ودور الغناء والطرب والمقاهى والبارات فى شارع عماد الدين وفى مقدمتها مسرح الماجستيك الذى كان يمثل عليه بربرى مصر الوحيد على الكسار ، ومسرح الريحانى . وبدأت دور السينما تزحف على الشارع حتى وجدنا طلعت حرب باشا ينشىء داراً فخمة للسينما هى سينما استديو مصر . . وكانت تصطف على الجانبين ومازال العديد من دور السينما والمسرح . واحتل شارع عماد الدين مكانة الأزبكية كمقر لدور المسرح واللهو والطرب ، ولم يبق فى منطقة الأزبكية حتى سنوات قريبة إلا ملهى صفية حلمى الذى احترق ضمن حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ ثم أعيد تجهيزه ولكنه تحول إلى مسرح فى جزء منه وانتهى عصر ملهى صفية حلمى من سنوات قليلة .

** وبسبب الشهرة الفنية لشارعْ عماد الدين وجدنا حول المنطقة أسماء الفنانين الكبار الذين ارتبطوا بالفن وبالشارع . إذ وجدنا شارع نجيب الريحانى بدلاً من شارع وجه البركة . وشارع سيد درويش خلف مسرح الريحانى . وشارع زكريا أحمد تمامًا كما وجدنا محافظة القاهرة قد أطلقت اسم على الكسار على شارع الجنينة على بعد أمتار من شارع منافسه فى المسرح والسينما نجيب الريحانى .

** وفى شارع عماد الدين نجد اهتمام الخديو عباس حلمى الثانى ـ آخر خديو لمصر والذى عزلته بريطانيا عام ١٩١٤ ـ وقد أنشأ الخديو عباس هذا عمارات الخديو، وهى من أفخم عمارات القاهرة ، وأقيمت على الطراز المعمارى الإيطالى ، واستخدم الرخام فيها فى الأعمدة والسلالم . . وبعد عزل الخديو عباس بفترة آلت عمارات الخديوية هذه إلى أجنبى اسمه سيتون ثم تم تأميمها فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات لتصبح مقرًا للعديد من الشركات المصرية .



الخديو عباس حلمى الثانى ترك بصمات معمارية هامة منها عمارات الخديوية
أشهر عمارات شارع عماد الدين .

** وعلى جانبى الشارع كانت هناك العديد من دور السينما الصيفية التى كانت مملوكة للأجانب ، تم هدم العديد منها فى فترة انحسار السينما فى الستينات ، ومازال الجزء الآخر صامدًا يدافع عن وجوده أمام عصر الانفتاح . . أما الحسنة الوحيدة فهى إغلاق البارات التى كانت موجودة بالشارع . . ومازالت فيه الآن عدد من المقاهى الشهيرة التى يرتادها هواة الطاولة والدومينو والشطرنج . . مع الشيشة وأغانى أم كلثوم . .

** تلك هى حكاية شيخ وشارع اسمه عماد الدين ! !

الموسكى .. وحكاية جملين محملين بالتبن :

هو شارع بدأ شقه وتعميره على مراحل عديدة ، على مدى عمر خمسة من حكام مصر من أسرة محمد على هم : محمد على الكبير نفسه . وعباس الأول وتوقف فى عصر سعيد باشا ولكن جاء الخديو إسماعيل ليستأنف العمل فيه . . ثم استكمل فى عهد ابنه الخديو توفيق . . ذلك شارع الموسيكى والسكة الجديدة . . وجوهر القائد .

وكان الهدف من شقه هو توفير منطقة تجارية فى قلب القاهرة المعزية الفاطمية حيث الغورية والسيوفية والخيامية ، وعند أعتاب الأزهر الشريف ومرقد الإمام الحسين . . والحمزاوى . .

وشارع الموسكى أوله يقع فى آخر شارع السكة الجديدة من عند قنطرة الموسكى بجوار القرة قول ـ أى قسم الشرطة ـ وآخره عند العتبة الخضراء .

** وشارع الموسكى ينسب إلى الأمير عز الدين موسك أحد أقرباء السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وهو الذى أنشأ قنطرة الموسكى . وكان رجلاً خيرًا يحفظ القرآن ويواظب على تلاوته ويحب أهل العلم والعلماء .

أما شارع السكة الجديدة فيبدأ من جهة تُرب الغريب وينتهى أول شارع الموسكى تجاه المفارق الأربعة ، وهو الآن شارع جوهر القائد . وبدأ فتح هذا الشارع أيام محمد على باشا الكبير عام ١٢٦٢ هـ ـ ١٨٤٦م ولهذه حكاية : فقد بدأ شارع السكة الجديدة

شارع الموسكي كما يبدو حالياً كأهم أسواق القاهرة الشعبية

كمشروع فرنسى خلال الاحتلال ليفتح المرور أمام التجارة الأوربية إذ زاد نطاق التجارة من ناحية الموسكى والأزبكية وسكن فيها كثير من التجار الأجانب وبالذات فى « حارة الفرنج » وكان أغلبهم من اليهود وكثر عدد العربات وتعسر السير فى الأزقة والحوارى وتكررت شكاوى التجار من تعطل حركة التجارة ، فأصدر محمد على قراراً بشراء الأملاك التى تعترض الشارع وتولى « قلم الهندسة » تخطيط الشارع المقترح وبدأ شق الطريق إلى تقاطعه مع قنطرة الموسكى على الخليج . وتم فتح الشارع عام ١٨٤٩م .

** وفى أيام عباس الأول ـ ثالث الولاة من أسرة محمد على ـ تم مد الشارع إلى شارع النحاسين « المعز لدين الله » وفى عهد الخديو إسماعيل تم مده إلى جهة الغريب قرب الترب . وبالمناسبة كانت هناك عدة ترب أى مقابر وسط القاهرة : فى الرويعى . والجامع الأحمر خلف شارع كلوت بك وترب المناصرة . وفى عهد الخديو توفيق تم استكمال الشارع بإنشاء أرصفة على جانبيه من الحجر . أما أرض الشارع فتم دكها بالمكدام .

ويروى على باشا مبارك فى خططه التوفيقية حكاية شق هذا الشارع أيام محمد على باشا ، فقد استفتى العلماء فى فتحه وكيفية عرضه فأفتوه بأن يجعل عرضه يسمح بمرور جملين محملين بالتبن دون مشقة فى مرورهما . وعلى ذلك تقرر أن يكون عرض الشارع ٨ أمتار . وكان هذا العرض كافيًا وقتها . وعلق على مبارك على هذا العرض فقال إنه غير كاف ـ أيام الخديو توفيق فماذا نقول الآن والشارع بنفس العرض الذى أنشىء عليه منذ حوالى ١٥٠ عامًا ؟! بل ماذا يقول على باشا مبارك أول وزير للأشغال فى مصر عندما يرى الشارع الآن وكيف يعجز المشاة أنفسهم عن السير فيه ؟ . . مما دفع محافظة القاهرة إلى منع سير السيارات فيه بسبب ضيقه !!

** وقد سهل فتح هذا الطريق حركة التجارة وسط القاهرة الفاطمية . . والغريب أن هذا الشارع كان أول شارع بالعرض فى القاهرة كلها . إذ أن شوارع القاهرة كانت شوارع طولية بحكم أن المدينة مدينة طولية بامتدادها مع نهر النيل واشهر الشوارع الطولية هو شارع المعز لدين الله من باب زويلة فى الجنوب إلى باب الفتوح شمالاً .

** وللحقيقة كان لمحمد على باشا فضل كبير فى تغيير ملامح شوارع القاهرة ، فقد أزال الأبواب التى كانت منتشرة فيها على الحارات ، كما فتح طريقًا يربط القاهرة ببولاق التى كانت شبه مدينة منفصلة وأزال المقابر التى كانت فى قلب القاهرة وزرع الأشجار على جانبى بعض الطرق وجفف جزءًا من بركة الأزبكية . وأمر بتنظيم وتنظيف شوارع المدينة وكنس ورش و إنارة الشوارع وأمر بهدم المساكن الآيلة للسقوط . وكنس الأسواق وأمر بتعليق قناديل على أبواب المبانى . وأزال الأنقاض التى كانت تحيط بالقاهرة وكانت تحمل لها السموم عند هبوب أى عاصفة ، واستخدم ترابها فى ردم البرك التى كانت منتشرة فى القاهرة عام ١٨٢٧ . كما أزال تل العقارب الملاصق للنيل عند قصر العينى ، وكذلك التلال الواقعة بين حى الناصرية وجاردن سيتى ، وزرع فيها أشجار الزيتون . . وتلك التى كانت تسد الطريق إلى شبرا بجوار قنطرة الليمون ـ كوبرى الليمون حاليًا ـ وحولها إلى حديقة كبيرة عام ١٨٣١ .

** وأزال محمد على المصاطب التى كانت موجودة أمام الدكاكين وكانت تعوق السير فى الشوارع وتقلل من عرضها . وأزال الحصر التى تظلل الأسواق وغيرها بأسقف من خشب , , وأمر الأهالى بطلاء المنازل باللون الأبيض لتبدو الشوارع أكثر بهاءً ! !

القلعة والأزهر والجيش .. خليط يخرج من العتبة الخضراء :

بعد شارع الموسكى والسكة الجديدة يأتى الحديث إلى شارع الأزهر الذى بدأ التفكير فيه فعلاً فى عصر محمد على أيضًا . بل بدأ تنفيذه فى نفس عام إنشاء شارع الموسكى أى عام ١٨٤٥م و إن كان أكثر طموحًا من الموسكى والسكة الجديدة . .

** ونبعت فكرة شارع الأزهر من الأزبكية أى يسير بانحراف من الأزبكية إلى القلعة . وبدأ تخطيطه بإزالة المدافن التى كانت تقع فى بدايته وشراء المنازل التى تقع فى طريقه . . بل كان شارع كلوت بك نفسه يعتبر امتدادًا لشارع محمد على أى تم التخطيط ليصبح طول هذا الشارع كيلو مترين ونصف الكيلو . واستلزم شقه هدم ٧٠٠ منزل وعددا كبيرا من المبانى مثل جامع قوصون .

**وعندما بدأ تنفيذ فتح شارع الأزهر تم إزالة جامع أزبك وحمامه الذى كان



موقع محطة كوبرى الليمون ، وكانت فى مكان قنطرة الليمون التى كانت تطل على نهر النيل عندما كان يصل إلى ميدان باب الحديد الحالى .

معروفًا بحمام العتبة الخضراء . وتم جمع بقايا عظام الموتى الذين كانوا يدفنون فى مقبرة أو تربة الأزبكية ووضعت فى صهريج فى أول شارع العشماوى وبنى عليه الجامع المعروف باسم جامع العظام .

** وشارع الأزهر أعرض الشوارع التى تخرج من ميدان العتبة . وهى شوارع القلعة « محمد على » وشارع الموسكى وشارع الجيش « الأمير فاروق سابقًا » وشارع عبد العزيز. .

وإذا كان الخديو إسماعيل هو الذى أكمل شارع الأزهر والذى أمر بإنارته بالغاز وتنظيفه ثلاث مرات يوميًا ، وتحفه أرصفة مظللة بالأشجار أو مغطاة بالعقود ، فإن الخديو إسماعيل هو الذى أمر بشق شارع جديد على يمينه هو شارع عبد العزيز . . وقد أمر إسماعيل بشق هذا الشارع تيمنًا بزيارة السلطان العثمانى عبد العزيز لمصر فى مارس ١٨٦٣ .

وهذا الشارع يصل من العتبة إلى قصر عابدين وفتح للمشاه عام ١٨٧٠م .

** أما شارع القلعة « محمد على » فقد بدأ التفكير فى شقه أيضًا أيام محمد على باشا عام ١٨٤٦ ، ولكن تم فى عهد الخديو إسماعيل عام ١٨٧٤ ليبدأ من جهة العتبة الخضراء ويصل إلى جامع السلطان حسن . وتولى شقه وتجهيزه ديوان الأشغال الذى كان يشرف عليه على باشا مبارك . وتم شراء المبانى التى كانت تعترض هذا المشروع الحيوى وكذلك المحال التجارية وبالذات فى جهة المناصرة وباب الخلق والداودية ، وأيضًا الأرض التى أعيد عليها بناء قنطرة باب الخلق على الخليج ، وتكلف شق هذا الشارع وتعويض أصحاب المبانى حوله حوالى ٧٨٦٤٥ جنيها و ٤٤٨ مليما كما جاء فى كتاب « تقويم النيل » تأليف أمين سامى باشا .

ومازالت هناك مواقع مرتفعة حول الشارع يصعد الناس إليها بسلالم خصوصًا عند بدايته من ناحية ميدان العتبة الخضراء .

ويتميز شارع القلعة بطراز خاص لمبانيه إذ تم بناء هذه العقارات على جانبى الشارع بحيث تعلوها البواكى التى تظلل الرصيف من الجانبين لتوفير مظلة للتجار والمترددين

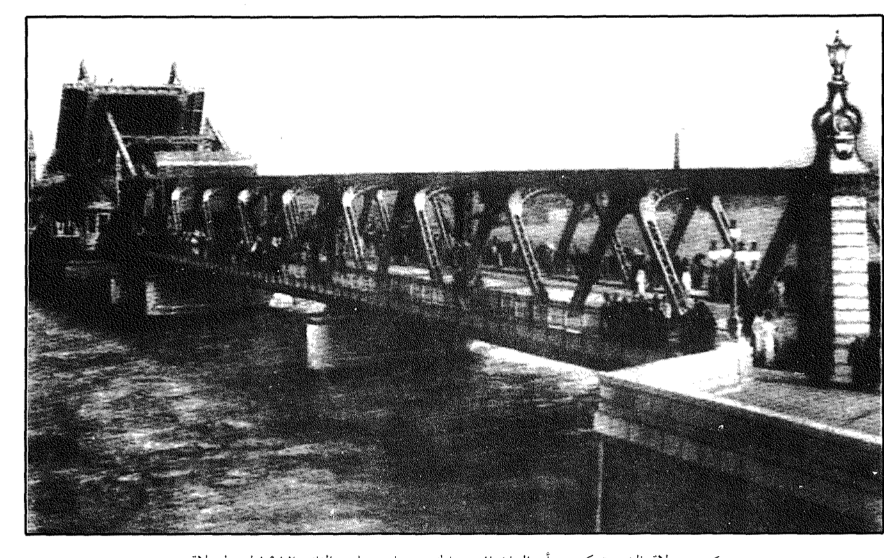
لحمايتهم من أشعة الشمس ومن مياه الأمطار . وهذا الطراز من المبانى مازال موجودا فى أجزاء عديدة فى الأحياء القديمة فى باريس . وعند التقاء شارع القلعة بميدان باب الخلق على الخليج ، كانت هناك قنطرة أعاد الخديو بناءها بالكامل وأقام أمامها أول دار للكتب هى « الكتبخانة » التى مازالت قائمة فى موقعها وبجوارها المتحف الإسلامى أمام مديرية أمن القاهرة الآن . .

** أما شارع الجيش فقد أنشأه عثمان باشا محرم وزير الأشغال عام ١٩٢٦ ليبدأ من ميدان العتبة حتى يصل إلى ميدان باب الشعرية . وأطلق عليه اسم : الأمير فاروق الذى كان وليًا للعهد وانتهى رصفه بعد أربع سنوات ، وافتتح للمرور عام ١٩٣٠ ليصل إلى منطقة الحسينية وميدان عبده باشا فى العباسية . وبعد يوليو ١٩٥٢ ومع موجة تغيير أسماء الشوارع تم إطلاق اسم الجيش على شارع الأمير فاروق الذى كان شارعا قديما ضيقا فى موقعه قبل أن يفتحه عثمان محرم يطلق عليه : حارة العسيلى . . وسبحان مغير الأحوال !!



الباب الخامس

بين الزمالك والصراع على حكم مصر



كوبرى بولاق الشهير« بكوبرى أبو العلا» افتتحه الخديو عباس حلمى الثانى ١٩١٢ ليربط بولاق بجزيرة الزمالك

الزمالك .. من جزيرة للمجون إلى قصور للأثرياء

كانت الأزبكية هى منطقة السكن المفضلة للأمراء وبكوات المماليك على مدى ٦٠٠ عام حتى الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ . واستمرت كذلك فى بدايات عصر محمد على الذى أنشأ لابنته زينب فيها قصرًا عرف باسم قصر الأزبكية . .

وإذا كانت جاردن سيتى قد أصبحت مقراً للباشاوات والبكوات بحكم قربها من مقر الحكم فى عابدين وحى الوزارات والسفارات ، فإن الزمالك أصبحت هى الحى المفضل للبرجوازية المصرية مع بدايات القرن العشرين .

وبلاشك كان للخديو إسماعيل فضل تحول هؤلاء للإقامة فى جزيرة الزمالك بعد أن أنشأ فيها قصر الجزيرة الذى شهد احتفالات فتح قناة السويس فى نوفمبر ١٨٦٩ وهو القصر الذى اشترته أسرة « لطف الله » وأصبح فندقًا باسم « عمر الخيام » ثم أصبح قلب واحد من أكبر فنادق القاهرة هو فندق ماريوت .

** وساعد على سرعة تعمير الزمالك والإقامة فيها ربطها بعدد من الكبارى فى عهد الخديو إسماعيل أيضًا مثل كوبرى قصر النيل القديم « ١٨٦٩ » وكوبرى الجلاء «١٨٧٢» . وزادت عملية تعمير جزيرة الزمالك بإنشاء كوبرى بولاق ـ أبو العلاـ عام ١٩١٢ فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى . وكوبرى الزمالك امتدادًا له وفتح للمرور مع كوبرى بولاق ـ أبو العلا ـ فى نفس العام أى ١٩١٢ . وكان قد بدىء فى إنشائهما عام ١٩٠٨ وتكلف كوبرى بولاق ٣٠٠ الف جنيه بينما تكلف بناء كوبرى الزمالك ٧٥ ألف جنيه فقط . .

وكانت الزمالك قبل عصر إسماعيل مجرد مكان يلجأ إليه الشباب لقضاء أوقات

طيبة لطيب هوائها . وهى التى بدأت كمكان لإقامة أخصاص من البوص للهو والغناء والطرب . . إلى أن جاء الخديو اسماعيل فأقام فيها واحدًا من أكبر قصوره هو قصر الجزيرة . أو سراى الجزيرة التى أقامها على ٦٠ فدانًا وتكلفت ٨٩٨٦٩١ جنيهًا وأتى بالمهندسين من فرنسا وايطاليا لإنشائه وتزيين حدائقه . . وفيه أقامت الامبراطورة أوجينى امبراطورة فرنسا خلال حضورها احتفالات فتح قناة السويس . وبعد أن كانت جزيرة الروضة هى مصيف القاهرة من أيام الأمويين ثم الأيوبيين . . أصبحت الجيزة هى مصيف القاهرة فى نهاية القرن ١٨ عندما اختارها إبراهيم بك شيخ البلد عام ١٧٩١ مصيفًا له ولحاشيته .

** ولم تصبح الزمالك جزيرة بالمعنى الصحيح إلا فى الربع الأخير من القرن ١٩ . إذ حتى عام ١٨٧٣ لم يكن الفرع الغربى للنيل موجودًا على الدوام . بل كان يمتلىء أثناء الفيضان ثم يغطى بالطمى ويجف ولذلك سمى البحر الأعمى . فالبحر إذا نفد منه الماء كان كالعين إذا فقدت الإبصار . ثم حفر بعد ذلك وأقيم عليه كوبرى البحر الأعمى عام ١٨٧٧ . ثم أنشىء الكوبرى الحالى عام ١٩١٤ ليكمل محور كوبرى قصر النيل .

والزمالك كلمة أعجمية معناها الأخصاص وهى بيوت من الغاب والبرسيم وظهرت أول ما ظهرت عام ١٣٧٢ م جزيرة شمال جزيرة أروى عرفت بجزيرة حليمة ، وسميت بالجزيرة الوسطى ـ وهو اسم مازال موجودًا على أحد الشوارع بالزمالك حتى الآن ـ وأقبل الناس على سكناها بعد أن بنوا الأخصاص وتألقوا فيها وزرعوا حولها الزهور والبطيخ والشمام والقثاء . وأقبل عليها أرباب الخلاعة والفجور . ولما زادت تلك الأعمال أمر السلطان الكامل شعبان بن قلاوون بحرق هذه الأخصاص .

** واتصلت الجزيرتان : أروى وحليمة وأصبحتا جزيرة واحدة أطلق عليها الفرنسيون عند دخولهم مصر اسم جزيرة بولاق أو جزيرة القرطية . وهى ما نعرفه الآن باسم جزيرة الزمالك . وفى عصر إسماعيل عندما أقام سراى الجزيرة ـ لطف الله الآن ـ أقام معسكرًا لجنود الحراسة على شكل خيام من طراز الزملك . . أى أن كل أرض

الزمالك قبل حفر البحر الأعمى كانت أرضًا متصلة بالعجوزة وامبابه كما جاء فى تقويم النيل لمؤلفه أمين باشا سامى .

** وانتعشت جزيرة الزمالك بعد ذلك بإنشاء عدد من الحدائق : الأندلس . الزهرية . الحرية . وأقيم أمام كوبرى قصر النيل المعرض الصناعى الزراعى لأول مرة عام ١٩٣٨ . فزاد من تعمير الجزيرة وأقامت فيها وزارة المعارف أول حمام مغطى للسباحة . . مع إنشاء النادى الأهلى . وقد أقام الملك فاروق استراحة له عند رأس الجزيرة الجنوبى هى استراحة فاروق التى أصبحت مقرًا لمجلس قيادة الثورة ثم جاء بناء برج القاهرة ليصبح أكبر مَعْلَمٍ من معالم جزيرة الزمالك !!

الزمالك .. بين « أبو العلا » وسراى الخديو

* وفى عام ١٩١٤ رئى أن الكوبرى الأعمى القديم لم يعد قادرًا على القيام بدوره فتم إنشاء كوبرى جديد عرضه ١٩ مترًا منها سبعة أمتار هى عرض الرصيفين وطوله ١٤٥ مترًا . . ولقد حمل الكوبرى الجديد اسم كوبرى الجلاء . . ولكن شعب مصر وسخرية من الانجليز أطلقوا على الكوبرى اسم أشهر راقصة فى تاريخ مصر وقتها وهى بديعة مصابنى اللبنانية الأصل . إذ كانت تملك أكبر ملهى ليلى فى القاهرة وقتها ومحله الآن موقع فندق شيراتون القاهرة أمام الكوبرى مباشرة ، وهى الراقصة التى هربت إلى موطنها لبنان بعد أن هرّبت أموالها بدون علم الحكومة . . وظل الكوبرى يحمل اسم كوبرى بديعة جماهيريًا حتى تم جلاء الانجليز عن القاهرة والدلتا عام ١٩٤٧ أى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حيث تغير الاسم إلى كوبرى الجلاء . .

** وكجزء من التاريخ النضالى المصرى على هذا المحور المرورى الهام - كوبرى قصر النيل وكوبرى الجلاء - تم وضع تمثال سعد باشا زغلول عند البر الغربى للنيل - أى فى الجزيرة أمام الكوبرى الأول وأمام أرض المعرض الصناعى والتجارى المصرى - أرض المعارض ، ثم موقع دار الاوبرا الجديدة وهو أحد تمثالى سعد زغلول اللذين أقامهما مثال مصر العظيم محمود مختار ، وأقام التمثال الآخر فى ميدان سعد زغلول فى محطة الرمل بالاسكندرية .

أما التمثال الآخر الموجود قبيل كوبرى الجلاء من ناحية المعارض . فهو تمثال أحمد ماهر باشا ، وهو أحد أبطال ثورة ١٩١٩ والذى أصبح رئيسًا لوزراء مصر واغتاله بالرصاص المحامى محمود العيسوى فى فبراير ١٩٤٥ فى البهو الفرعونى بمجلس النواب وقتها ـ مجلس الشعب الحالى . .

** وأمام كوبرى « أبو العلا » الحالى ـ فى جزيرة الزمالك ـ أنشأ الخديو اسماعيل سراى الجزيرة على مساحة ٦٠ فدانًا وأقامت فيه الامبراطورة أوجينى عندما زارت مصر لحضور فتح القناة للملاحة العالمية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ .

وفى هذا القصر أقيمت أفراح الأنجال وشهدت سراى الجزيرة حضور ٥٠٠٠ شخص لأفراح الأنجال .

** ثم اشترت عائلة لطف الله هذه السراى العظيمة حتى تم فرض الحراسة عليها خلال الستينيات . . وتلقفه الدكتور محمد عبد القادر حاتم عندما كان مسئولاً عن الإعلام والسياحة فحول هذه السراى إلى فندق يحمل اسم « عمر الخيام » وأصبح هذا القصر هو قلب فندق ماريوت الحالى ، أى يتوسط البرجين الفندقين الحاليين . ومازال هذا القلب شاهدًا على عظمة هذا القصر الكبير . ولقد نجح ورثة لطف الله فى الحصول على حكم باستعادة القصر لتنشأ مشكلة قانونية عويصة !! وينجح سعد فخرى عبد النور محامى الأسرة فى الحصول على ٣٠ مليون جنيه تعويضًا عن مصادرة القصر . .

محمد مظهر .. بين فنار الاسكندرية والقناطر الخيرية

هو واحد من أشهر شوارع الزمالك ـ حى السفارات والسفراء والأعيان ـ ويبدأ ـ تقريبًا ـ من تقاطع شارع ٢٦ يوليو وينتهى عند رأس جزيرة الزمالك أى الجزء الشمالى . وصاحبه مهندس مصرى فذ ، درس فى مصر واختاره محمد على باشا ليكون ضمن أول البعثات الدراسية التى أرسلها إلى فرنسا عام ١٨٢٦ ليدرس الهندسة البحرية . بعد أن درس بمدرسة رأس التين وعاش فى فرنسا عشر سنوات يدرس ويتعلم . وكان عدد أعضاء هذه البعثة الكبرى ٤٤ طالبًا برئاسة مسيو جومار وهى البعثة التى كان رفاعة رافع الطهطاوى إمامًا لها . .



المهندس محمد مظهر عندما كان يدرس فى فرنسا

القناطر الخيرية خلال إشراف محمد بك مظهر على بنائها .

** وفى باريس تتلمذ على يد فيلسوف فرنسا الكبير جوزيف كونت ، ودرس الرياضيات والهندسة البحرية وسنه لم يزل ١٧ عامًا . وعندما أنهى دراسته فى فرنسا قدموه إلى جون استيوارت ميل كواحد من أنبغ الناجحين ، إذ جاء ترتيبه السابع بين ٦٠ فرنسيًا . . ذلك هو محمد مظهر باشا . .

** وعند عودته إلى مصر عينه محمد على ناظرًا لمدرسة المدفعية « الطوبجية » فى طره ومنحه رتبة البكباشى . . ثم عهد محمد على إليه ببناء فنار الاسكندرية الكبير القائم بطرف شبه جزيرة رأس التين ، وهو من أجلِّ أعماله . .

وفى عام ١٨٤٤ شارك المهندس محمد مظهر فى إنشاء حوض لترميم السفن .

** ولكن عمله الكبير كان المشاركة فى إنشاء القناطر الخيرية التى كانت معجزة هندسية عالمية فى وقتها ، إذ عمل مساعدًا للمهندس الكبير موجيل بك هو ومصطفى بهجت . وتخصص مظهر بالإشراف على إنشاء قناطر فرع رشيد .

وبسبب عبقريته أنعم عليه محمد على برتبة أميرالاى . وعندما ظهرت ضرورة تدعيم هذه القناطر أرسله إسماعيل باشا إلى فرنسا للتشاور مع مهندس القناطر موجيل بك لوضع برنامج صيانة وإصلاح عيون هذه القناطر وكان مظهر يرسل إلى مصطفى بهجت تفاصيل كيفية إصلاح هذه القناطر وبعد أن أثبت نجاحًا كبيرًا أنعم عليه الخديو إسماعيل برتبة الميرميران وبالتالى الباشوية .

** كتب عنه الدكتور كلوت بك « منشىء أول مدرسة للطب فى مصر » يقول «مظهر أفندى لنا الحق أن نفخر به . وهو المهندس المصرى الذى تلقى العلم فى فرنسا ويوجب مدحه والثناء عليه . . » ورغم أنه كان أحد ثلاثة درسوا الهندسة البحرية فى فرنسا إلا أن أحدًا لم يعرف مصير المهندسين الآخرين وهما سليمان افندى البحيرى وعلى أفندى .

أما زميله فى البعثة الأولى الكبرى ـ مصطفى بهجت ـ فقد تلقى علومه بمدرسة قصر العينى وكانت تعد للدراسة بالمدارس الحربية والعالية . والتحق بمدرسة المهندسخانة فى القلعة ، وسافر إلى فرنسا ضمن البعثة الأولى وعاش هناك ١٠ سنوات

أيضًا أتقن خلالها العلوم الرياضية والفنون الهندسية . وعندما عاد إلى مصر عينه محمد على ناظرًا لمدرسة قصر العينى ، وتولى وضع مشروع لتسهيل الملاحة فى منطقة الشلالات. وبعد أن شارك فى بناء القناطر الخيرية ، عين مفتشًا لهندسة المنوفية والغربية وعهد إليه الوالى عباس باشا وضع تقييم لتجديد الجامع الأحمدى فى طنطا إلى أن تم بناؤه فى عهد إسماعيل . وأشرف على إنشاء السكة الحديد من بنها إلى كفر الزيات لينال رتبة اللواء . وهو الذى خطط لمشروع الترعة الإبراهيمية وعين ناظرًا للمعارف ١٨٧٠ .

** وعودة إلى شارع محمد باشا مظهر فنذكر أن به العديد من مقار السفارات وفى مقدمتها سفارات الجزائر والفاتيكان والعراق . . وقصر الأميرة سميحة كامل بنت السلطان حسين كامل . وهو القصر الذى تحول إلى مكتبة القاهرة الكبرى بعد أن تكلف التحويل حوالى ١٤ مليون جنيه وتم فيها تجميع كل ما كتب عن القاهرة منذ نشأتها الأولى ـ الفسطاط ـ والقطائع والعسكر ثم القاهرة الفاطمية وهى تجمع الآن الخرائط والوثائق الهامة ولما عجزت إدارة المكتبة عن العثور على أصولها تولت تصويرها لتتحول المكتبة إلى أول مكتبة متخصصة من نوعها فى مصر .

وهكذا سيظل محمد مظهر العلامة الذى ذهب إلى عاصمة النور علمًا على أهم شوارع الزمالك . . حيث مكتبة القاهرة الكبرى رمز التنوير .

مات وهو يلقى خطاب العرش !

صاحب هذا الشارع هو رئيس الوزراء المصرى الوحيد الذى توفى وفاة طبيعية وهو فى هذا المنصب . وثانى رئيس وزراء مصرى يلقى ربه وهو فى منصبه والثالث هو الدكتور فؤاد محيى الدين . .

بدأ حياته العملية محاميًا وتدرج فى المناصب القضائية إلى أن عين وزيرًا مفوضًا لمصر فى لندن عام ١٩٣٥ ثم بدأ مشوار حياته مع الوزارة عندما اختاره عبد الفتاح يحيى وزيرًا للمالية فى حكومته الأولى « ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ » استجابة لمطلب الملك فؤاد .



حسن صبرى باشا . . مات وهو يلقى خطاب العرش .

** فقد حاول الملك فرض حسن بك صبرى كوزير للمالية بحكومة إسماعيل صدقى . بسبب علاقة حسن صبرى بالقصر وولائه للملك . إلا أن إسماعيل صدقى رفض طلب الملك واعتبره تدخلاً فى مقاليد الحكم . فاستقال صدقى ليجيء عبد الفتاح يحيى باشا رئيسا للحكومة ويلبى طلب الملك . ويؤكد مقولة أن رغبة الملك هى العليا وهى التى تنفذ فى النهاية .

** ثم يعين حسن بك صبرى وزيرًا للمواصلات والتجارة والصناعة فى حكومة على ماهر باشا الأولى فى ٢٠ يناير ١٩٣٦ إلى ٩ مايو ١٩٣٦ وفى حكومة محمد محمود باشا الثانية من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ إلى ٢٧ ابريل ١٩٣٨ ، تم تعيين حسن صبرى وزيرًا للمواصلات بعد أن حصل على الباشوية ، وفى حكومته الثالثة اختاره محمد محمود وزيرًا للحربية والبحرية من ٢٧ أبريل ١٩٣٨ إلى ٢٤ يونية من نفس العام ، بعد أن اكتسبت هذه الوزارة أهمية خاصة عقب توقيع حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ وزيادة الاهتمام بالجيش وتسليحه ، فأصبحت الحربية لا تقل أهمية عن الداخلية والمالية . . واستمر وزيرًا للحربية فى حكومة محمد محمود الرابعة إلا أنه استقال بسبب خلافه مع الملك فاروق الذى لم يقبل ترشيح الوزير حسن صبرى للواء صالح حرب ليشغل منصب مدير إدارة الحدود . . وأيضًا بسبب خلافه مع وزير المالية الدكتور أحمد ماهر بسبب الخلاف حول تطبيق كادر جديد على رجال الجيش .

** إلا أن نجم حسن صبرى باشا يعود للصعود عندما استقال على ماهر باشا فى ٢٧ يونية ١٩٤٠ . وبسبب علاقة حسن صبرى الوثيقة بالانجليز منذ كان سفيرًا لمصر فى لندن ثم ترشيحه ليشكل الحكومة فى نفس اليوم . وقبض ثمن ولائه لبريطانيا التى كانت تريد حكومة تتمتع بثقة حزب الوفد رغم انه وجه غير وفدى . واحتفظ حسن صبرى بوزارة الداخلية مع رئاسة الحكومة ، وهو أسلوب متبع فى مصر خلال الأزمات .

وحاول الرجل تجنيب مصر ويلات الحرب العالمية الثانية رغم تعاونه مع بريطانيا وحدثت أزمة عندما نقل محمود فهمى النقراشى من وزارة الداخلية إلى المالية وبسبب تقدم القوات الإيطالية إلى سيدى برانى داخل مصر .

** وشكل الرجل حكومته الثانية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ وذهب حسن صبرى إلى البرلمان فى هذا اليوم ليلقى خطاب العرش « خطاب الحكومة » إلا أنه يسقط ويلفظ أنفاسه وهو فى قاعة البرلمان فلم ينعم بحكومته الثانية . .

وتختار مصر واحدًا من أهم شوارع الزمالك لتطلق اسم حسن باشا صبرى عليه ، وهو يبدأ من أمام حديقة الأسماك ويمتد إلى حيث يتقاطع مع شارع فؤاد « الذى كان يدين له بالولاء والوفاء » . . ثم يمتد الشارع فى النصف الشمالى من جزيرة الزمالك إلى أن يتصل بشارع محمد باشا مظهر مهندس مصر العظيم .

** وفى شارع حسن باشا صبرى تحتل السفارت عددًا كبيرًا من أهم قصور وفيلات الزمالك . ويصبح هذا الشارع من أهم محاور المرور فى جزيرة الزمالك كلها ويمتد إلى أن يصل إلى الشاطىء الشرقى لفرع البحر الأعمى للنيل عند تقاطعه مع شارع الجزيرة الذى يحمل الآن اسم السيدة أم كلثوم . .

** والغريب أن جزيرة الزمالك التى لم تكن معروفة كحى سكنى أيام الدولة الأيوبية نجد فيها كثيرًا من الأسماء الأيوبية على شوارعها مثل شارع شجرة الدر والصالح أيوب وابن زنكى والمنصور محمد « المملوكى » . ويلاحظ أن الكثافة السكانية والقصور تتركز فى الجزء الشمالى من جزيرة الزمالك بينما تشغل الجزء الجنوبى الحدائق والأندية «الجزيرة والأهلى والمعلمين وشباب الجزيرة والأسماك » .

غريمان فى الزيتون

هل هى مصادفة أن يلتقى الغريمان ، وأن تستمر المواجهة بينهما حتى بعد أن أصبحا ذكرى فى كتب التاريخ ، وهما اللذان تحاربا فى ساحات الوغى : الأول جاء غازيًا طامعًا فى ملك مصر . . والثانى كان مدافعًا صلبًا أبى إلا أن يدافع عنها حتى الرمق الأخير . .

أولهما : السلطان سليم الأول سلطان تركيا العثمانية الذى أدخل مصر فى حوزة تركيا لتفقد استقلالها وتعيش فى ظلامهم حوالى ٥٠٠ عام .

وثانيهما : الملك الأشرف طومان باى آخر سلاطين المماليك الذى دافع عن مصر الدولة والشعب ولم يتراجع عن حمايتها حتى شنقوه على باب زويلة فى يوم أسود ، بل هو أسود يوم فى تاريخ مصر كله .

وتشاء الصدف أن تستمر المواجهة بينهما ـ وأيضًا على أرض مصر ـ هناك حيث لكل منهما شارع طويل عريض يحمل اسم كل منهما . . والغريب انهما يبدآن من نقطة واحدة هى شارع منشية البكرى عند اللقاء بشارع الفريق محمود شكرى ويستمران متوازيين كيلومترات عديدة . . شارع سليم الأول على اليسار . . وشارع طومان باى على اليمين . .

** الأول ـ شارع سليم الأول ـ يستمر ليعبر قصر الطاهرة على مرمى البصر من ميدان طومان باى ليعبر الزيتون وشارع الحكم الرئيسى إلى أن يصل إلى المطرية ، أى ينتهى عند شارع التحرير قبيل كلية التكنولوجيا . .

** والثانى : شارع طومان الذى يستمر إلى ميدانه أمام قصر الطاهرة ليقطع

شارعى الزيتون وسنان باشا ، ويصل أيضًا إلى ميدان الحكم ويتوقف ، بينما يستمر امتداد الشارع بعد أن يحمل اسم مدخل المعسكر إلى متحف المطرية ثم إلى عين شمس . .

والغريب أن يبدأ معهما من ناحية منشية البكرى حيث شارع أبو العسكرية المصرية الحديثة الفريق عزيز المصرى الذى رشحوه رئيسًا للجمهورية بعد إلغاء الملكية فى مصر فى ١٨ يونية ١٩٥٣ . . وهذا الشارع يستمر عند تقاطعه مع شارع الحكم ليستمر شارع عزيز المصرى عابرًا إدارة التجنيد وحلمية الزيتون ليصل إلى شارع الشهيد أحمد عصمت الذى استشهد خلال معارك القناة ثم شارع عرابى الذى قاوم جيوش الاحتلال البريطانى !!

** وقبل أن نخوض فى علاقة سليم الأول بطومان باى علينا أن نلقى الضوء على سليم الأول ، هذا السلطان الدموى الرهيب . . فقد ولد عام ١٤٦٧ م ولم يجد غضاضة من أجل القفز إلى السلطة فى أن يحارب أباه السلطان بايزيد ثم يخلعه بعد أن هزمه ويعلن نفسه سلطانًا لتركيا عام ١٥١٢م . وفى سبيل تثبيت سلطانه حارب إخوته وأولاد إخوته ، حتى إنه قتل أخاه الأمير أحمد وأولاد إخوته الخمسة . . كما قتل أخاه كركور ولم ينج منه إلا اثنان من أبناء أخيه الأمير أحمد ، الأول هرب لاجئًا إلى غريمه القوى إسماعيل الصفوى سلطان إيران ، والثانى هرب لاجئا إلى سلطان مصر قنصوه الغورى الذى أكرم وفادته . .

** ولأنه كان يسعى لكى يصبح أقوى قوة فى العالم الإسلامى فقد قرر أن يقضى على أكبر قوتين إسلاميتين فى عهده . الأولى الدولة الصفوية الشيعية فى إيران . والثانية الدولة السنية المملوكية فى مصر والشام وشبه الجزيرة العربية .

وبدأ معركته مع إسماعيل الصفوى عام ١٥١٤م أى بعد عامين فقط من استيلائه على سلطة آل عثمان . فحارب الصفوى وقتل ٤٠ ألفًا من الشيعة ، وضم ديار بكر وكردستان وكسر شوكة الصفويين . . ثم استدار ليضرب مصر فى ممتلكاتها فى الشام وفلسطين ، ثم يزحف على القاهرة .

** ولم ينتظر سلطان مصر ـ قنصوه الغورى ـ أن تصل جيوش آل عثمان إلى مصر

ذاتها ، فانطلق بقواته إلى حيث حدود مصر عند شمال سوريا مع حدود تركيا . . وكان اللقاء في مرج دابق يوم ١٥ من رجب عام ٩٢٢ هجرية (١٥١٦ ميلادية) فماذا جرى . . وكيف دارت المعركة الفاصلة !!

طوماى باى يتصدى للغازى العثمانى .

كانت المخاطر تحيط بمصر من كل جانب فى زمن السلطان الأشرف قنصوه الغورى أحد سلاطين المماليك العظام الذى تولى حكم مصر وقد جاوز الستين من عمره عام ١٥٠١ .

فالبرتغاليون ـ ملوك الكشوف الجغرافية والصليبيون الجدد ـ نجحوا فى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وحولوا التجارة من مصر إلى الطريق الجديد فخسرت مصر أكبر عائد مالى كان يدخلها من الجمارك ورسوم العبور فى أراضيها . وحاول الغورى كثيرًا التصدى للبرتغاليين ، فأرسل عدة حملات بحرية لمقاومتهم فى المحيط الهندى وأمام السواحل الغربية للهند . وحقق الأسطول المصرى عدة انتصارات عليهم . . إلا أن هذه الانتصارات لم تكن حاسمة . . فقد كانت القوة البرتغالية قوة شابة . . وكانت القوة المصرية فى أواخر عصر القوة المملوكية .

وكان الصفويون بزعامة كبيرهم الشاه إسماعيل الصفوى يهددون الدولة المملوكية المصرية فى مصر والشام . وكان الصراع رهيبًا فى هذا القطاع الشمالى الشرقى من الدولة المصرية . .

ثم هاهم العثمانيون بزعامة سلطانهم الدموى سليم الأول يهددون شمال مصر ـ فى حلب .

وأيضًا كان الفرنج يهددون مصر بعد أن ألبهم إسماعيل الصفوى على مصر . . وهكذا وقعت مصر فى معارك رهيبة هددت أمنها .

** ولم ينتظر الغورى حتى يهبط الجيش العثمانى من جبال طوروس ليهدد ممتلكات مصر فى الشام ، فخرج بجيش كبير أحسن تسليحه وتدريبه بعد أن أناب عنه فى حكم

مصر الأمير طومان باى . والتقى الجيشان : العثمانى بقيادة سليم الأول . والمصرى بقيادة الغورى . .

وهجم الجيش المصرى وكان على ميسرته فيالق مصرية بقيادة خاير بك نائب الغورى فى حلب . وكان على الميمنة فيالق مصرية أخرى بقيادة الغزالى . أما القلب فكان بقيادة الغورى نفسه . وكاد جيش مصر يفتك بالعثمانيين ، لولا الخيانة ـ وهى أسلوب عثمانى شهير ـ فقد اتصل العثمانيون بالخائن خايربك والخائن الغزالى ، فانسحبا بقواتهما من ميسرة وميمنة الجيش لينكشف القلب . وحاول الغورى المقاومة ولكن سلاح المدفعية العثمانى الجديد كان سلاحًا حاسمًا ، وعندما تكشفت خيانة الغادرين سقط الغورى عن صهوة جواده من شدة القهر وقيل « فقئت مرارته » وتقيأ دمًا كما قال ابن إياس المؤرخ المصرى الكبير . ومات الغورى تحت أقدام الخيل وعمره ٧٨ سنة حكم منها ١٥ سنة و ٦ اشهر و ٢٠ يومًا . ولكن يكفيه أنه مات وسط المعركة بين جنوده حتى لا يعيش الذل والهزيمة .

** وسجل التاريخ يوم ١٥ من رجب عام ٩٢٢ هجرية (١٥١٦م) تاريخًا لانتصار العثمانيين بالغدر والخيانة . . والسلاح الجديد فماذا فعل نائب الغورى فى مصر : طومان باى ؟!

كان طومان باى قد أدار حكم مصر نيابة عن الغورى بعدل غير معهود من سلاطين المماليك ، فأحبه الناس لتقديسه للعدل وحكم الشريعة والقانون . ويصفه ابن إياس مؤرخ مصر بأنه خلال نيابته عن الغورى كان « محبًا للعوام » لين الجانب . . قليل الأذى . غير متجبر أو متكبر . . وكان قوى الشكيمة لايلين . وزاد حبه للعدل والإنصاف بين الرعايا » .

** وبمجرد أن عرف أخبار هزيمة أستاذه الغورى فى مرج دابق ، كان عليه أن يبدأ المقاومة من تحت الصفر ، فقد كانت الخزينة خاوية ، ورفض اقتراحًا بجمع ما يلزم من نفقات من الرعايا ، وقال إنه لا يحب أن يلقى الله وفى صفحته تلك النقطة السوداء . وبذل همة غير معهودة لإعداد مصر للحرب . بعد أن وصلت طلائع جيش

العثمانيين إلى غزة . . وكان من رأيه أن يخرج لملاقاتهم فى فلسطين ، ولكن أمراء المماليك أصروا على أن تكون الحرب قريبًا من القاهرة ، بل رفضوا ملاقاة العدو فى الصالحية ، أو حتى فى بلبيس .

ولهذا أعد طومان باى خطًا حصينًا عند الريدانية ، ووضع فيه أسلحة لم يكن لمصر عهد بها منها مائة عجلة تجرها الأبقار وتحمل رماة يرمون بالرصاص . . وهكذا . ونجح فى استثارة حماس المصريين .

** ومرة أخرى تلعب الخيانة دورها فقد خانه الأعراب وبعض الأمراء ، ودلوا العدو على طريق يوصلهم للقاهرة بعيدًا عن هذا الخط الحصين .

شنقه على باب زويلة ويتحداه حياً وميتاً !!

وفى يوم ١٩ ذى الحجة ٩٢٣هـ دارت فى الريدانية معركة تفوق معركة مرج دابق من حيث الشدة . وأبلى طومان باى بلاءً حسنًا ، وخاض فى قلب الجيش العثمانى وكان يهدف أن يقتل السلطان سليم بنفسه وإن قتل أكبر أعوانه . ولكن مدافع العثمانيين وبنادق الرصاص كانت لها الغلبة ، فانهزم الجيش المصرى وانسحب طومان باى .

** وفى يوم الاثنين الثالث من محرم ٩٢٤هـ (١٥١٧ م) دخل السلطان سليم شاه الأول القاهرة من باب النصر ، وكان يومًا فى غاية السواد .

ولكن طومان باى لم ييأس إذ هاجم السلطان سليم فى معسكره الذى أقامه على ساحل بولاق ، وانتصر فيها طومان باى الذى عاد إلى القاهرة حيث خطب العلماء باسمه فى المساجد يوم الجمعة . ولكن قواته تحللت ، فانسحب إلى الصعيد حيث أنشأ جيشًا جديدًا لدرجة أن سليم الأول خشى منه بل عرض عليه الصلح على أن يكون نائبًا لسليم فى حكم مصر مقابل أن ينسحب سليم بجيشه منها . ولكن الخيانة لعبت دورها مرة أخرى فانهزم طومان باى فى معركة جرت فى بر الجيزة .

** ولجأ طومان باى إلى صديقه شيخ العرب حسن بن مرعى زعيم قبائل البحيرة ليعيد تكوين قواته . إلا أن حسن بن مرعى هذا رغم أنه عاهده على الوفاء ، أرسل



على باب زويلة تم شنق طومان باى آخر سلاطين مصر المستقلة
عندما استولى عليها السلطان سليم الأول

الرسل إلى سليم الأول يخبره بوجود طومان باى عنده فأرسل ٤٠٠ من جنوده ، تمكنوا من اعتقاله وحملوه إلى القاهرة .

وللتاريخ تجمع كل الكتب على أن السلطان سليم الأول أعجب بشخصية طومان باى وبسالته وصموده واعتزازه بكرامته بل ومصريته . وتسجل هذه الكتب حواراً رائعاً بين الغالب والمغلوب يؤكد عظمة طومان باى . ولكن الخائنان خاير بك والغزالى أوغرا صدر سليم عليه خوفاً من انتقامه وأقنعاه بقتل طومان باى .

** وفى يوم الاثنين ٢٣ أبريل ١٥١٧م اقتاد جند سليم الأول البطل طومان باى من سجنه فى انبابة إلى باب زويلة . . فسار رافع الرأس يسلم على الناس طوال الطريق ، وعندما وصل إلى مكان الإعدام عند باب زويلة ، طلب طومان باى من الناس أن يقرأوا له الفاتحة ثلاث مرات وقرأها هو أيضاً . . ثم التفت إلى الجلاد يطلب منه تنفيذ إعدامه شنقاً .

ولكن الحبل انقطع مرتين كأنه كان يأبى شنق البطل الهمام ولم يمت طومان إلا فى المرة الثالثة . وظلت جثته معلقة على باب زويلة ثلاثة أيام . ويصف مؤرخ مصر ابن إياس لحظة إعدامه فيقول إنه «عندما تم الشنق وفاضت روحه ، صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف ، وكان عمره نحو ٤٤ سنة ، وثبت فى الحرب «وكسر» قوات عثمان ثلاث مرات أى هزمها . .

** وبموت طومان باى دانت الأمور فى مصر والشام للسلطان سليم الأول وانتهت دولة المماليك البحرية ودولة المماليك الجراكسة ، بعد أن حكمت الأولى ١٣٦ سنة وحكمت الثانية ١٣٨ سنة وبذلك ينتهى عصر العظمة المصرية لتقع مصر فريسة الاحتلال العثمانى المظلم الذى خيم على كل أمورها ٥٠٠ عام بدأت من عام ١٥١٧ وانتهت عام ١٩١٤ بإعلان بريطانيا حمايتها على مصر وإنهاء السيادة العثمانية عليها رسميًا . .

** ودخلت مصر عصر النسيان . رغم محاولات عديدة للاستقلال ، حاولها على بك الكبير ، ولولا أسلوب الخيانة الذى برع فيه آل عثمان لأصبحت مصر من جديد

دولة مستقلة قبل وصول حملة بونابرت . . ولولا تآمر أوربا على محمد على باشا ، لأصبحت مصر دولة مستقلة فعلاً ببداية حكم محمد على باشا .

** أما سليم الأول فقد أعلن نفسه خليفة على المسلمين بعد احتلاله لمصر ، ثم فتح مكة والمدينة ، ومات بعد ثلاث سنوات فقط ليخلفه ابنه سليمان القانونى . .

وانتهى زمن الحرب والنزال ، ولكن مازال الغريمان سليم الأول وطومان باى يواجه كل منهما الآخر . . ولكن على لافتة تحمل الأولى اسم الغازى سليم الأول وتحمل الثانية اسم البطل طومان باى . . فى القاهرة الصامدة !!

أسماء عربية فى عاصمة العرب

أسماء الشوارع تأتى دائمًا وليدة الأحداث السياسية ، ومجريات الأمور . ولا يمكن عزل سياسة إطلاق أسماء معينة على شوارع معينة عما يجرى من أحداث سياسة أو قومية أو حتى فنية ورياضية . .

فإذا جاز لنا أن نطلق أسماء نجوم الرياضة على مواقع بذاتها ، فإن الساسة وصناع القرار تكون لهم الأولوية . وهكذا وجدنا شارع محمود بدر الدين المعلق الرياضى الشهير مجاورًا لنادى الترسانة . كما وجدنا شارع محمود مختار « التتش » بجوار النادى الأهلى الذى كان أحد نجومه . وشارع رفعت الفناجيلى فى دمياط على الطريق المؤدى إلى الاستاد القديم . وإن وجدنا اسم حسين حجازى نجم نجوم كرة القدم فى العشرينيات متفرعًا من شارع قصر العينى غير بعيد عن شارع ضريح سعد ، وخلف مقر الحكم أى مجلس الوزراء . .

** ومع تصاعد موجة القومية العربية منذ منتصف الخمسينيات وجدنا أسماء الدول العربية والعواصم العربية ، بل والأنهر العربية مرفوعة على شوارع أحدث ضاحية سكنية فى القاهرة الكبرى ونقصد بها : مدينة المهندسين ، التى بدأت باسم مدينة الأوقاف وما جاورها من مدينة الصحفيين . فقد كانت بداية تعمير هذه المناطق مع تنامى الحس القومى العربى . .

** وهكذا وجدنا الأسماء التالية فى هاتين الضاحيتين الجديدتين فى القاهرة الكبرى : بداية نجد واحدا من أعرض وأوسع شوارع مصر يحمل اسم شارع جامعة الدول العربية . . بل وجدنا ميدان جامعة الدول العربية وهو من أكبر ميادين مصر .

وسوف يتحول هذا الشارع إلى محور رئيس يربط القاهرة بطريق الاسكندرية الصحراوى ليكون موازيًا ـ ولكن بشكل أوسع ـ لطريق الملك فيصل . . وشارع الأهرام . .

ومن شارع جامعة الدول العربية ـ وحوله ـ نجد الأسماء العربية التالية : شارع جزيرة العرب . ثم شوارع : سوريا . الحجاز . لبنان . العراق . السودان . القدس الشريف . الرياض . عدن . بابل . عمان . دمشق .

ونجد شوارع تحمل أسماء أهم أنهار العرب : وادى النيل ـ وهو الأطول والأعرض بعد شارع جامعة الدول العربية ولم لا والنيل أطول انهار الدنيا ـ والفرات . ودجلة . كما نجد شارع الخليج العربى . ثم شوارع الاسراء ، والمروة والمدينة المنورة .

** وهل هى مصادفة أن نجد الأشقاء العرب يفضلون شراء الشقق والقصور فى مدينة المهندسين بسبب ما تحمله من أسماء عربية تذكرهم بديارهم . حتى أننا نجد هذه الضاحية الجميلة والجديدة تتحول إلى ما يشبه سوق عكاظ حيث نسمع كل اللهجات العربية ، وحيث نجد الأزياء والملابس العربية المحببة للنفس هى الأكثر انتشارًا فيها ، خصوصًا فى شهور الصيف حيث الأجازات وحيث يحلو للعرب الإقامة فى مصر خلال أجازاتهم . .

ولكن هذا لا يمنع من وجود أسماء لرموز من النضال المصرى فى هذه المدينة الضاحية فنجد شارع البطل أحمد عبد العزيز وهو عصب هذه الضاحية ، ويبدأ عند نهاية شارع وزارة الزراعة ، حتى يصل ويتقاطع مع شارع جامعة الدول العربية . وهذا البطل كان من كبار ضباط الجيش المصرى ، وعندما رأى أن الحكام العرب قد تأخروا فى قرار دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عام ١٩٤٨ لمواجهة المد الصهيونى ، استقال من الجيش المصرى وانطلق مع من تطوع من رجاله ـ ومنهم أركان حربه الصاغ كمال الدين حسين ـ ليهاجم القوات الصهيونية . . ولكنه سقط شهيدًا وللأسف برصاص جندى مصرى لأنه نسى كلمة السر فى هذه الليلة . .

** ونجد شارع الفريق عبد المنعم رياض القائد العظيم الذى أعاد بناء الجيش المصرى بعد هزيمة يونية ١٩٦٧ ولم يتزوج إلاّ العسكرية ، وكان رئيسا لأركان حرب



صورة نادرة لشارع الأهرام التقطت سنة ١٨٧٠ ـ وهى محفوظة الآن فى جامعة هارفارد .

الجيش المصرى ، وخطط ونفذ العمليات العسكرية خلال حرب الاستنزاف . وسقط هو الآخر شهيدًا بقذيفة هاون إسرائيلية فى موقع المعدية رقم ٦ فى الإسماعيلية . . وسقط بين جنوده شهيدًا فى يوم لن تنساه مصر هو يوم ٩ مارس . . وياللقدر فإنه نفس اليوم الذى اندلعت فيه ثورة مصر الشعبية الكبرى عام ١٩١٩ . .

** ثم شارع أحمد عرابى الذى حاول البعض تلطيخ سيرته حيًا وميتًا حتى أمير الشعراء أحمد شوقى الذى هجاه عند عودته من المنفى فى سيلان بأبيات كانت كالسم .

وزراء الزراعة حول وزارة الزراعة !

** وما دمنا بالقرب من الدقى والعجوزة لماذا لا نبحث عن أصول شوارعها . والملاحظة الأولى فى المنطقة القريبة من وزارة الزراعة - وبالمناسبة هى كمبنى - من أجمل مبانى الوزارات المصرية . نجد أسماء ترتبط بالوزارة وبالزراعة . . وبالمهندسين الزراعيين . . ووزراء الزراعة أيضًا . وهى ملاحظة جديرة بالالتفات .

بداية نجد شارع وزارة الزراعة . ثم شارع المتحف الزراعى . ثم شوارع تحمل أسماء عملوا وزراء للزراعة ، مثل حافظ حسن باشا ، ومحمد باشا شكرى ، ومحمد باشا الدرى، وعيسى باشا حمدى من الوزراء والأطباء والمشاهير . .

وعلى سبيل المثال فإن حافظ باشا حسن كان وزيرًا للزراعة وللأشغال العمومية فى حكومة إسماعيل صدقى الأولى « ١٩ يونية ١٩٣٠ - ٤ يناير ١٩٣٣ » ثم أصبح وزيرًا للزراعة فقط فى وزارته الثانية من ٤ يناير ٣٣ إلى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ . وقبلها كان وزيرًا للمعارف العمومية فى حكومة عدلى يكن الثالثة من ٣ أكتوبر ١٩٢٩ إلى أول يناير ١٩٣٠ . ولكنه عاد وزيرًا للأشغال مرة أخرى فى حكومة على ماهر الأولى من ٣٠ يناير ١٩٣٦ إلى ٩ مايو من نفس العام . . وشارعه فى العجوزة يبدأ من شارع الشيخ المراغى ويصل إلى عزبة العجوزة خلف مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية .

** أما محمد باشا شكرى وله شارع باسمه فى العجوزة أيضًا فكان وزيرًا للزراعة أيضًا فى حكومة عبد الخالق باشا ثروت وهى الوزارة التى عاصرت تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى وضع أسس استقلال مصر السياسى وإلغاء الحماية البريطانية على مصر . .

* وشارع عبد العظيم راشد قريب من شارع نوال ويقسمه شارع الدكتور محمد شاهين نصفين . وقد كان راشد وزيرًا للاشغال العمومية فى وزارة عبد الفتاح يحيى الأولى من سبتمبر ١٩٣٣ إلى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ . وقد وصفه نائب المندوب السامى فى مصر عندما دخل الوزارة بأنه « رجل الملك فؤاد تمامًا » ! !

** أما شارع زكى باشا أبو السعود الذى يبدأ من شارع الشيخ المراغى ويعبر شارع الدكتور شاهين ليصل إلى عزبة العجوزة ، فقد كان وزيرًا للحقانية أى العدل فى حكومة عدلى يكن الثانية من ٧ يونية ١٩٢٦ إلى ٢١ أبريل ١٩٢٧ . واستمر فى نفس موقعه فى حكومة عبد الخالق ثروت الثانية أيضًا من ٢٥ أبريل ١٩٢٧ إلى ١٦ مارس ١٩٢٨ .

وندخل إلى الشوارع التى تحمل أسماء أطباء كبار عرفتهم مصر على مدى مائة عام وأكثر . فهذا هو الدكتور محجوب ثابت القطب الوفدى الكبير والطبيب الناجح الذى كان صديقًا وفيًا لزعيم مصر سعد باشا زغلول . وكان الدكتور محجوب من الظرفاء الذين اشتهرت بهم مصر فى عشرينيات القرن العشرين . وكان حلم حياته أن يصبح وزيرًا حتى أن أصدقاء سعد باشا أوهموه مرة أن سعد باشا اختاره وزيرًا للصحة فطار من الفرح إلى أن عرف الحقيقة وطيب سعد باشا خاطره . . وكان الدكتور محجوب رجلاً قصير القامة بدينًا ذا شارب كث . . وله أزجال وأشعار ومواقف سياسية كبيرة . وشارعه فى العجوزة يبدأ أيضًا من شارع المراغى ويقطع شارع شاهين إلى أن يصل إلى العزبة التى تقع خلف مستشفى العجوزة .

** والطبيب الثانى هو عيسى باشا حمدى . وقد كان من نوابغ الطب والأطباء ، وتولى نظارة مدرسة الطب عام ١٨٨٣ ، وله عدة مؤلفات طبية مازالت تدرس فى كليات الطب حتى الآن . وشارعه يبدأ من الشيخ المراغى ويقطع ميدان الدكتور شاهين ثم يصل إلى شارع النيل عند مستشفى الشرطة . وهو أعرض الشوارع العرضية فى المنطقة . ولما فاز أديب مصر نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب ، ولأن نجيب محفوظ يسكن فى شقة بالدور الأرضى فى أول عمارة عند تقاطع الشارع مع شارع النيل . . تم إلغاء شارع عيسى حمدى ليحمل اسم الأديب نجيب محفوظ . ومع احترامنا

لأديبنا الكبير إلا أننى كنت أفضل الإبقاء على الاسم القديم وفاءً لصاحبه و إطلاق اسم الأديب على أحد شوارع القاهرة الفاطمية التى ولد ونشأ فيها .

شارع الدرى .. أشهر جراح مصرى :

قصة هذا الشارع أقدمها إلى محافظ الجيزة لكى يعيد الحق إلى صاحبه ، أى يعيد الاسم إلى صاحبه الذى عاصره منذ بداية حى العجوزة . . ذلك هو شارع محمد الدرى باشا ، الذى لا أعلم السر فى أن يأتى عبقرى لايعرف أقدار الرجال فيلغى اسم الدرى ليضع محله اسم « شارع الفردوس » وياليته وضع محله اسم أحد المشاهير لكنا قد قبلنا التغيير . . وتعالوا نعرف قصة الدكتور محمد باشا الدرى الذى حرموه من شارعه !!

** الدكتور الدرى ولد بالقاهرة عام ١٨٤١م ووالده هو السيد عبد الرحمن أحمد من محلة أبو على غربية . تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى ثم التحق للدراسة بمدرسة المهندسخانة فى عهد نظارة « وزارة » على باشا مبارك . ولكنه ترك الدراسة بها والتحق بمدرسة الطب فى قصر العينى بسبب ميله لدراسة الطب . وبعد نجاحه أمر سعيد باشا والى مصر بإلغاء مدرسة الطب ، وأخرج منها تلاميذها ، فالتحق الدرى بإحدى فرق الجيش . ولم ييأس . فواصل قراءته لكتب الطب حتى أنه اشتغل ممرضًا فى الجيش إلى أن أعاد سعيد باشا فتح مدرسة الطب فعاد إليها محمد الدرى وأتم دراسته بها . وهناك ظهرت عليه علامات الذكاء فعين مساعدًا ومعيدًا للجراحة بمدرسة الطب بعد تخرجه .

** وفى عام ١٢٧٩ هـ أوفد سعيد باشا بعثة من الأطباء الشبان لإتمام دراستهم فى باريس ، منهم الأطباء : محمد بك فوزى ، محمد بك عامر ، وقاسم بك فتحى ، ومحمد بك القطاوى ، وعلى بك رياض ، ومحمد بك زهران ، وعقباوى أفندى . . وكان أصغرهم سنًا هو محمد درى . . ولكن فى عصر إسماعيل باشا استدعتهم الحكومة من البعثة بسبب الحاجة إليهم ، فعادوا إلى مصر ماعدا محمد درى الذى استثنى بسبب صغر سنه فأكمل دراسته الطبية .

** واستمر محمد درى فى الدراسة فى باريس وأتم دروسه على يد أشهر جراحى

العالم ، واستمرت دراسته سبع سنوات حتى نبغ فى الجراحة نبوغًا عظيمًا شهد به أساتذته . والتقى مع الخديو إسماعيل خلال زيارته لباريس . وعاد محمد درى إلى مصر وتقلد مناصب عدة منها منصب كبير الجراحين بمستشفى قصر العينى ثم أصبح أستاذًا أول للجراحة بها . وبسبب شهرته نال رتبة الباشوية عام ١٣١٥ هـ وسطع نجمه فى الجراحة وذاعت شهرته وبرع فى فنه ومهارته فى إجراء العمليات الجراحية الخطيرة .

** واقتنى ـ كما يقول عبد الرحمن الرافعى مؤرخ مصر الحديثة ـ مكتبة علمية من «أنفس » المكتبات . وألف مجموعة تشريحية من أعظم ما جمعه الأطباء . بل أنشأ لنفسه مطبعة تتولى طبع مؤلفاته ورسائله العلمية سميت بالمطبعة الدرية . وظل مخلصًا لفنه وعلمه حتى توفى ليلة ٣٠ يونية ١٩٠٠ . ومن أهم مؤلفاته « بلوغ المرام فى جراحة الأجسام » وقد تم طبعه فى المطبعة الدرية فى أربعة مجلدات . وله أيضا كتاب «الإسعافات الصحية فى الأمراض الوبائية » طبع عام ١٣٠٠ هـ .

ورغم كل هذا التاريخ يجيء شخص لا نعرف من هو ليلغى شارع محمد باشا الدرى ويطلق عليه : شارع الفردوس !!

** ويتقاطع مع شارع محمد باشا الدرى شارع طبيب آخر لا يقل شهرة عنه هو شارع سالم باشا سالم . وهو من القنايات شرقية . تعلم فى مدرسة الألسن ثم فى مدرسة الطب وسافر فى بعثة فى عهد عباس باشا الأول لإتمام دراسة الطب فى ميونيخ الألمانية ، فأكمل دراسته وعاد إلى مصر وارتقى فى المناصب الطبية حتى اختاره الخديو توفيق باشا طبيبا خاصًا له . .

** ومن مؤلفاته : وسائل الابتهاج إلى الطب الباطنى والعلاج تم طبعه ١٢٩٨هـ فى أربعة مجلدات . ودليل المحتاج فى الطب والعلاج . والينابيع الشفائية والمياه المعدنية . وقد توفى سالم باشا سالم عام ١٨٩٣م . ومازال اسمه علمًا على أحد شوارع حى العجوزة . .



الباب السادس

الشعب يكرم من يشاء وينسى من يشاء !

ساسة .. نسيهم شعب مصر !

خلال بحثى عن حكايات الشوارع اكتشفت سرًا آخر من عظمة الشعب المصرى . فهذا الشعب سريعًا ما ينسى الذين أساءوا إليه ، أى يقذف بهم إلى غياهب النسيان . . فهناك شخصيات وساسة كانوا ملء السمع والبصر فى حياتهم ، وكانوا يملكون كل عناصر السلطة والجاه والقوة . . ولكنهم بمجرد أن رحلوا عن الساحة السياسية ، أدار لهم الشعب ظهره ولم يعد يذكرهم وكأنه يتبرأ منهم ومن أفعالهم . . وكم كان حكم الشعب عليهم قاسيًا . . ولكنه كان صادقًا . .

** وفى تاريخ مصر الحديث كثيرون تعمد الشعب نسيانهم منهم : إسماعيل صدقى باشا الداهية الذى كان وزيرًا لمرات عديدة ـ وفى أخطر المراحل ـ ثم رأس وزارة مصر مرات عديدة أخرى . وترك بصمات رهيبة فى السياسة كما فى التعمير . ثم رحل دون أن يضع شعب مصر اسمه على شارع واحد ليتذكره الناس .

وهناك على ماهر باشا ـ على النقيض من أخيه الدكتور أحمد ماهر باشا ـ كان وزيرًا ورئيسًا للديوان الملكى ورئيسًا للوزراء أكثر من مرة ، وتعامل وتعاون مع الملكيين ومع الثوار ، إذ عمل مع الملك فؤاد . . ثم مع ابنه الملك فاروق . . والغريب أنه الذى شهد تنازله أيضًا عن الملك .

وهناك حافظ عفيفى باشا الذى بدأ نشاطه السياسى ثوريا خلال ثورة ١٩١٩ ، ولكنه أصبح من رجال القصر حتى تولى رئاسة الديوان الملكى بعد أن تولى وزارة الخارجية وكان نائبًا لرئيس حزب الأحرار الدستوريين ، ولعب دورًا هامًا فى تاريخ مصر السياسى منذ العشرينيات إلى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين .

وهناك أحمد باشا زيور وحسين سرى .

** وهناك محمود فهمى النقراشى الذى تربى فى أحضان ثورة ١٩١٩ ، وكان فى مقدمة شبابها ولكنه انشق عن حزب الوفد الذى نشأ فى أحضانه ليشكل الحزب السعدى عام ١٩٣٧ ، وتولى العديد من الوزارات وشكل حكومة مصر أكثر من مرة . وخاض معركة شرسة من المفاوضات من أجل جلاء الإنجليز . . ولكنه انتهى مضرجًا فى دمائه فى وزارة الداخلية عام ١٩٤٨ وهو رئيس للوزراء . . ورغم هذا لم يذكره الشعب ولم يضع اسمه على أى شارع هام فى مصر !!

** وأيضًا هناك إبراهيم عبد الهادى الذى كان أبرز شباب طلاب مصر فى ثورة ١٩ ، وتولى الوزارة . . ورأس حكومة مصر ورئيسًا للديوان الملكى ، وكان وكيلاً للهيئة السعدية . وأدار حكومة مصر فى مرحلة من أحرج مراحل العمل السياسى فى مصر ، وحوكم أمام محاكم الثورة والشعب والغدر ، وصدر حكم بإعدامه ، ولكن محمد نجيب أول رئيس للجمهورية بعد يوليو ١٩٥٢ رفض التصديق على حكم الإعدام معترضًا عليه لأن الرجل أدى دورًا لا ينسى فى تاريخ مصر ، حتى تم تعديل الحكم من الإعدام إلى الأشغال الشاقة ثم أفرج عنه لأسباب صحية . ورغم هذا لم يذكر اسمه على شارع واحد من شوارع مصر !!

** والغريب أن السياسى الذى ضرب الرقم القياسى فى رئاسة الحكومة المصرية ـ مصطفى باشا فهمى ـ ليس له شارع يحمل اسمه !!

ومصطفى باشا فهمى هو والد صفية هانم التى تزوجها زعيم مصر سعد زغلول لتنتسب إليه وتحمل لقب « أم المصريين » ولا يكاد أحد يتذكر أنها ابنة مصطفى فهمى ، هذا السياسى الذى يحمل الرقم القياسى عندما ظل رئيسًا لحكومة مصر من ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ إلى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ أى ١٣ عامًا بالتمام والكمال . .

** ومصطفى فهمى هو ابن حسين أفندى البكباشى التركى الأصل المولود فى كريت عام ١٨٤٠م ، وتكفل بتربيته خاله محمد زكى باشا ناظر ديوان الأشغال ، وتعلم بالمدرسة الحربية بالقلعة والتحق بالجيش المصرى حتى وصل إلى رتبة الفريق ، وعين مديرًا للمنوفية ثم محافظًا للقاهرة وبورسعيد وناظرًا للخاصة الخديوية وعمل وزيرًا



الفريق مصطفى فهمى باشا . . تولى أكثر من وزارة إلى أن أصبح رئيسا للوزراء . . وهو صاحب الرقم القياسى فى رئاسة الوزارة . . وهو والد « صفية زغلول » أم المصريين .

للأشغال والخارجية والحقانية والمالية والداخلية والحربية قبل أن يتولى رئاسة الوزارة للمرة الأولى بين مايو ١٨٩١ ويناير ١٨٩٢ ثم يعود رئيسا للحكومة فى نوفمبر ١٨٩٥ فيما عرف بعهد وزارات الاستسلام للاحتلال الانجليزى ، وكان معروفًا بأنه صديق الانجليز الوفى . .

ولكن من صلب هذا الصديق الوفى للانجليز تخرج لمصر أم المصريين صفية . . زغلول .

إسماعيل صدقى عدو الدستور :

إسماعيل صدقى باشا . داهية مصرى . لقبوه بنمر السياسة المصرية . صاحب العقل الرهيب . وزير الداخلية الذى أدخل لعبة تزوير الانتخابات إلى مصر عندما زور ثانى انتخابات مصرية عام ١٩٢٥ . . والسياسى الذى أدانه الشعب والوفد عندما ألغى دستور ١٩٢٣ وجاء بدستور يقلص سلطات الأمة عام ١٩٣٠ وخاض الكثير من المعارك . ورغم أنه بدأ فى حضن الوفد خلال ثورة ١٩١٩ بل ونفى مع سعد زغلول وصحبه إلا أنه حول ما بقى من عمره ليحارب الوفد وزعامته الشعبية . . ولهذا عاقبه شعب مصر ولم يطلق اسمه على أى شارع فى مصر . .

** ولد اسماعيل صدقى عام ١٨٧٥ ووالده هو أحمد باشا شكرى من كبار رجال الحكومة فى عهدى إسماعيل وتوفيق . تعلم بالفرير ثم بمدرسة الحقوق الفرنسية ، واشتغل كاتبًا للنيابة ثم رئيسًا لنيابة الاسكندرية ، وعمل بمجلس بلدية الاسكندرية حتى أصبح سكرتيرًا عامًا لها . وتولى منصب سكرتير عام وزارة الداخلية عام ١٩٠٨ ثم وكيلاً لها بعد عامين .

** وبدأ حياته الوزارية عام ١٩١٤ عندما اختاره حسين رشدى باشا وزيرًا للزراعة فى وزارة العمالقة التى ضمت عدلى يكن للخارجية وعبد الخالق ثروت للحقانية وإسماعيل سرى للأشغال والحربية ويوسف وهبه للمالية . وفى وزارة رشدى الثانية ترك الزراعة ليتولى وزارة الأوقاف ولكنه خرج منها بأمر السلطان حسين كامل فى مايو ١٩١٥ .



إسماعيل صدقى باشا . . السياسى الداهية الذى تولى الوزارة أكثر من مرة . . وصاحب دستور ١٩٣٠ الذى أسقطه الشعب

** ومنذ بداية ثورة ١٩١٩ اتصل إسماعيل صدقى بالزعيم سعد زغلول وعمل بالقرب منه حتى أصبح من أقطابها ونفى مع زعيم الأمة سعد زغلول ، ولكنه خرج من الوفد لينضم وزيرًا للمالية فى حكومة عدلى يكن الأولى عام١٩٢١ ، واستمر وزيرًا للمالية فى حكومة عبد الخالق ثروت حتى نوفمبر ١٩٢٢ ، وهى الحكومة التى صدر فى عهدها تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ لتصبح أول وزارة مصرية بعد الاستقلال .

** وفى أول انتخابات نيابية جرت فى مصر يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ حصل الوفد على ١٩٥ مقعدًا من مجموع ٢١٤ . ونجح محمد نجيب الغرابلى افندى المحامى فى طنطا فى إسقاط إسماعيل صدقى فى الانتخابات ولقبه سعد زغلول بقاهر صدقى بل اختاره وهو الأفندى وزيرًا للحقانية فى وزارة الشعب الأولى ، ليزداد العداء بين إسماعيل صدقى والوفد . . ورد صدقى اللطمة عندما عاد نجمه للساحة السياسية واختاره أحمد زيور وزيرًا للداخلية فى وزارته الثانية من مارس ١٩٢٥ إلى يونيه ١٩٢٦ .

وتولى صدقى أول تزوير للانتخابات فى مصر بهدف إبعاد الوفد عن الحكم ، وهى انتخابات مارس ١٩٢٥ التى خيل للقصر وزيور وصدقى أنهم قضوا على الوفد إلا أنه عند انتخاب رئيس مجلس النواب والوكيلين حدثت المعجزة وفاز سعد زغلول بمنصب الرئيس ضد ثروت مرشح القصر والحكومة ، وفاز على الشمسى وويصا واصف بمنصبى الوكيلين على مرشحى الحكومة . وكانت النتيجة حل مجلس النواب فى نفس يوم افتتاحة فى يوم ٢٣ مارس .

** ويستمر العداء بين صدقى والوفد حتى أسس حزب الشعب عام ١٩٣٠ برئاسته . ثم شكل الحكومة فى يونية من نفس العام ، واحتفظ لنفسه بوزارتى الداخلية والمالية وألغى دستور ١٩٢٣ نكاية فى الوفد وجاء بدستور ملكى فؤادى عام ١٩٣٠ . وشكل حكومته الثانية فى يناير ١٩٣٣ واستمرت فى الحكم حتى سبتمبر من نفس العام . ثم عاد وزيرًا للمالية فى وزارتى محمد محمود الثانية والثالثة . ليعود رئيسًا للحكومة فى يناير ١٩٤٦ إلى ديسمبر من نفس العام . .

** وقد وقفت أحزاب مصر كلها موقفًا مناهضًا لصدقى بسبب الأزمة الدستورية

بين أعوام ٣٠ ـ ١٩٣٣ ، وقاد الوفد حملة شرسة ضد عدوان صدقى على الدستور . وفى حكومة صدقى الأخيرة حاول التوصل مع انجلترا إلى حل للقضية المصرية وأجرى مفاوضات مضنية انتهت بالتوقيع بالأحرف الأولى على معاهدة صدقى ـ بيفن يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ ، وهى المعاهدة التى رفضتها الأمة وخرجت المظاهرات تهتف بسقوط صدقى ومعاهدته فاضطر إلى الاستقالة يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٦ لتسقط معه معاهدته .

** ويذكر لإسماعيل صدقى أنه الذى أنشأ كورنيش الاسكندرية ، وأنه السياسى الذى عارض دخول الجيش المصرى حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨ .

ولم ينس شعب مصر لإسماعيل صدقى اعتداءه على الدستور ووقوفه مع القصر ضد الشعب ، فلم يخلد اسمه على شارع فى مصر .

وكم كان حكم الشعب صائبًا !

رجل القصر والمؤامرات :

رغم أنه كان سياسيًا بارعًا ورجل دولة محنكًا إلا أنه لم يكن يومًا قريبًا من الشعب ، أو دخل قلب الأمة . وهو واحد من الذين نسيتهم الأمة وماتوا من ذاكرتها ، حتى أنه لم يفكر أحد فى إطلاق اسمه على أحد شوارع مصر . . وما أكثر شوارع مصر . .

هو على ماهر باشا ، وكان على النقيض من شقيقه الذى يصغره بسبعة أعوام أحمد ماهر باشا ، فالأخير كان وطنيًا أدى دوره الشعبى خلال مراحل النضال السياسى ضد الاستعمار . أما على ماهر فكان رجل القصر . . بينما كان أحمد ماهر من أبناء الأمة . .

** ولد على ماهر عام ١٨٨٢ وهو ابن محمد ماهر باشا وكيل وزارة الحربية ومحافظ القاهرة . تعلم بالخديوية . وتخرج فى مدرسة الحقوق عام ١٩٠٥ ، واشتغل بالمحاماة قبل أن يصبح قاضيًا بمحكمة مصر ، وتولى رئاسة المجلس الحسبى . وبدأ حياته السياسية بالانضمام لثورة ١٩١٩ التى ضمت كل الوطنيين ومن كل الاتجاهات ، ونفته السلطات البريطانية إلى الأقصر لهذا السبب . وفى عام ١٩٢٣ أصبح ناظرًا لمدرسة الحقوق فوكيلاً لوزارة المعارف فالمالية فالحقانية .



على ماهر باشا رجل القصر الملكى . . كان دائما رجل المهام الصعبة كرئيس للوزراء ورئيس للديوان الملكى . . وهو أول رئيس للوزراء فى عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

** ارتبط على ماهر بالقصر الملكى ولهذا كان وزيرًا فى معظم وزارات الانقلابات الملكية وحكومات الأقلية . أصبح وزيرًا للمعارف فى حكومة زيوار الثانية « ١٣ مارس ١٩٢٥ ـ ٧ يونية ١٩٢٦ » وهى الوزارة التى ارتكبت أول تزوير انتخابى فى مصر . وقد انضم على ماهر لحزب الاتحاد الذى أنشأه رجل القصر حسن نشأت باشا فى أوائل ١٩٢٥ كحزب ملكى ، ثم أصبح وزيرًا للمالية فى حكومة محمد محمود الأولى عام ١٩٢٨ . وفى يناير ١٩٣٦ شكل حكومته الأولى بعد أن رفض مصطفى النحاس فكرة الحكومة الائتلافية . . ثم شكل حكومة الثانية عام ١٩٣٩ .

** أطلقوا عليه لقب رجل القصر . وفى عهد حكومته الأولى مات الملك فؤاد فى أبريل ١٩٣٦ . وتولى رئاسة الديوان الملكى فى بداية عهد فاروق . وكما مات الملك فؤاد فى عهده . . كان هو الذى حمل وثيقة التنازل عن العرش لولده الملك فاروق !! وهو رجل الوزارات قصيرة العمر أى للإنقاذ مرة أو لتنفيذ مهمة محددة مرات أخرى . . فلم تعمر حكومته الأولى عام ١٩٣٦ سوى ثلاثة اشهر . . أما حكومة الثالثة فكانت فى أعقاب حريق القاهرة وإقالة حكومته النحاس فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ ، ولم تعمر سوى شهر واحد أو يزيد قليلاً . . وحتى حكومته الأخيرة بعد ثورة ٢٣ يوليو فلم تعمر سوى ٤٥ يومًا بين ٢٣ يوليو ١٩٥٢ و ٧ سبتمبر من نفس العام !!

** وقد حددت الحكومة إقامته عام ١٩٤٢ وأبعد إلى بلدة السرو بعد أن اتهم بعدم التعاون مع سياسة الحلفاء . وكما ساهم فى دعم سياسية الملك فؤاد ضد الوفد . . ساهم أيضًا فى سياسة الملك فاروق ضد حزب الوفد أيضًا . وبسبب تعاونه مع القصر ضد أمانى الأمة . . ووقوفه ضد حزب الوفد كرهته الأمة ولم يدخل قلب الشعب . فضلاً عن أنه كان رجل مصالح شخصية . أى أن على ماهر كان يعمل من أجل على ماهر فقط . .

** وكان ارتباطه بالقصر الملكى وتوليه رئاسة الديوان مرتين وراء موقفه من الشعب . . ورفض الشعب له ولسياسته . . فحال هذا المنصب بينه وبين الشعب رغم أنه كان من أبرز العقليات السياسية التى شاركت فى صياغة السياسة المصرية ، بل تولى أخطر المناصب فى أخطر المواقف التى عاشها شعب مصر . بين موت ملك وتولى ملك آخر

. . وبين اشتعال الحرب العالمية الثانية ومؤامراته ضد الحزب الشعبى القوى «الوفد» وزعاماته منذ سعد زغلول إلى مصطفى النحاس بل يقف على ماهر وراء إقالة أكثر من وزارة وفدية .

والطريف أنه فى كل الحكومات التى رأسها على ماهر احتفظ ـ بجانب الرئاسة ـ بوزارات الداخلية والخارجية والحربية . وفى عهد حكومته الثالثة التى تولت المسئولية عقب حريق القاهرة و إقالة الحكومة الوفدية تقاعس عن إجراء تحقيق شامل وواضح فى حوادث حريق القاهرة حتى تعرف الأمة من كان وراء هذه العمليات التى كان هدفها إسقاط حكومة النحاس باشا . . وبسبب تقاعسه هذا رفض الوفد ومعظم الأحزاب التعاون معه حتى سقطت حكومته هذه يوم أول مارس ١٩٥٢ .

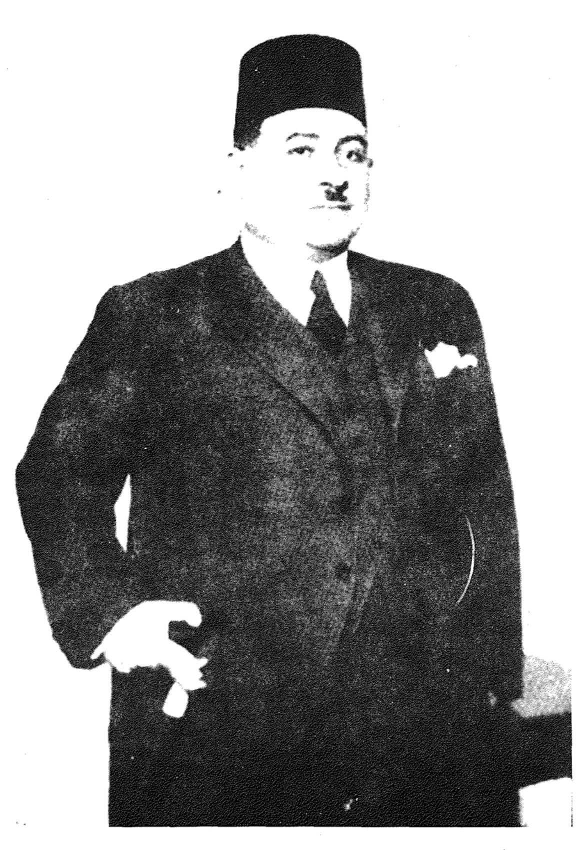
** وجامله رجال ٢٣ يوليو بعد أن أجبروه على استقالة حكومته الرابعة والأخيرة فى سبتمبر ١٩٥٢ بسبب ما ادعوه من تأخره فى إعداد قانون تحديد الملكية الزراعية فعينوه عضوًا فى لجنة مشروع الدستور فى يناير ١٩٥٣ ثم رئيسًا لهذه اللجنة وهى اللجنة التى لم تقدم ما كان مطلوبًا منها . .

** ومات على ماهر فى أغسطس ١٩٦١ لتنطوى صفحة سياسى نساه الشعب . . ولم يفكر فى إطلاق اسمه على أى شارع فى مصر !!

بدأ فدائيا .. واغتاله الإرهاب :

وعلى العكس من أخيه على ماهر باشا ، كان أحمد ماهر باشا سياسيًا محبوبًا من الشعب فى مراحل حياته السياسية الأولى . ولكن تغير موقف الأمة منه بعد انشقاقه عن حزب الوفد عام ١٩٣٧ وتأسيسه للهيئة السعدية التى تحولت إلى الحزب السعدى . . وتغيرت نظرة الأمة إليه بعد الحملات الشرسة التى شنها ضد الوفد وضد النحاس باشا رغم أن الذى خطط لطرده من الوفد هو مكرم عبيد باشا . .

** ولد أحمد ماهر عام ١٨٨٨ . والده هو محمد ماهر باشا وكيل وزاره الحربية ومحافظ القاهرة بعد ذلك . تخرج فى مدرسة الحقوق عام ١٩٠٨ ، ونال درجة الدكتوراه من جامعة مونبلييه بفرنسا . وعين عقب عودته أستاذًا بمدرسة التجارة العليا « كلية



الدكتور أحمد ماهر باشا . . الفدائى ابن ثورة ١٩١٩ الذى انشق على حزب الوفد ولقى مصرعه فى البهو الفرعونى بمجلس النواب عام ١٩٤٥

التجارة » واشتغل بالعمل الوطنى وكان من أبرز قادة ثورة ١٩١٩ وبالذات من قيادات الجهاز السرى الذى نظم العمليات الفدائية ضد الموظفين والجنود الانجليز واتهم مع محمود فهمى النقراشى باغتيال السردار لى ستاك الحاكم العام للسودان عام ١٩٢٤ . ونجح المحامون الوطنيون فى تبرئته هو والنقراشى من هذا الاتهام . ورغم هذا ظلت السلطات البريطانية فى مصر ترى فيه واحدًا من قادة الجناح المتطرف المصرى ضد وجودهم . .

** وقد شغل أحمد ماهر وزارة المالية فى حكومة محمد محمود باشا الرابعة [٢٤ يونية ١٩٣٨ ـ ١٨ أغسطس ١٩٣٩] فى أول تعاون بين حزب الأحرار الدستوريين ورئيسه محمد محمود . . والحزب السعدى ورئيسه أحمد ماهر . .

** وفى أعقاب إقالة حكومة مصطفى النحاس باشا السادسة يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤ استدعى الملك فاروق رئيس الحزب السعدى أحمد ماهر ليشكل الوزارة فى بداية عهد طويل من حكومات الأقلية . واستمرت حكومته الأولى هذه إلى ١٥ يناير ١٩٤٥ شن خلالها حملات شرسة ضد النحاس وضد الوفد إذ بعد شهر واحد من بداية حكمه . صدر أمر ملكى بإلغاء كل الترقيات والعلاوات التى قدمتها حكومة الوفد بين فبراير ١٩٤٢ وأكتوبر ١٩٤٤ وأحيل للمعاش كل من يعرف عنه تعاطفه مع حزب الوفد . وأعيد الموظفون الذين عزلهم النحاس باشا .

ولأن الهدف كان هو تدمير حزب الوفد وتشويه صورة زعاماته أقدم على حل مجلس النواب ذى الأغلبية الوفدية ، وأجرى أحمد ماهر انتخابات جديدة تم فيها توزيع مقاعد النواب بين ائتلاف الأحزاب التى شكلت الحكومة وهى الحزب السعدى ، والأحرار الدستوريين ، حزب الكتلة الوفدية ، والحزب الوطنى «القديم » وتركوا فقط عشرين دائرة للمستقلين . وهى الانتخابات التى قاطعها حزب الوفد وجرت فى ٨ يناير ١٩٤٥ .

** ونتيجة لهذه الانتخابات التى حصل فيها السعديون على ١٢٥ مقعدًا أعاد أحمد ماهر تشكيل حكومته يوم ١٥ يناير وخرج منها الدكتور محمد حسين هيكل باشا ـ زعيم

الدستوريين - ليتولى رئاسة مجلس الشيوخ . وفى هذه الوزارة استجاب أحمد ماهر لطلب بريطانيا أن تعلن مصر الحرب على المحور حتى تحضر مؤتمر سان فرانسيسكو الذى سيكون له شرف تكوين هيئة الأمم المتحدة يوم ٢٥ ابريل ١٩٤٥ . .

وذهب أحمد ماهر إلى مجلس النواب . وفى جلسة سرية عقدت مساء السبت ٢٤ فبراير ١٩٤٥ ألقى بيان حكومته بإعلان الحرب ضد ألمانيا واليابان ، فتصدى له محام مصرى شاب اسمه محمود العيسوى وأطلق عليه الرصاص وهو فى طريقة من مجلس النواب إلى مجلس الشيوخ فسقط أحمد ماهر مضرجًا فى دمائه لاقتناع القاتل بأن ماهر ضحى بمصالح مصر عندما أعلن الحرب على المحور . وبذلك انتهى عمر وزارة ماهر الثانية ولم تعمر سوى ٤٥ يومًا ، ليكون اغتيال احمد ماهر هو ثانى اغتيال لرئيس وزارء مصر وهو فى الحكم . وكان الحادث الأول هو اغتيال بطرس باشا غالى على يد ابراهيم الوردانى وفى شهر فبراير ايضًا . . ولكن فى عام ١٩١٠ . .

** وتكرم الدولة أحمد ماهر فتقيم له تمثالاً أمام كوبرى الجلاء . . على بعد خطوات من تمثال زعيمه سعد زغلول . . كما تطلق اسمه على واحد من أهم مستشفياتها فى ميدان باب الخلق - هو مستشفى أحمد ماهر . . كما يتم دفنه فى مقبرة خاصة فى شارع رمسيس أمام الكاتدرائية القبطية . .

النقراشى .. الثورى الذى قتلوه فى الداخلية !

زميلان بدءا العمل السياسى معًا ، وانخرطا فى العمل الفدائى الوطنى منذ اليوم الأول لثورة ١٩١٩ تحت راية الوفد وزعامة سعد زغلول . . ثم أصبحا من أعلام الوفد . . ثم انشقا على الوفد معًا وخرجًا ليكونا حزب الهيئة السعدية ، أو الحزب السعدى . . وتولى أولهما رئاسة حكومة مصر مرتين . . وكذلك الثانى . وكان مصيرهما واحدًا . . القتل . . بداية صحيحة . . ونهاية غريبة . . هما أحمد ماهر باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا . ولكن أولهما كرمته الدولة فأقامت له تمثالاً وبنت له ضريحًا وأطلقت اسمه على واحد من أشهر المستشفيات والشوارع . أما الثانى فلم ينل إلا اسمًا على شارع واحد . . فى دمياط !!



محمود فهمى النقراشى . . اتهمه الانجليز باغتيال السردار لى ستاك . . ورأس الوزارة . . واغتاله عبد المجيد حسن فى مقر وزارة الداخلية سنة ١٩٤٨ .

**ولد محمود فهمى النقراشى فى الاسكندرية عام ١٨٨٨ وتعلم بها حتى انتهاء المرحلة الثانوية ثم التحق بمدرسة المعلمين الخديوية العليا بالقاهرة . ثم حصل على شهادة التعليم من نوتنجهام بانجلترا عام ١٩٠٩ وعاد إلى مصر ليعمل بالتدريس . .

والتحم النقراشى بثورة الشعب عام ١٩١٩ وكان من أبرز شباب الوفد وانضم للعمل السرى المناهض للاحتلال ، واعتقلته بريطانيا أكثر من مرة واتهمته سلطات الاحتلال مع أحمد ماهر باغتيال السردار لى ستاك حاكم عام السودان وسردار الجيش المصرى . . ولكن نجح محامو الثورة فى إثبات براءتهما . . وقد عينه سعد باشا عندما كان رئيسًا لحكومة الشعب الأولى وكيلاً لمحافظ القاهرة ، ثم وكيلاً لوزارة الداخلية . ثم اختاره مصطفى النحاس وزيرًا للمواصلات فى حكومته الثالثة عام ١٩٣٦ وضمه إلى وفد المفاوضات مع بريطانيا الذى أثمر معاهدة ١٩٣٦ . ولكن سرعان ما أخرجه النحاس من الحكومة فى العام التالى لأنه كان يعرقل عمل الحكومة ويقف موقفًا معارضًا من المعاهدة . .

** وخرج النقراشى من الوفد مع أحمد ماهر ليؤسسا الحزب السعدى ١٩٣٧ واشترك النقراشى فى عدد من وزارات الأقلية مثل حكومة محمد محمود وحكومة حسن صبرى وتولى وزارة الخارجية فى حكومة أحمد ماهر الأولى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ وعقب اغتيال أحمد ماهر تولى النقراشى رئاسة الحكومة يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ حتى ١٥ فبراير ٤٦ بنفس أعضاء حكومة أحمد ماهر . وفى عهده انتهت الحرب العالمية الثانية . ثم ترك الحكومة ليتولاها إسماعيل صدقى ولكن النقراشى عاد رئيسًا للحكومة للمرة الثانية فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ ، واستمرت حتى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، وهى أطول وزارات مصر عمرًا بعد الحرب العالمية الثانية . وطلب فتح باب المفاوضات مع بريطانيا حول وضع مصر وعرض القضية الوطنية أمام مجلس الأمن . واختلفت الآراء حول سياسته الخاصة بالقضية الوطنية . واندلعت المظاهرات فى مصر . وثار الطلبة بقيادة اللجنة التنفيذية العليا للطلبة وعقد اجتماع فى جامعة فؤاد « القاهرة » وخرجت المظاهرات فى طريقها لقصر عابدين لتجد كوبرى عباس مغلقًا وتقع أحداث هذا اليوم الرهيب فيما عرف

بحادث كوبرى عباس . وعمت البلاد المظاهرات العنيفة وصادرت الحكومة الصحف التى نشرت صور المظاهرات هاتفة بسقوط الملك فاروق .

** وفى عهد حكومته الثانية دخلت مصر حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وفشلت حكومته فى التوصل إلى حل للقضية الوطنية سواء من خلال المفاوضات مع بريطانيا . . أو من خلال المنظمة الدولية والتحكيم . وزادت الحركة الوطنية اشتعالاً . .

** وفى يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ تسلل إلى داخل وزارة الداخلية ـ وكان النقراشى ـ وزيرًا لها مع الخارجية مع رئاسة الحكومة ـ شاب ، طالب بالسنة الثالثة بكلية الطب البيطرى اسمه عبد المجيد حسن ليطلق الرصاص على النقراشى وهو يتأهب لركوب المصعد . ومات رئيس الحكومة على يد الشاب الذى أمر النقراشى نفسه بأن يتعلم على نفقة الحكومة ، وينتهى النقراشى . ولا يحصل على المجد السياسى الذى حصل عليه شريكه أحمد ماهر . . وكل ما حصل عليه النقراشى مجرد اسم على مدرسة نموذجية فى حدائق القبة . وشارع فى مدينة دمياط يبدأ من ميدان سوق الحسبة ويصب فى شارع الجلاء « !! » محمد على باشا سابقًا وهو من أشهر شوارع دمياط التجارية والصناعية لينتهى واحد من أصلب سياسيى مصر وظل عضوا بمجلس النواب لمدة عشرين عامًا وتقرر حكومة ابراهيم عبد الهادى دفن النقراشى فى نفس المقبرة التى ضمت جثمان أحمد ماهر باشا فى شارع رمسيس بالعباسية .

غزاة فى شوارع مصر

فى مصر من الغرائب ما يحير العقل ، ولا يجد إجابة مقنعة .

هل يعقل أن يمجد شعب أشخاص الذين أذلوه واستعمروه ؟ . . وهذه ظاهرة ليست موجودة لدى شعب آخر . . !

** فإذا كان مستساغًا أن نطلق اسم الاسكندر الأكبر على شوارعنا ، بل ونطلق اسمه على ثانى أكبر مدينة بعد العاصمة ، فهل نقبل أن نجد أسماء قمبيز ودارا وقورش هؤلاء الأباطرة الفرس الذين كان هدفهم الأكبر احتلال مصر وسلب استقلالها وتدمير حضارتها ؟ تمامًا كما وجدنا أسماء كتشنر على شوارعنا بل ومستشفياتنا ، وكذلك غوردون ، بل ومن يطلق على ابنه اسم رمز الاستعمار البريطانى . كرومر !! واسم السلطان سليم الأول العثمانى الذى أدخل مصر فى عصور الظلام ٥٠٠ عام . ففى الاسكندرية نجد اسمى قمبيز ودارا على شارعين فى منطقة كليوباترا (!!) تمامًا كما نجد الاسمين على شارعين فى القاهرة الكبرى . . وكذلك اسم قورش !! فمن هم هؤلاء الغزاة الفرس الذين نخلدهم بإطلاق أسمائهم على شوارعنا ؟!

** فى عام ٥٥٠ ق.م ظهر قورش ملك الفرس . الذى انتزع عرش ميديا « قرب طهران الحالية » من قريبه استياغس بأول انقلاب فى العصور القديمة ، وكون قورش من الشعبين الميديين والفرس أمة واحدة تحت سلطانه . . وكان استياغس على علاقة طيبة بفرعون مصر أحمس ، وأنذره بخطر قورش على مصر وبل وعقد حلفًا مع مصر ضد فارس . . وفى عام ٥٣٩ ق.م قضى قورش على بابل وجعلها جزءًا من مملكته ، فدانت له الدنيا القديمة من بحر الأرخبيل إلى بحر قزوين . ومن البحر الأسود

إلى صحراء بلاد العرب . ولكنه لم يزحف على مصر ، وإن مهد للزحف عليها . لأنه كان مشغولا بتأمين حدوده الشرقية من هجمات القبائل . . ولقى حتفه خلال إحدى هذه الحملات عام ٥٢٩ ، وبقيت نهايته من أسرار التاريخ بعد أن بسط سلطانه حتى شواطىء البحر المتوسط . . وإن كان قورش قد هزم أحمس الثانى فرعون مصر خلال عمليات التمهيد لفتح مصر . .

** وجاء ابنه قمبيز ليكمل حلم ملوك فارس فى فتح مصر ، وفعلاً مات فرعونها أحمس الثانى خلال إعداد قمبيز لحملة فتحه لمصر . وقد هرب أحد أمراء مصر ـ وكان أجنبيًا ـ اسمه فانيس واتصل بقمبيز عارضًا عليه خدماته ، بينما كان أحمس الثانى يأمل فى إحراز السيادة البحرية على الفرس . ثم خلفه الملك بسماتيك الثالث . .

واستعد ملك الفرس لفتح مصر بتخزين المياه حتى يعبر الصحراء إلى مصر ، فلما وصل إلى بيلوزيوم « بالوظة الحالية فى شمال سيناء شرق بور فؤاد وكانت مصبًا لأول فروع دلتا النيل بين الشرق » قرر أن يحسم القضية بمعركة واحدة . ولكنه وجد المقاومة من قلعتى هليوبوليس وممفيس « منف » ونجح قمبيز فى تدمير العاصمة المصرية منف وهزم بسماتيك الثالث وانتهك حرمة الديانة المصرية ، فكرهه المصريون . ونادى بنفسه فرعونًا على مصر بعد أن استتب له أمر مصر عام ٥٢٥ ق . م .

** وأراد قمبيز أن يضم إليه واحة أمون « سيوه » فوجه إليها حملة قوية إلا أن هذه الحملة منيت بعواصف الصحراء التى هبت عليها وأبادتها ، ثم قاد بنفسه حملة لإخضاع مملكة بناث فى بلاد النوبة ، ولكن قوافل الماء والزاد ضاعت فى الطريق فعاد بجيشه قبل أن يقتله الجوع . وجن جنون قمبيز فصب جام غضبه على الديانة المصرية بعد أن أصبحت ـ فى نظره ـ سبب فشله فى إتمام سيطرته على مصر . .

** وجاءت أنباء من فارس بقيام ثورة من أتباع المجوسية القديمة مناهضين بذلك الزرادشتية . ونادوا بسمير ريس ملكا عليهم ، فخرج قمبيز بجزء من جيشه من مصر، ومعه بعض الأشراف وابن عمه داريوس الاخمينى للقضاء على الثورة ، بعد أن ترك نائبًا له فى حكم مصر . . وفى الطريق إلى فارس مات قمبيز خلال عبوره الصحراء السورية .

فهل بعد الذى فعله قمبيز هذا نخلد اسمه ونطلقه على شارعين بمصر : أولهما فى منطقة الدقى فى القاهرة الكبرى والثانى فى الاسكندرية ؟! نقول هذا لأن قمبيز وضع نهاية العصر الفرعونى العظيم ليبدأ عصر الاحتلال الأجنبى لمصر بداية بالفرس ثم الاسكندر الذى كان يطارد الفرس ثم البطالمة فالرومان إلى أن جاء الفتح العربى لمصر . . !

من داريوس إلى بهلوى إلى محمد مصدق !

** ويأتى دارا امبراطور الفرس لنطلق اسمه على أحد شوارع الاسكندرية لنرسخ العداء التقليدى بين امبراطورية الفرس القديمة . . واليونان الجديدة بحكم أن منشىء المدينة هو الاسكندر الأكبر ملك أثينا وموحد مقدونيا واليونان . . فمن هو دارا هذا ؟!

** هو دار يوس الأول - ملك الملوك - الذى كان أقوى رجل فى العالم القديم . وهو صهر قورش ، ولد عام ٥٤٩ ق . م ومات عام ٤٨٦ ق . م وحكم هذه الامبراطورية الواسعة بين عامى ٥٢١ ق . م و ٤٨٦ ق . م بعد أن خلف قمبيز على العرش الفارسى .

خاض داريوس حربًا شرسة ضد اليونان بعد أن ثاروا عليه ، ولهذا لقب بعدة ألقاب منها ملك الملوك والملك الكبير وسيد أربعة أقطار الأرض . وكان يجلس على عرشه مثل الإله وقد حجبه عن الرعية ستار لزيادة غموضه . وكان عنيفًا فى قمع الثورات التى وقعت ضده . ويعتبر داريوس هذا - أو دارا - المؤسس الحقيقى لامبراطورية الفرس ، إذ كان قائدًا حربيًا كبيرًا ، وتمكن من توسيع امبراطوريته من وادى الهندوس شرقًا إلى تراقيا غربًا « قرب تركيا الحالية على الدردنيل » وكان يفاخر الدنيا بأنه يحكم مصر بلد الفراعين .

** عندما زادت ثورات المدن اليونانية ضده قرر أن يحسم الأمر رغم تمكنه من قمع بعض هذه الثورات . فزحف بأسطول بحرى يضم ٢٥ الف جندى ووصل بجيشه وأسطوله هذا إلى شبه جزيرة اليونان . ولكن الأثينيين - أهل أثينا قادوا المقاومة اليونانية - انتصروا عليه عام ٤٩٠ ق . م ، ولكنه لم ييأس بل بدأ فى إعداد حملة جديدة ضد أثينا .

ولكن دارا مات خلال ذلك عام ٤٨٥ ق . م وخلفه ابنه احشورش الذى نجح ـ بفضل جيش أبيه ـ فى فتح أثينا وإحراق المدينة عن كاملها . . ورغم هذه عادت أثينا لتنتصر، فاضطر امبراطور الفرس إلى العودة إلى بلاده . ونجحت أثينا فى صيانة المدن اليونانية وحماية استقلالها بعد تلك الحروب الشرسة التى حملت اسم : الحروب الميدية . .

والحقيقة يذكر التاريخ لدارا أنه صاحب فكرة أول خطوط للبريد ، الذى أنشأ له محطات فى كل امبراطوريته الواسعة . واستمر العداء بين الفرس واليونان حتى جاء الاسكندر الأكبر ليمحو عار الاحتلال الفارسى لبلاده فيحتل فارس عام ٣٣١ ق . م . وقد ظل اسم فارس هو الاسم الرسمى للدولة حتى عام ١٩٣٤ عندما أطلق عليها اسم إيران .

** وفى العصر الحديث أطلقت مصر اسم شاه إيران محمد رضى بهلوى على أحد شوارع الدقى بسبب المصاهرة بين أسرة محمد على باشا فى مصر وأسرة بهلوى فى إيران ، عندما تزوج محمد رضا بهلوى ـ وكان وليا للعهد ـ من جميلة الجميلات الأميرة فوزية أخت الملك فاروق ، ولم يعمر هذا الزواج طويلاً ، فعادت أميرة مصر إلى وطنها لتتزوج من إسماعيل شيرين الذى أصبح وزيرًا للحربية البحرية . .

ونكاية فى إيران وفى الامبراطور أطلقت مصر على نفس الشارع اسم منافسة البطل القومى الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء إيران الذى خاض معركة شرسة ضد الامبراطور وضد شركات البترول الأجنبية فى بلاده . ومن فوق سرير المرض نجح الدكتور مصدق فى تأميم بترول إيران وخطط لعزل الشاه محمد رضا بهلوى واعلان الجمهورية ، ويساعده فى ذلك وزير خارجيته حسين فاطمى . . ولكن الشاه هرب من طهران إلى أن تمكنت مخابرات انجلترا والأصابع الأمريكية من زرع الجنرال زاهدى الذى قاد انقلابًا ضد الدكتور محمد مصدق . . وعاد الامبراطور وعادت الشركات الأجنبية وحوكم مصدق وفاطمى والزعيم الدينى الكبير آية الله كاشانى . وبالمناسبة كان الدكتور محمد مصدق على علاقة طيبة بمصر وبزعيمها ورئيس حكومتها فى ذلك الوقت : مصطفى النحاس باشا. وقد زار مصدق مصر خلال هذه الفترة واستقبله النحاس باشا واعتبرت مصر وإيران فى هذه الفترة قطبى الصراع ضد الاستعمار .

** وانتهى عصر الامبراطور بهلوى بثورة الخمينى عام ١٩٧٩ . وهرب من طهران وظل منفيًا إلى أن لجأ إلى مصر أيام السادات ومات فيها ، ودفن فى مسجد الرفاعى مع ملوك مصر من أسرة محمد على . . تمامًا كما مات ودفن والده امبراطور إيران الأسبق فى مصر . . وينتهى اسم رضا بهلوى ليظل اسم الثائر الدكتور محمد مصدق على شارعه فى الدقى وسبحان مغير الأحوال .



أطول شوارع القاهرة

رغم أن مصر مشهورة بوجود حارات وأزقة لا يتعدى طولها ٥٠ مترًا إلا أن فيها شوارع يصل طولها إلى كيلومترات عديدة . ففى القاهرة الكبرى ـ التى تضم مدينة القاهرة ومدينة الجيزة ومدينة شبرا الخيمة ـ نجد عدة شوارع تتنافس على المركز الأول بين الشوارع الأطول :

** هناك شارع بورسعيد وهو الشارع الذى ورث الخليج المصرى أو خليج أمير المؤمنين الذى يبدأ من السيدة زينب ويمر فى أحياء الهياتم ، درب الجماميز ، الحلمية ، بركة الفيل ، الحبانية ، عابدين ، باب الخلق ، الغورية ، المناصرة ، الأزهر ، الموسكى، خان الخليلى ، باب الشعرية ، الظاهر ، السكاكينى ، غمرة ، مهمشة . . وينتهى عند الزواية الحمراء . . ويكاد يكون هو نفس مسار الخليج القديم الذى كان فى الماضى تحفة للناظرين .

** وهناك الشارع الأعظم ـ أقدم شوارع القاهرة المعزية : فهو يبدأ جنوبًا من شارع مجرى العيون عند عين الصيرة ، ثم الخليفة ، السيوفية ، السروجية ، الخيامية ، المعز لدين الله ، الحسينية بعد عبوره باب النصر وباب الفتوح . . وهو شارع يروى تاريخ القاهرة الفاطمية وصناعاتها وحرفها الأساسية .

** والبعض يرى أن شارع رمسيس هو أطول شوارع القاهرة رغم أن هذا غير صحيح . وهو يبدأ من كورنيش النيل عند ميدان عبد المنعم رياض عابرًا مناطق غمرة والوايلى الصغير ثم ميدان العباسية إلى مدينة نصر . وامتداده يكاد يكون المحور الأساسى الذى يربط القاهرة بضاحية مصر الجديدة .

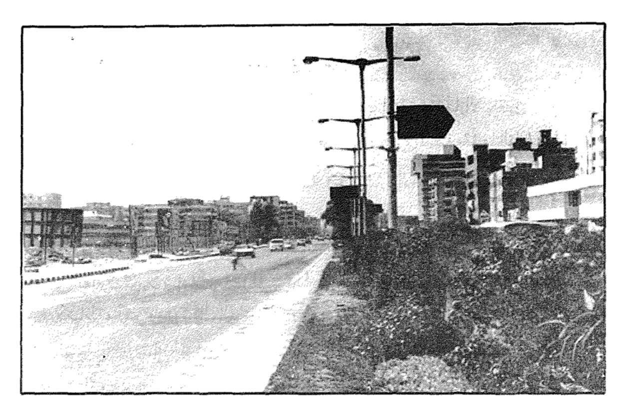
** ولكننا نرى أن شارع كورنيش النيل الذى يمر عند الضفة الشرقية للنهر هو الأطول . فهو يبدأ من مصر العتيقة ـ أى مصر القديمة ـ من أمام جنوب جزيرة الروضة ويسير بحذاء النهر حتى يصل إلى شمال روض الفرج ، أى عند محطة الكهرباء الجديدة فى شبرا الخيمة تقريبًا وإن حملت بعض أجزاء منه اسم ماسبيرو .

ويقابله فى الضفة الغربية للنيل شارع جمال عبد الناصر ولكن الناس تعرفه باسم شارع االنيل ولا يكاد أحد يذكره باسمه الرسمى أى شارع جمال عبد الناصر . وهو يبدأ من الجيزة أمام جزيرة الذهب والبحر الأعظم ويمتد إلى ما بعد كوبرى روض الفرج عابرًا مناطق الجيزة كلها والدقى والعجوزة والإعلام وامبابة .

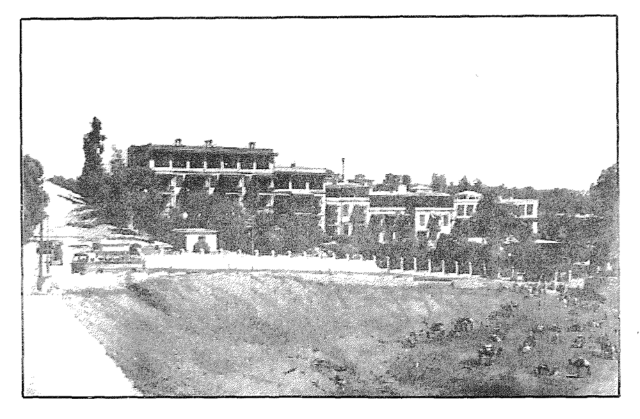
** وما دمنا فى الضفة الغربية للنيل داخل كردون مدينة الجيزة فإننا نجد أن شارع السودان من أطول شوارع مصر . فهو يبدأ من النيل عند الكيت كات ليعبر مناطق : مدينة الطلبة ، مدينة الصحفيين ، المهندسين ، بين السرايات ، بولاق الدكرور ، لينتهى عند مطلع كوبرى الملك فيصل بالقرب من مصانع الدخان والسجائر . .

أما شارع صلاح سالم فيأتى متأخرًا بعض الشىء ، وهو يبدأ من أمام كوبرى الملك الصالح فى مصر القديمة مرورًا بمناطق أبو السعود ، وعين الصيرة ، والخليفة ، المنشية، الإمام الشافعى ، القلعة ، الدراسة ، مدينة نصر ، إلى مطار القاهرة بعد عبوره تحت نفق العروبة . . وهكذا قدر لصلاح سالم أن يحتل عددًا من الشوارع والمواقع الهامة فى مصر . . ففى الاسكندرية نجد اسمه على شارع شريف القلب التجارى للمدينة ، وإن كان مازال العواجيز يذكرون اسم شريف باشا « أبو الدستور » الذى استقال حتى لا يوقع قرار انسحاب مصر من السودان ليجىء صلاح سالم نفسه وبرقصته المعهودة وسوء إدارته لموضوع السودان ، فيضيع السودان بسببه . وللعجب فإننا نكافئه فنضع اسمه مكان اسم شريف باشا الكبير . . والغريب أننا ألغينا اسم محمد على من الشارع الرئيسى حيث تقع محافظة ومديرية الأمن فى الإسماعيلية ونضع اسم صلاح سالم على الشارع الذى كان يعرف باسم منشىء مصر الحديثة !!

** ثم أخيرًا نجد شارع الأهرام ويبدأ من كوبرى عباس « الجيزة » إلى مطلع الأهرام عند فندق مينا هاوس العتيق . .



شارع الأهرام كما يبدو حديثاً



فندق ميناهاوس . . شاهد اجتماعات قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية . .
واجتماعات السلام مع إسرائيل

السوق الوحيد للحسبة .. مقره دمياط !!

صدق أو لا تصدق أن « للحسبة » فى مصر ميدانًا وسوقًا مازالا باقيين حتى الآن . . بل هما أشهر ميدان وأشهر سوق فى دمياط ، وهو صرة المدينة وقلبها النابض ! !

ووسط كل ما قيل ونشر حول « الحسبة » فى الفترة الأخيرة يكاد البعض يعتقد أن الحسبة تقتصر فقط على الأحوال الشخصية ، وهذا غير صحيح . وعلينا مادام قد صدر قانون ينظم هذه القضايا أن يمتد أثر هذا القانون على باقى أمور الحياة ، حتى يأتى القانون كاملاً شاملاً ومانعا للبس ! ! فما هى حكاية الحسبة التى لها ميدان وسوق فى دمياط ، أكبر مدن شمال الدلتا . .

** بالرجوع إلى خطط المقريزى ، ومؤلفات الدكتور حسن إبراهيم حسن عن تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . ومؤلفات شقيقه الدكتور على ابراهيم حسن عن تاريخ مصر فى العصور الوسطى ، نعرف أن الخليفة عمر بن الخطاب هو أول من وضع نظام الحسبة . وكان يقوم بنفسه بعمل المحتسب ، إلاّ أن هذا اللفظ لم يستعمل إلا فى عهد الخليفة المهدى العباسى .

وكانت سلطة القاضى موزعة بينه وبين المحتسب وقاضى المظالم ، فالقاضى وظيفته فض المنازعات المرتبطة بالدين بوجه عام . والمحتسب وظيفته كانت النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات التى يستدعى الفصل فيها إلى السرعة . ووظيفة قاضى المظالم هى الفصل فيما استعصى من الأحكام على القاضى والمحتسب . وأحيانا كان القضاء والحسبة يسندان إلى رجل واحد . . أى أن عمل القاضى مبنى على التحقيق والأناة فى الحكم . أما عمل المحتسب فمبنى على الشدة والسرعة فى العمل .

** والمحتسب كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحافظ على الآداب العامة والأمانة والفضيلة ، وينظر فى مراعاة أحكام الشرع ، ويشرف على نظام الأسواق ويحول دون بروز المحال حتى لا تعوق نظام المرور ، ويستوفى الديون ، ويكشف على الموازين والمكاييل منعًا للغش فى الميزان ، ويعاقب من يعبث بالشريعة أو يرفع الأسعار ، ويمنع التعدى على حدود الجيران ، وألا ترتفع مبانى أهل الذمة عن مبانى المسلمين .

ووصل الأمر إلى أن « ابن خلدون » تناول أعمال المحتسب وكيف أنه كان أيضًا يبحث عن فاعلى المنكرات ، ويؤدب الناس ، ويراقب المصالح العامة بالمدينة ، ومنع مضايقة الناس فى الشوارع ، ومنع الحمالين والسفن من زيادة الأحمال ، والحكم على أصحاب المبانى الآيلة للسقوط بهدمها . . ولم يكن يتوقف عمل المحتسب على كل ذلك بل كان له الحق فى نظر كل ما يرفع إليه ، والحكم بسرعة فى الدعاوى خصوصًا ما يتعلق بالغش والتدليس . . فحمل الناس على الانصاف . .

** وعرفت الاندلس نظام المحتسب . . وكان يتولى الحسبة فى كل مدينة موظف يسمى المحتسب أو صاحب السوق ، لأن معظم عمله متعلق بالإشراف على السوق وأهله وكان يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يكون من المشهود لهم بالعلم والمعرفة والفطنة ، ويختار من القضاة لأن عمله مرتبط بالقضاء . . حتى أن أسعار السلع كانت محددة . وكانت للمحتسب قوانين يعمل بها ، وتدرس كما تدرس أحكام الفقه والشريعة لأنها تتعلق بالبيع والشراء . . وهكذا .

** وشاع نظام المحتسب فى العصر الفاطمى للإشراف على الأسواق . . وكان للمحتسب نواب يطوفون فى الأسواق ويفتشون الفنادق العامة ويشرفون على السقايين .

** وارتقى نظام المحتسب فى عهد الفاطميين ونال قسطًا وافرًا من عناية الخلفاء ، فعملوا على توسيع نفوذ المحتسب ، فامتد من الأسواق إلى أحكام الشريعة إلى الإشراف على المساجد .

** من هنا فإن سوق الحسبة . . وميدان سوق الحسبة فى دمياط يعود إلى العصر الفاطمى , لأن هذا الميدان الذى يتوسط مدينة دمياط كان يتوسط « الخليج » الذى كان يستمد مياهه من نهر النيل عند الكوبرى القديم . ويسير الخليج . . وعند تقاطعه مع شارع سوق الغلال يمينًا ومدخل سوق السمك بشارع الملكة فريدة شمالاً كانت هناك « قنطرة » يعبر عليها الناس . . ومازال هذا الاسم « القنطرة » يطلق على هذه المنطقة بالكامل حتى الآن . . ويستمر الخليج ـ ومازال العواجيز يطلقون اسمه على شارع فكرى زاهر حتى الآن « شارع فؤاد الأول سابقًا » إلى أن يصل إلى سوق الحسبة

حيث كان يجلس المحتسب ليراقب السوق ويراقب سلوكيات الناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . .

تلك هى حكاية ميدان سوق الحسبة . . فى مدينة دمياط هل يعرفها أحد الدمايطة!!

المصادر والمراجع

** اعتمدنا فى إعداد هذه الدراسة الحيةعلى عدد من كتب الرحالة والمؤرخين وعشاق التاريخ المصرى منها ,

١ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى .

٢ ـ بدائع الزهور ووقائع الدهور لابن إياس .

٣ ـ المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار للمقريزى .

٤ ـ الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك .

٥ ـ تاريخ الطبرى .

٦ ـ تقويم النيل لأمين باشا سامى .

٧ ـ معجم البلدان . . ياقوت الحموى .

٨ ـ القاهرة وتنظيمها لحسن عبد الوهاب .

٩ ـ تاريخ المساجد الأثرية : حسن عبد الوهاب .

١٠ ـ أسماء ومسميات من مصر القاهرة : محمد كمال السيد محمد . .

** كما اعتمدنا على المشاهدة الحية ـ مرات عديدة ـ للعمارة الإسلامية فى الشارع الأعظم معتمدين على أسلوب التدقيق الصحفى المدعم بالمعلومة ورؤية العين المباشرة .

** واعتمدنا على فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة الصادر عن مصلحة المساحة عام ١٩٥١ والخرائط المصاحبة له بمقياس ١ : ٥٠٠٠ .

* مذكراتى فى نصف قرن . . أحمد شفيق باشا

* كتاب وصف مصر . . إصدار الحملة الفرنسية .

* تاريخ الوزارات المصرية . . إشراف د . يونان لبيب رزق

* النيل . . للدكتور رشدى سعيد .

* مصر الاسلامية . . محمد عبد الله عنان .

* القاهرة . . تاريخ حاضرة . . تأليف اندريه ريمون ـ ترجمة لطيف فرج

* القاهرة القديمة . . للدكتورة سعاد ماهر .

* عصر اسماعيل . . جزءان : عبد الرحمن الدافعى .

* محمد على . . جزءان : عبد الرحمن الدافعى .

* موسوعة تاريخ مصر . . أحمد حسين .

* تاريخ الإسلام السياسى . . د . حسن ابراهيم حسن

* مذكرات فى السياسة العصرية . . د . محمد حسين هيكل باشا

* القصر ودوره فى السياسة المصرية : مذكرات حسن يوسف .

الفهرس




شوارع لها تاريخ
عباس الطرابيلى
● من مواليد دمياط فى يناير ١٩٣٦ - درس الصحافة بجامعة القاهرة وحصل على الليسانس ١٩٦١ .
● عمل صحفيا بدار أخبار اليوم منذ مايو ١٩٥٩ .
● من الرعيل الأول الذى أنشا الصحافة فى دولة الإمارات العربية .
● شارك فى تأسيس صحيفة « الوفد » الاسبوعية عام ١٩٨٤ ثم الوفد اليومية عام ١٩٨٧ ويشغل الآن منصب مدير تحرير « الوفد » ، ويكتب عموداً يوميا بعنوان «هموم مصرية» ومقالاً اسبوعياً بعنوان « لكل المصريين » .
● أغلب كتاباته تدور حول موضوعات ثقافية واقتصادية وبترولية وزراعية .
● أما موضوعاته التاريخية فيهدف بها إلى تنوير العقل المصرى وإعادة تعريف الشعب المصرى بتاريخه العريق .